بسم ا   الرحمن الرحيم

جامـعـة الخلـيـل

كليـة الدراسـات العليا

بـرنامـج اللـغة العربيـة



اتجاهات شعر الهجاء في مصر والشام زمن الزنكيين والأيوبيين

(489 – 648 هـ)

دراسة موضوعية وفنية

إعداد :

محمد يوسف عبد العزيز غريب

إشراف :

الأستاذ الدكتور: حسن محمد عبد الهادي السراحنة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة

العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة الخليل

1430 هـ _ 2009 م .

نوقشت هذه الرسالة يوم : السبت بتاريخ : 14 /2 /2009 م

الموافق : 18 /2 /1430 هـ وأجيزت .

<u>أعضاء لجنة المناقشة:</u> <u>التوقيع:</u>

(1)- أ . د حسن محمد عبد الهادي السراحنة مشرفاً ورئيساً

(2)- أ . د إبراهيم شحادة الخواجا ممتحناً خارجياً

(3)- د . علي عبد ا عمرو ممتحناً داخلياً

الإهـــــداء

ولا تحسبن الذين قُتِلُوا في سبيلِ ا ِ أَمواتاً بلْ أَحياءٌ عِنـد ربهـم يرزقُونْ .

إلى الذين رووا بدمائهم الثرى ، وإلى الثكالى والأيامى وأسرانا خلـف القـضبان ، وكل الصامدين الصابرين على الأرض المباركة .

إلى روح والدي المغفور له إن شاء ا تعالى . ووالدتي أطال ا عمرها .

إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء .

إلى من وقفت بجـانبي وشـجعتني حتـى تـم إنجـاز هـذا العمـل إلـى الزوجـة الوفية .... " أم يوسف "

إلى أبنائي وقرة عيني ... " يوسف ، وبلال ، وهبة ، وهديل ، وحنين "

إلى من دعاني إلى المثابرة على إنجاز هذا العمل .. محمود يوسف غريب

إلى الأستاذ الوفي البعيد القريب محمد أحمد حافظ العسيري .

إلى كل الإخوة الذين قدموا لي العون الحسي والمعنوي طوال مدة البحث .

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع

محمد يوسف غريب

شكر وتقدير

بعد توفيق ا وتيسيره بإتمام هذا العمل ، أجد من واجب الوفاء والعرفان بالجميل أن أتوجه بوافر الشكر والتقدير .. إلى أستاذي وشيخي الأستاذ الدكتور " حسن محمد عبد الهادي السراحنة " الذي تفضل مأجوراً بالإشراف على هذه الرسالة ، وما أولاني به من عنايته وتوجيهاته حتى خرجت بهذه الصورة .

ولا يفوتني أن أقدم شكري الجزيل إلى كل أساتذتي في قسم اللغة العربية في جامعة الخليل ، لما أبدوه من نصح وتوجيه خلال الندوات الدراسية .

فهرس المحتـويات

الإهـــــداء:	....	ت
شكر وتقدير	....	ث
المحتويـــــات:	....	ج
المقدمـــــــة:	....	خ
تمهيــــــــد	مفهـــوم الهجـــاء لغـــة واصـــطلاحاً . ..	2
	الهجـــاء قبـــل الـــزنكيين والأيـــوبيين . ..	6
الفصل الأول :	**الهـــــــــجاء الشخـــــــــصي ..**	11
المبحث الأول	**الهجـــــاء بالرذائـــــل النفـــــسية . ..**	12
	1. هجاء النسب ..	12
	2. هجاء العيوب الخُلُقية ..	16
	3. هجاء العيوب الخَلْقية ..	25
	4. شواذ الهجاء الشخصي ..	35
	5. هجاء هجاء الأرحام والأقارب والذات والأصدقاء ..	40
	6. التهاجي بين الشعراء ..	46
المبحث الثاني	**هجـــــــاء مـــــــا لا يعقـــــــل ..**	62
المبحث الثالث	**مظـــــــــــاهر أخـــــــــــرى ..**	68
الفصل الثاني :	**الهجـــــــــاء الاجتمـــــــــاعي ..**	73
المبحث الأول	**هجـــاء مـــوظفي الدولـــة ومـــستخدميها : ..**	74
	1. القضاة . ..	75
	2. رجال الفقه والوعاظ والخطباء والأئمة . ..	80
	3. الكتاب . ..	84
المبحث الثاني	**هجـــــاء أربـــــاب المهـــــن . ..**	87
المبحث الثالث	**هجـــــاء العلمـــــاء والفلاســـــفة . ..**	93
المبحث الرابع	**هجـــــاء المغنّـــــين والمغنيـــــات . ..**	97
المبحث الخامس	**هجـــاء الـــدهر والـــدنيا والزمـــان . ..**	101

المبحث السادس	هجـاء المـدن وأهلهـا والأقـاليم والمرافـق .	. .	105
الفصل الثالث :	**الهجـــــــــاء الــــــــسياسي والإداري**	. .	127
المبحث الأول	**الهجاء الداخلي : ويشمل :**	. .	129
	1.هجاء كبار رجال الدولة .	. .	129
	2.هجاء سياسة الحكام وإدارتهم الداخلية .	. .	142
	3.هجاء المتقاعسين عن الجهاد .	. .	151
	4.هجاء أمراء النزعات الانفصالية .	. .	161
	5.هجاء التنازع على " الوزارة " في نهاية العهد الفاطمي	. .	173
المبحث الثاني	**الهجاء الخارجي : هجاء الصليبيين ويشمل :**	. .	180
	1. عقائدهم وشعاراتهم الدينية .	. .	181
	2. قادتهم وملوكهم .	. .	185
	3. ألقابهم وأوصافهم ومسمياتهم .	. .	194
	4. صفاتهم الخُلقية .	. .	198
الفصل الرابع :	**الدراســــــــــــة الفنيـــــــــة :**	. .	203
المبحث الأول	**1. بناء القصيدة الهجائية**	. .	204
المبحث الثاني	**2. الأسلوب واللغة**	. .	231
المبحث الثالث	**3. الموسيقا**	. .	251
المبحث الرابع	**4. الصورة الشعرية**	. .	265
الخاتمـــــــة		. .	281
ملحق بتراجم الأعـلام	. . . .	. .	284
المصادر والمراجع	. . . .	. .	302
ملخص باللغة الإنجليزية	. . . .	. .	331

المقدمة

الحمد رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين وبعد :

فإن شعر الهجاء من الأغراض التقليدية القديمة ،ومن الموضوعات الشعرية الرئيسة الذي شغل حيزاً كبيراً في دواوين الشعر العربي ، و نظم فيه الشعراء على مر العصور الأدبية ، غير أن كميته تفاوتت بين عصر وآخر ، ومن شاعر إلى آخر ، ومرد ذلك إلى عوامل وأسباب عدة ، بعضها يرتد إلى ظروف الشاعر نفسه ، والآخر مرتبط بالبيئة المحيطة به ، وبالحياة الاجتماعية التي يعيشها الناس في عصره ، وقد حظي شعر الهجاء باهتمام العديد من الباحثين ، فتناولوه بالدراسة والتحليل في عصوره المختلفة ، وكان أبرز تلك الدراسات المتخصصة في هذا المجال دراستي محمد محمد حسين " الهجاء والهجاؤون في الجاهلية " و " الهجاء والهجاؤون في صدر الإسلام " وغيرها من الدراسات الأخرى .

و على الرغم من كثرة شعر الهجاء زمن الزنكيين والأيوبيين ، إلا أنه لم يحظ – في حدود علمي – بدراسة شاملة ومتخصصة ، تُظهر اتجاهاته الموضوعية ، وتوضح خصائصه وسماته الفنية ، وكل ما أورده الباحثون من دراسات حول هذا الغرض وفي تلك الفترة الزمنية ، لا يتعدى إطار الحديث عن قضايا الأدب العامة ، التي ترمي إلى التأريخ للأدب بلونَيه الشعري والنثري على امتداد ذلك العصر ، ومثل تلك الدراسات كثيرة ومتعددة غير أن سمة التشابه فيما بينها في طريقة تناوله هي السائدة في غالبيتها ، اللّهم إذا استثنينا كمية النماذج المعروضة فيها .

ولعل الدراسة التي تطرقت إلى هذا الموضوع بشكل موجز دون أن تتعمق فيه،كما أنها لا تشتمل على جميع جوانبه الموضوعية ، ما نُشر في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني في عددها الخامس والخمسين للباحث شفيق الرقب بعنوان " شعر الهجاء في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية " قد فتحت لي الآفاق في هذا الغرض، و دراسته واستقصاء الموضوع من جوانبه كافة،الشخصية، والاجتماعية، والسياسية،ونقله إلى أفق مكاني أرحب، وتحليل أعمق ؛ لأنها لم تبحث اتجاهات شعر الهجاء المتعددة ، لذا ارتأيت أن أتناول شعر الهجاء في مصر والشام في الفترة الزمنية ما بين (489 – 648 هـ) بقدر من الإحاطة والشمول مع الاستقصاء في الشرح والتحليل لنماذجه المتعددة ، واقتصار تلك النماذج المعروضة على شعراء مصر والشام ، لما بين الإقليمين من روابط سياسية خلال حكم الزنكيين والأيوبيين من ناحية ، ولوقوفهما معاً في وجه الحملات الصليبية على المشرق العربي التي هدفت لطمس هوية الأمة الإسلامية ، والنيل من عقيدتها .

ولأن شعر الهجاء تتعدد دوافعه وأسبابه ، وتتغير فيه أمزجة الشعراء وحدتهم لحظة نظمه، لتفاوت طبقاتهم الاجتماعية ، وتمايز شخصياتهم مما يستوجب على الباحث الوقوف عند بعض الجوانب ، والبواعث التي حدتْ بالشاعر إلى الميل نحو هذا المنحى أو ذاك ، لذا اعتمدت في دراستي على المنهج التكاملي كأساس للبحث والاستقصاء والوصف والتحليل والتأريخ .

وتقع هذه الدراسة في تمهيدٍ وأربعةِ فصول وخاتمة وملحق بتراجم الشعراء ،فقد تناولت في التمهيد مفهوم الهجاء لغةً واصطلاحاً ، وعرضاً موجزاً عن اتجاهاته قبل زمن الزنكيين والأيوبيين .

وقسمت الدراسةُ مضامين الهجاء إلى ثلاثة أقسام ، ولعل هذا التقسيم هو الشائع في شعر الهجاء عبر عصوره المختلفة ، فمنه الهجاء الشخصي والاجتماعي و السياسي ، ورغم أن هذا التقسيم ليس دقيقا ،

لتـداخل الموضـوعات فيمـا بينهـا، فقـد يكـون الهجـاء الشخـصي بـارزاً فـي الجـانبين الاجتمـاعي والـسياسي ، لكـن التقـسيم بهـذه الطريقـة يعـد ضـرورة منهجية لمثل هذه الدراسة .

وقـد تنـاول الفـصل الأول الاتجـاه الشخـصي، و قـسمته إلـى ثلاثـة مباحـث ،الأول منهـا : تحـدثت فيـه عـن هجـاء الرذائـل النفـسية للأفـراد بمـا فيهـا مـن عيـوب خَلْقيـة وخُلُقيـة ، وغمـز بنـسبهم ، و"شـواذ الهجاء الشخـصي"ممـا لـم يكـن مألوفـاً عنـد غالبيـة الـشعراء، كتحويـل رمـز الحـسن والجمـال إلـى رمـز للقـبح والتنفيـر، و هجـاء الأرحـام والأقـارب والـذات ، والتهـاجي بـين الـشعراء لـدوافع عـدة ، لـم تـصل إلـى مرتبـة النقـائض ،كمـا هـو الحـال فـي العـصر الأمـوي ، والثـاني: تـضمن هجـاء شخـصي بمـا لا يعقـل كالحيوانـات وبعـض مظـاهر الطبيعـة ووسـائل اللهـو ، والثالث:تحـدثت فيـه عـن مظـاهر هجائيـة أخـرى تـدل علـى ضـيق الـشاعر وتبرمه من الحياة .

وخُصـصت دراسـةُ الفـصل الثـاني لموضـوع الهجـاء الاجتمـاعي ، وقـسمته إلـى سـتة مباحـث الأول منهـا : فـي هجـاء أعيـان الدولـة ومـستخدميها مـن قـضاة ورجـال وعـظ ، وأئمـة مـساجد ، وكتـاب دواويـن، لإبـراز تجـاوزاتهم ومفاسـدهم وظلمهـم للنـاس ، والثـاني : فـي هجـاء أربـاب المهـن المختلفـة ، والثالـث : فـي هجـاء العلمـاء والفلاسـفة ، والرابـع : فـي ذم مظـاهر المجـون المتمثلـة فـي المغنـين والمغنيـات ، والخـامس: فـي هجـاء الدهر والـدنيا والزمـان تعبيـراً عـن سـخطهم وتبـرمهم منهـا ، والـسادس : فـي هجاء المدن وأهلها والمرافق العامة .

أمـا الفـصل الثالـث فتنـاول الهجـاء الـسياسي ، وجـاء فـي مبحثـين ، الأول : هجـاء داخلـي ،تحـدثت فيـه عـن هجـاء كبـار رجـال الدولـة مـن الحكـام والأمـراء والـوزراء ،وإبـراز سياسـاتهم وفـساد إداراتهـم الداخليـة ، وهجـاء المتقاعـسين عـن الجهـاد والمتعـاونين مـع الـصليبيين ، وذم أمـراء الـشام الـساعين إلـى الانفـصال عـن الدولـة وهـدم وحـدة الأمـة ، وأنهيتـه

بهجاء النزاعات المتكررة على الساحة المصرية حول منصب الوزارة في نهاية العهد الفاطمي .

أما مبحثه الثاني فتحدثت فيه عن موقف الشعراء وتصديهم للغزو الصليبي على المشرق العربي،وقد اشتمل هجاء الصليبيين على ذم عقائدهم وشعائرهم الدينية ، وذم قادتهم وملوكهم المهزومين ، وهجاء ألقابهم وأوصافهم ومسمياتهم ، وأنهيته بذم صفاتهم الخُلقية الشائنة .

أما الفصل الرابع فتحدثت فيه عن الخصائص الفنية في شعر الهجاء ، وقسمته إلى أربعة مباحث ، الأول منها : بناء القصيدة الهجائية ،والثاني : اللغة والأسلوب ، والثالث : الموسيقا الشعرية ، والرابع : الصورة الشعرية .

وقد اعتمدت مادة البحث على مصادر عدة أبرزها دواوين الشعراء أمثال ابن منير الطرابلسي ، وابن القيسراني ، وابن عنين ، وابن الساعاتي ،و الشاغوري ، وابن سناء الملك ، وعرقلة الكلبي، وابن دنينير، وابن الخياط ، وأبي اسحق الغزي ، وطلائع بن رزيك ، وعمارة اليمني وغيرها من الدواوين المدونة ، ومن أبرز المصادر الأدبية التي أفدت منها في دراستي : كتاب خريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء الشام وقسم شعراء مصر للعماد الأصفهاني (ت 597) ،وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين لمؤلفه أبو شامة المقدسي (ت 665) ، وعقود الجمان لابن الشعار الموصلي (ت 654 هـ) ، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (ت 764 هـ) ، فقد اشتملت على عدد كبير من أسماء الشعراء المغمورين الذين لم تطرق أسماؤهم سمعي قبل هذه الدراسة ، وغيرها من المصادر المتعددة التي أفدت منها في مجال الدراسة الفنية ،منها : كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (ت395هـ) ، وخزانة الأدب لابن حجة الحموي (ت837هـ) ، وفي توضيح المعاني كان لسان العرب لابن منظور (ت711هـ) مصدري

الأساسي إضافةً إلى معاجم أخرى ومراجع أخرى دونتها في قائمة ثبت المصادر والمراجع .

وقد أنهيت الدراسة بخاتمة ذكرت فيها خلاصة النتائج التي توصلت إليها في دراستي ، وذيلتها بمجموعة من التوصيات التي ربما تكون لها فائدة أمام الباحثين نحو دراسات مستقبلية لتلك الفترة الزمنية ، وأتبعت الخاتمة بملحق لتراجم أعلام الشعراء الذين وردت لهم أشعار تتعلق بموضوع الدراسة ، ثم دونت المصادر والمراجع المتنوعة التي استعنت بها في دراستي .

وبعد ذلك لا أقول إلا ما قاله كاتب نور الدين زنكي وشاعره العماد الأصفهاني : " إنني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده، لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قُدم هذا لكان أفضل ، ولو تُرك هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر العميق والعرفان بالفضل **لشيخي وأستاذي الكبير** الأستاذ الدكتور / **حسن محمد عبد الهادي السراحنة** الذي أولاني من رعايته ، وما وهبني من علمه وخبرته ، وما أسداه إلي من نصح وتوجيهات ، وما تفضل به علي وفتح لي مكتبته لإتمام هذا العمل ، فتضاءلت معها جميع المشاكل التي واجهتني ، فإليه أُقدم شكري وامتناني وعرفاني داعياً الله أن يمد في عمره ، ويسبل عليه ثوب الصحة والعافية ويجزيه عني خير الجزاء .

والله تعالى أسأل ، أن يهديني إلى سبيل الصواب ويثبتني على الحق قولاً وعملاً ، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم عليه توكلت وأنبت رب المستضعفين وناصر المظلومين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

محمد يوسف غريب

التمـهـيـد

1. مفهوم الهجاء لغة واصطلاحاً .

2. الهجاء قبل عصر الزنكيين والأيوبيين .

مفهوم الهجاء :

يحتل الهجـاء مكانـة متقدمـة بـين فنـون الـشعر العربـي القديمـة ، فقـد قيـل : " إن بيـوت الـشعر أربعـةٌ فخـر ومـديح وهجـاء ونـسيب[1] ، أمـا ابـن رشـيق فيـرى أن الـشعر نوعـان " مـدح وهجـاء "[2] ، وشـاع فـن الهجـاء عنـد غالبية الأمم إلى جانب العـرب ، مـع تبـاين فـي التعبيـر عنـه فيمـا بينهـا ، مـا بـين منظـوم الكـلام ومنثـوره ، كمـا أنهـم اختلفـوا فـي أصـله ، فبروكلمـان يربطه باعتقادات النـاس القديمـة فـي الـسحر والجـن " وكـأن فـي يـد الـشاعر شعراً يقصد بـه تعطيـل قـوى الخـصم بتـأثير سـحري "[3] ، بينمـا يلمـح الـدهان إلى تـأثير الكهانـة فيـه ، فـي سـياق حديثـه عـن الـصورة التـي كـان الكهـان يلعنون بها الكفار بعد الانتصار عليهم في الحروب[4] .

وواضـح مـن الـرأيين وجـود أثـر للـسحر والكهانـة علـى الهجـائين ، وإن كنـا لا نميـل إلـى تلـك الآراء ، رغـم إيماننـا بوجـود الـسحر والجـن ، لأن القرآن أخبر بهما ، كمـا أن تأكيـد تلـك الأقـوال يتطلـب جمـع مـا قيـل فـي الهجـاء عنـد الأمـم الـسابقة ، ودراسـته وتحليلـه ، وهـو مـا يـصعب تحقيقـه ، لضياع تلك الآثار مع الزمن .

---

[1] - ابـن خلكـان ، **وفيـات الأعيـان** 321/1 ، الحمـوي ، **ثمـرات الأوراق** 77 ، المبـرد ، **الفاضل** 109 .

[2] - **العمدة** 122/1 .

[3] - **تاريخ الأدب العربي** 106/1 .

[4] - **الهجاء (سلسلة فنون الأدب)** 7 .

الهجاء لغة :

أما الهجاء في اللغة فمعناه الشتم بالشعر وهو خلاف المدح ، وقد أورد ابن منظور معان عدة لمادة " هجو " منها هجو يومنا : اشتد حره ، والهجاة : الضفدع ، وهجي البيت هجياً : انكشف ، وهجيتْ عين البعير : غارت ، وقال أبو زيد الهجاء : القراءة ، وقلت لرجل من بني قيس أتقرأ من القرآن شيئاً ؟ فقال وا ما أهجو منه حرفاً : يريد ما أقرأ منه حرفاً[1]، وذكر ابن فارس : هجاه : إذا وقع فيه بالشعر ، وذلك الشعر الهجو والهجاء : المهاجاة[2] .

فالمعنى اللغوي للكلمة مرن يزيد وينقص ، ومدلولها واسع ، يمكن أن يشمل غيرها من المعاني القريبة لها ، " فينبغي أن يتطور مع تطور الفنون الأدبية الأخرى حسب مقتضى الحال "[3] .

الهجاء اصطلاحاً :

كثرت المعاني التي وضعت لمصطلح الهجاء قديماً وحديثاً ، وعرفه ابن قدامة بقوله : " الهجاء ضد المديح ، فكلما كثرت أضداد المديح في الشعر كانت أهجى له ، ثم تنزل الطبقات على مقدار قلة الأهاجي فيها وكثرتها "[4] ، وهذا يشير إلى أن إبداع الهجاء يتوقف على مقدار إجادته للهجاء كماً ونوعاً .

---

1 - **لسان العرب** ، مادة (هجو) .
2 - ينظر : **مقاييس اللغة** 38/6 .
3 - يوسف ، خالد إبراهيم ، **الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان** ص471 .
4 - **نقد الشعر** 113 .

أما محمد محمد حسين فعرفه بأنه " أدب غنائي يصور عاطفة الغضب أو الاحتقار أو الاستهزاء سواء كان موضوع العاطفة هو الفرد أو الجماعة أو الأخلاق أو المذاهب "[1] ، ووافقه في ذلك أحمد أمين من حيث كون الهجاء ناشئاً عن الغضب والاحتقار[2] ، فكلا الباحثين يظهر اتفاقاً حول دوافع الهجاء وأسبابه ، وما يحرك مشاعر الهجاء وأحاسيسه تجاه مهجوه .

وهناك من أطلق مصطلح الهجاء على الفن الأدبي القائم على قذف الأشخاص ، وبيان معايبهم ونواقصهم[3] ، ورفض أحد المحدثين توصيف الهجاء على أنه سب وشتم ، وإنما هو تعبير عما " يحمله الهجاء في داخله من معاناة إنسانية كبيرة ، وما يعتريه من إحساس عميق بالظلم والقهر والاضطهاد "[4] .

وركّز بعض القدماء في تعريفه لمصطلح الهجاء على ما يحققه من فائدة ، بقوله : " فالقصد من الهجاء الوقوف على ملحه ، وما فيه من ألفاظ فصيحة ، ومعان بديعة ، لا التشفي بالأعراض والوقوع فيها ، وليس الهجاء دليلاً على إساءة المهجو ، ولا صدق الشاعر فيما رماه به ، فما كل مذموم بذميم ، وقد يهجى الإنسان بهتاناً وظلماً أو عبثاً أو إرهاباً "[5] .

---

1 - **الهجاء والهجاؤون في الجاهلية** 5 .

2 - ينظر : **النقد الأدبي** 105 .

3 - ينظر : ابن طباطبا ، **عيار الشعر** 50-51 ، ثعلب ، **قواعد الشعر** 38 ، الجاحظ ، **الحيوان** 364/1 ، المبرد ، **الكامل في اللغة والأدب** 178/1 .

4 - جيدة ، عبد الحميد ، **قصيدة الهجاء عند دعبل الخزاعي وابن الرومي** 7 .

5 - الأبشيهي ، **المستطرف في كل فن مستظرف** 454 .

واختار نقاد مصطلح التعريض بديلاً عن الهجاء ، ومن أبرزهم نقاد القرن الخامس الهجري في الأندلس الذين أجمعوا على اعتماد التعريض وأباحوا القول فيه[1] .

واعتمده ابن بسام الشنتريني بدلاً من الهجاء في نقده لأحد الشعراء بقوله : " فأضربت عنه رغبة بكتابي عن الشين ، وبنفسي أن أكون أحد الهاجين ، فقد قالوا : الراوية أحد الشاتمين "[2] ، وهو بذلك ينأى بنفسه حتى لا يشارك الهجاء في الشتم ، ولا يتحمل جزءاً من وزره .

وأياً كانت نظرة النقاد والباحثين لمصطلح الهجاء ، فإنه يظل صورة تعكس مظاهر الحياة في كل زمن وفي كل مجتمع بجميع جوانبها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية ، ومهما تعددت أهدافه فهو صورة للمجتمع ، ليس شراً كله ، ولا خيراً كله " فظاهره هجاء ولكنّه في الحقيقة إصلاح ، وتهذيب ، وتقويم لكل اعوجاج في المجتمع ، سواء ما اتصل بالفرد أو ما اتصل بالجماعة "[3] .

وإذا كانت العاطفة عنصراً رئيساً يرسم من خلالها الهجاء المساوئ الخلقية ، وهي في الوقت نفسه عنصر رئيس ، يرسم من خلالها المداح الفضائل الخلقية ، فأميل إلى ما ذهب إليه شوقي ضيف باعتبار " الهجاء الصحيفة التربوية المقابلة للمديح ، فالمديح يرسم

---

[1] - ينظر : عبد الرحيم ، مصطفى عليان ، **تيارات النقد الأدبي في الأندلس** 335 .
[2] - **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** 313/2 .
[3] - ضيف ، شوقي ، **فصول في الشعر ونقده** 20 .

المثاليـــة الخلقيـــة لهـــذه التربيـــة ، والهجـــاء يرســـم المـــساوئ الفرديـــة ، والاجتماعيـــة التـــي ينبغـــي أن يـــتخاص منهـــا هـــذا المجتمـــع الرشـــيد "[1] ، لـــذلك أرى أن الهجـــاء كـــشف للعيـــوب ، وتعـــداد للمثالـــب فـــي الفـــرد والمجتمـــع ، وإبـــراز للنقـــائض ســـعياً للإصـــلاح والتوجيـــه ، ومـــا عـــدا ذلـــك ســـب وشـــتم لا يلتفت إليه .

وقبـــل الحـــديث عـــن الهجـــاء زمـــن الـــزنكيين والأيـــوبيين ، يجـــدر بنـــا أن نلقـــي نظـــرة مـــوجزة عليـــه قبـــل هـــذه الفتـــرة الزمنيـــة ، للوقـــوف علـــى اتجاهاته في العصور السابقة ، لمعرفة جديده خلال هذه المرحلة .

الهجاء قبل الزنكيين والأيوبيين :

كـــان عـــرب الجاهليـــة يرهبـــون الهجـــاء أفـــراداً وقبائـــل علـــى حـــد ســـواء ، ويعدونـــه مـــن وســـائل الـــصراع ، ويـــصف الأصـــمعي شـــعر الهجـــاء فـــي الجاهليـــة بأنـــه " نكـــد وبابـــه الـــشر ، فـــإذا دخـــل فـــي الخيـــر ضـــعف "[2] ، وعـــزي خـــوفُهم مـــن الهجـــاء أن يبقـــى فـــي الأعقـــاب ، ويـــسب بـــه الأحيـــاء والأمـــوات ، وبلغـــت رهبـــتهم منـــه إلـــى حـــد أخـــذ العهـــود والمواثيـــق علـــى الشاعر المأسور ، وربما شـــدوا لـــسانه بِنَـــسعة ، وهـــذا مـــا فعلـــه بنـــو تمـــيم بعبـــد يغوث المحاربي ، كما يظهر في قوله : " الطويل "

أقـــولُ وقـــد شـــدوا لـــساني بِنِـــسعةٍ أمعـــشَرَ تـــيمٍ اطلقـــوا لـــي لـــسانيا[3]

---

[1] - **العصر العباسي الأول** 167 .

[2] - ابن قتيبة ، **الشعر والشعراء** 305/1 .

[3] - الضبي ، **المفضليات** 317 مفضلية رقم 30 ، الجاحظ ، **البيان والتبيين** 248/3/3 .

وكان الهجاء الجاهلي يدور حول ما ينقض مثُل الجاهليين العليا ، وفضائلهم في حياتهم ، وما يفخرون به من شجاعة ونسب وكرم ووفاء ، وقد يتعدى ذلك إلى الطعن والقذف والتعريض بالأمهات[1] ، غير أن هجاءهم لم يرد في قصائد مستقلة ، بل جاء في ثنايا فخرهم وحماستهم وإشادتهم بأمجادهم ، وبدا معظمه شخصي يتصل بالقبائل وما بينها من خصومات ، وبذلك يكون في ظاهره موجهاً للشخص ، وهو في حقيقته موجه للقبيلة .

أما في الإسلام فكانت دعوة الرسول - صلى ا عليه وسلم - انقلاباً على قيم الجاهلية إلا ما توافق مع قيم الإسلام ، ومعها تغيرت نظرة الإسلام إلى الهجاء ، وصار إثماً إذا مس مسلماً أو استُخدِم لخَدش الدين ، بل واستحق قائله العقاب كما في قول الرسول عليه السلام :" من قال في الإسلام شعراً مقذعا فلسانه هدر "[2] ، ووضح عمر بن الخطاب مفهوم الهجاء المقذع في حواره مع الحطيئة بقوله: " إياك والمقذع من القول ؟ قال : وما المقذع ؟ فقال أن تخاير بين الناس فتقول: فلان خير من فلان ، وآل فلان خير من آل فلان "[3] ، وهذا يدل على اتجاه الهجاء اتجاهاً دينياً عند الشعراء ، وسلاحاً للرد على الكفار والدفاع عن الإسلام ، دون أن تذهب معانيه الجاهلية التي تعتمد على رمي الأنساب ، والنزعة العصبية ، وذم الجبن والاستسلام .

---

1 - ينظر : ضيف ، شوقي ، **الشعر في العصر الجاهلي** 201 .

2 - الهيتي ، أبو بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** 123/8.

3 - الأصفهاني ، **الأغاني** 120/2 - 121.

وتغيـر اتجـاه شـعراء الهجـاء فـي عـصر الأمـويين بعـد عـودة العـصبيات القبليـة ، وظهـور الأحـزاب الـسياسية وصـراعها حـول الخلافـة ، ومعها " تحـول فـن الهجـاء مـن فـن وقتـي متقطـع إلـى فـن دائـم مـستمر"[1]، وتبـدلت غايتـه مـن هجـاء خـالص إلـى غايـة جديـدة ، هـي " سـد حاجـة الجماعات العربيـة الحديثـة فـي البـصرة ، إلـى ضـرب مـن ضـروب التـسلية والتـرويح عـن الـنفس ، وبخاصـة بعـد هـدوء حركـة الفتـوح الإسـلامية "[2] وسـمي ذلـك اللـون مـن الهجـاء بالنقـائض ، وبنـي علـى التناقـضات العامـة ، وكـان يحمـل طـابع الـسخرية والـتهكم الـذي يثيـر الـضحك[3] ، وبـذلك يكـون الهجـاء قـد سـلك اتجـاهين فـي هـذا العـصر ، اتجـاه سياسـي ، والآخـر شخصي اعتمد النقيضة شكلاً له.

أمـا مطلـع العـصر العباسـي فقـد انعكـست النزاعـات بـين العـرب والشعوبيين وغيـرهم مـن المـذاهب المختلفـة علـى اتجـاه الهجـائيين مـن غيـر العرب ، فاتجه الـشعوبي فـي هجـوه للعـرب منحـى ينطلـق عـن عقـدة كراهيـة دون أن يحفـل الهجـاء بـاختلاق سـبب لهجائـه مثلمـا فعـل علـي بـن الخليـل وأبو نواس[4] ، وفـي القـرن الثالـث الهجـري تعـددت اتجاهـات الهجـاء مـا بـين شخـصي واجتمـاعي وسياسـي ، ومـال الهجـاؤون إلـى الهجـاء الـساخر ، الذي طالت بـه ألـسنة الـشعراء أفـراد الـشعب كافـة ، ولـم يـسلم أحـد منـه إلا

---

[1] - ضيف ، شوقي ، **التطور والتجديد في الشعر الأموي** 164.

[2] - المحتسب ، عبد المجيد ، **نقائض جرير والأخطل** 523.

[3] - ينظر : الهادي ، صلاح ، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي** 163-164.

[4] - ينظر : الشكعة ، مصطفى ، **الشعر والشعراء في العصر العباسي** 174.

وكالوا لـه الهجـاء كـيلاً ، " ودفعهـم تنافـسهم إلـى أن يتبـادلوا الهجـاء ويريـشوا كثيراً من سهامه "[1].

ويبـدو أن الهجـاء فـي القـرن الرابـع الهجـري لـم تكـن دوافعـه شخصية ، ولا مذهبيـة ولا قوميـة ، بـل كـان فـي كثيـر مـن الأحيـان إرضـاء لهـذا الأميـر أو ذاك الحـاكم[2] ، ويتمثـل جديـد هجائيـه فـي ابتـداع القـصة الفكاهيـة التـي طالمـا تتوسـلت بالألفـاظ الـساقطة والمعـاني الفاحـشة التـي تـضحك الـسامع ، وقيـل أن أبـا القاسـم الحـسين بـن الحـسين المعـروف بالواسـاني يمثـل هـذا الاتجـاه وعـده الثعـالبي " أحـد أفـضل المجيـدين فـي الهجـاء ، وكـان فـي زمانـه كـابن الرومـي فـي أوانـه "[3] ، وأرى رغـم تفـنن الشعراء فـي طرائـق عرضـهم ، وصـياغتهم توافقـا فـي اتجاهـات الهجـاء فـي القرنين الثالـث والرابـع الهجـريين مـن حيـث أسـاليبهم وتـراكيبهم ، فقـد ظـل الإزراء بضحاياهم همهم وغايتهم .

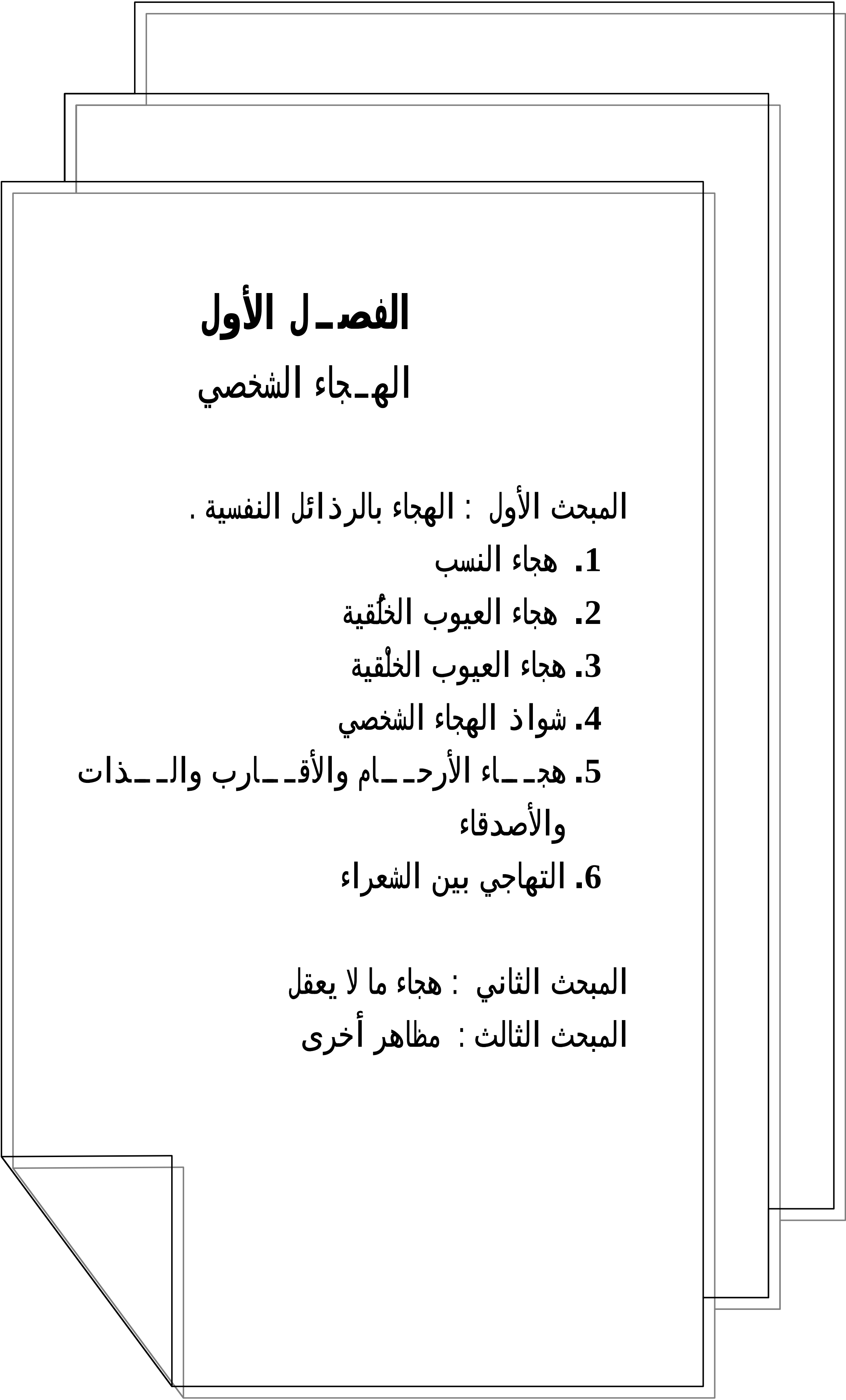
وحيـث سـيكون حـديثنا عـن اتجاهـات شـعر الهجـاء زمـن الـزنكيين والأيوبيين امتداد لمـا سـبقها وغيـر منقطـع عـن الفتـرات الـسابقة ، فلـيس ثمـة ما يدعو إلى إطالة القول عنه في هذا التمهيد.

---

[1] - ضيف ، شوقي ، **العصر العباسي الثاني** 210 .

[2] - ينظر : أبو حاتم ، نبيل خليل ، **اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري** 194.

[3] - **يتيمة الدهر** 349/1 .



الفصـل الأول

الهـجاء الشخصي

المبحث الأول : الهجاء بالرذائل النفسية .

1. هجاء النسب
2. هجاء العيوب الخُلُقية
3. هجاء العيوب الخلْقية
4. شواذ الهجاء الشخصي
5. هجـاء الأرحـام والأقـارب والـذات والأصدقاء
6. التهاجي بين الشعراء

المبحث الثاني : هجاء ما لا يعقل

المبحث الثالث : مظاهر أخرى

الهجاء الشخصي :

تناول شعراء مصر والشام في أهاجيهم الشخصية خلال تلك الفترة الزمنية المحددة كلّ ما يزري بالمرء ، ويحط من قدره ، ويذيب شخصيته ، فسلبوا فضائل مهجويهم ، فضائل ظل العربي يعتد ويتغنى بها طوال حياته التي عاشها في جوف تلك الصحراء القاحلة الموحشة ، ويتفاخر بها أمام خصومه ، وتمثلت تلك الفضائل في النسب والشجاعة والكرم ، وطهارة اليد ، وعفة النفس ، وصفاء السريرة وغيرها مما تكتمل بها مروءة الإنسان ، وحصرها قدامة بن جعفر في أربع وهي : "العقل والشجاعة والعدل والعفة "[1]، وزاد ابن طباطبا عليها ذاكراً المثل الأخلاقية التي بنى العرب عليها مدحهم وهجاءهم وجعلها في قسمين بقوله : " فالخلال المشهورة كثيرة ؛ منها في الخَلْق الجمالُ والبسطة ، ومنها في الخُلُق السخاء والشجاعة ، والحلم والحزم والغيرة ، والصدق ... وما يتفرع منها "[2] .

أما ابن رشيق القيرواني فيذهب مذهب العسكري ويوافق رأيه في تحديد مفهوم الهجاء الذي يعتمد بالدرجة الأولى على سلب المهجو فضائله النفسية في قوله : " وأجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية ، وما تركب من بعضها البعض ، فأما ما كان في الخلقة الجسمية من المعايب ، فالهجاء به دون ما تقدم " [3] وحدد صدر

---

[1] - **نقد الشعر** 96.

[2] - **عيار الشعر** 50 .

[3] - **العمدة** 174/2.

الدين البصري ما يجب أن يتناوله الهجاء الشخصي منطلقاً في ذلك بنفس المنطلق الذي اتبعه سابقه (القيرواني) في قوله : " ما وصف به من بخل وجبن وسوء خلق ونميمة سمي هجاء "[1] .

ويرى عباس بيومي عجيلان " أن الهجاء الشخصي أصل الهجاء ، ومنه نما وتطرق إلى موضوعات أخرى ، فالإنسان في علاقته اليومية يصادف أشخاصاً يزور عنهم وأشخاصاً يقبل عليهم "[2] مما يشير إلى تعدد الدوافع التي تولدت عند الشعراء في نزوعهم إلى هذا اللون من الهجاء وهي كثيرة ربما تكون الحاجة والعوز أو الحقد والكراهية أو الخصومات بين الشعراء لما لهم من علاقات بأفراد المجتمع ، وما يشوب هذه العلاقات من منازعات شخصية تدفع الشعراء إلى ترجمتها بأشعار ينظمونها .

فما أبرز العيوب والرذائل التي ذمها الشعراء في مهجويهم خلال هذه الفترة الزمنية ؟

المبحث الأول : الهجاء بالرذائل النفسية :

1. هجاء النّسب :

يعد الطعن في نسب المهجو والتشكيك في أصله من أبرز ما تعرض له الشعراء في هجائهم ، وعُدت أعظم فضيلة نفسية اعتز بها العربي ودافع عنها وحرص على صونها ونقائها ، ولا غرابة في ذلك إذا عرفنا أننا في أمة تعير قضية الأنساب شرفاً عظيماً " وحسبك أنها

---

1 - **الحماسة البصرية** 4/1.

2 - **الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية** 162.

الأمة الوحيـدة التـي جعلـت مـن الأنـساب علمـاً يُؤلـف فيـه العلمـاءُ الكتـب "[1]

فها هـو ذا ابـن عنـين يتنـاول الأم والأخـت فـي هجائـه للقاضـي الفاضـل ، إذ يقول : " المنسرح "

ذو طَـــرفَين إذا نَـــسبتَهما	يحـار فـي ذاك كـل ذي لـب
فالأختُ والأم مِـن بنـي شَـبقٍ[2]	والأب والابـن مِـن بنـي كلـبِ[3]

فالـشاعر سـلب مهجـوه نـسبه ، ونقـل لنـا صـورة مزريـة لتلـك الأم والأخـت فكلتاهمـا تنتـسبان إلـى شـبق ، فـي الوقـت نفـسه نـسب الأب والابـن لبني كلـب فـي إشـارة إلـى ضـعة نـسبه ، وبالتـالي يكـون المهجـو قـد ورث قـذارة أمـه وأختـه مـا جعلـه شخـصية غيـر سـوية لا تلائـم المنـصب الـذي يتقلده ، فالشاعر رمـاه فـي أصـوله وشـرفه ، " ولـيس أفحـش مـن هـذا القـول بالنسبة للعربي الذي يكاد لا يغتفر خطيئة الأصل "[4].

وممـن هجـاهم ابـن عنـين وغمـز فـي نـسبهم (ابـن سـيدة)[5] محطمـاً لـه عـن طريـق هـذه القيمـة الاجتماعيـة التـي يتفـاخر بهـا النـاس ، فيقول : " الكامل "

قُلْ لابن سـيدةٍ وإن أضـحى لـه	خَـولٌ[6] تُـدِل بِكثْـرةٍ وخيـولُ

---

1 - عبد الحليم ، عبد اللطيف ، **أدب ونقد** : 8.

2 - شبق : المرأة الشبقة :المرأة السافلة . ينظر :ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (شبق).

3 - **الديوان** : 184.

4 - الحاوي ، إيليا ، **فن الهجاء وتطوره عند العرب** : 456 .

5 - هو شمس الدين أبو طالب محمد بن عبد الله بن صابر السلمي ، عُرف بابن سيدة ، من أهل بيت كبير في دمشق من ذوي العلم والحديث والتصوف وقد توفي سنة 637هـ. ينظر:أبو شامة المقدسي، **ذيل الروضتين** 258/5،ابن العماد الحنبلي،**شذرات الذهب** 325/7-326 .

6 - خول : خولُ فلان: أتباعه الذين يملك أمورهم. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (خول) .

مــا أَنْــتَ إلا كالعقــابِ فأمــه   معروفــــةٌ ولــــه أب مجهــــولُ[1]

فــابن عنــين أزرى بــابن ســيدة ، وحطمــه وجــرده مــن كــل فــضيلة فأضــحى بــلا نــسب معــروف يلــوذ بــه ويعــود إليــه ، فأشــبهه بطــائر العقــاب أمُــه معروفــة وأبــوه مجهــول الأصــل ، لأنهــا لا تقتــصر فــي معاشــرتها علــى رجل واحد ينــسب إليــه ، وبــذلك يكــون قــد طعنــه فــي شــرفه ، ومعــروف أن " العربي يفخر فخــراً لا حــد لــه بــشرف نــسبه ، ولــم يحــدث أبــداً أن شــعباً مــن الــشعوب ، عــدا العــرب ، قــد رفعــوا مــسائل أنــسابهم إلــى مرتبــة العلــم الصحيح وجلاله "[2] .

أما ابن دنينيــر فقــد هجــا الــوالي المعتمــد شــحنة دمــشق[3]، وشــكك فــي أصــله ونــسبه فــي ســباب عــامي مُبتَــذَل تنــاول فيــه الآبــاء والأمهــات ، إذ يقول :   " الطويل"

نُــسِبتَ إلــى الحــدباءِ زوراً وإنّمــا   إلــى بعلبــك أنــتَ تُعــزى وتُنْــسب
وقلــتَ ابــن موســى أي موســى ادعيتَــه   لأمــك بعــلاً أنــتَ فيــه تكــذب
وإنــك لــم تعلــم أبــاك مــن الــورى   فَتُعزى له يا خــزي مــن مــا لــه أب[4]

---

[1] - **الديوان** : 235 – 236 .
[2] - مكي ، الطاهر ، **امرؤ القيس حياته وشعره** 120.
[3] - الوالي المعتمد شحنة دمشق : إبراهيم بــن موســى الأميــر مبــارز الــدين العــادلي المعــروف بالمعتمد والي دمشق ، ولد بالموصل وقدم إلى الــشام وخــدم نائبهــا ، ولاه العــادل شــحنيكية دمشق فكان مــن أخْيَــر الــولاة وأعفهــم نفــساً وأحــسنهم ســيرة تــوفي ســنة 623. ينظــر: الصفدي ، **الوافي بالوفيــات**151/6- 152 ، ابــن كثيــر، **البدايــة والنهايــة** 624/8 ،أبــو شامة المقدسي، **ذيل الروضتين** 277/5 .
الــشحنة : الحــاكم العــسكري أو محــافظ المدينــة ، أو نائــب الملــك أو رئــيس الــشرطة ينظر:الزبيدي ، **تاج العروس** مادة (شحن) .
[4] - **الديوان** : 608 .

فالشاعر اتهم مهجوه بالكذب ، ونفى عنه صحة ما ادعاه من نسبه إلى موسى بل جعل أباه مجهول الهوية بحيث لا يستطيع أن يميزه من بين الآباء .

وهذا أبو نصر بن الدندان يلجأ إلى الأسلوب الحواري للنيل من مهجويه والطعن في نسبهم ، ويبدو هذا الأسلوب قريباً من طريق المحادثة والقصة لما فيه من سؤال وجواب وحوار ونقاش ، وهو ما حمل بعض الهجائين على اتخاذه سبيلاً لفنية الهجاء[1] وقد اصطنعه الشاعر مستخدماً الحوار ، في قوله : " البسيط "

قـالوا أَتَمدح أَقْوامـاً وأُمهـم … مـن قـد عرفْتَ فَتُطْغيهم بـلا سـببِ

فقلتُ لا تَحرموني بِالملامِ فمـا … أشْفقتُ مِن هجوهم إلا على نسبي

لأن أُمهم مـا فاتَهـا أحـد … فخِفتُ مِن أن يكونوا إخْوتي لأبي[2]

فالشاعر يظهر حرصاً شديداً على صون عرضه وطُهر نسبه ، ومع ذلك فقد نسب والده إلى الخنا وقذفه بالزنا ، حيث اعتقد أن أباه أبوهم . وإذا كان إخوته من الأب فقد شاركهم اللؤم لأجل النسب ، وهذا يبعث في نفسه الخوف من ضعة نسبه وبخاصة من جهة الأم ، مما يجعله منبوذاً كما كان الحال عند العرب قديماً وهو ما عبر عنه في البيت الأخير .

---

[1] - ينظر : التميمي ، قحطان رشيد ، **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث** 347 .

[2] - العماد الأصفهاني، **الخريدة(قسم شعراء الشام)** 456/2.

وقد غمز فتيان الشاغوري في نسب قاضٍ يُدعى الجمال المصري[1] دون أن يصرح باسمه علانية بذلك ، فيقول : " الخفيف "

ما الجمالُ المصري عِنْدي إلا ذهب مثلُه يُسك ويُصرفْ
أمه مِصر فهي معرفةٌ لكن أبوه منكر ليس يعرفْ[2]

فالصورة التي رسمها الشاعر لمهجوه مزرية فقد جعل ظاهره جميلاً له قيمة كالذهب ، لكن سرعان ما حول تلك الصورة إلى صورة قبيحة تتمثل في معرفة حقيقة نسب جمال المصري التي لا يعرفها أحد إلا بعد البحث عن أصله ، وفي الوقت نفسه رمى أمه بالفحش حين جعلها مرتعاً للرجال فضاع نسبه فلا يُعرف أبوه من بين الرجال الذين واقعتهم أمه .

2. **هجاء العيوب الخُلقية :**

اتخذ الهجاؤون من الصفات الخلقية روافد غنية لأهاجيهم ، ينسجون منها صوراً ساخرة لإلحاق الأذى النفسي بمهجويهم ، ليقذفوهم بسهام غضبهم ، منفسين بذلك عن دخائل أنفسهم ، ومفصحين عما يعتمل في صدورهم تجاههم ، وكانت رذيلة البخل من أبرز الصفات التي لجأ

---

1 - هو يونس بن بدران بن فيروز جمال الدين المصري ، كان قاضي القضاة بدمشق ووكيلاً لبيت المال له شعر حسن توفي سنة 623هـ . ينظر:أبو شامة المقدسي، **ذيل الروضتين** 224/5 ، الأسنوي، **طبقات الشافعية** 246/2 ،الذهبي، **العبر** 192/3 ، ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة** 296/6 .

2 - **الديوان** : 280.

إليهـا الـشعراء فـي أهـاجيهم ، وقـد حـرص العربـي علـى البـذل لـضيوفه ، وعد ذلك مكرمـةً أخلاقيـة عليـه أن يـصنعها ولـو فـي أحلـك ظروفـه ، تجنبـاً لألسنة الهجائين ، ومـنعهم مـن ذمـه ، ونقـل ذلـك فـي الآفـاق حتـى لا يـصير ذكـره متـداولاً فـي أحاديـث الركبـان ، فيـصمونه بكـل عيـب ويـشوهون صـورته أبـد الـدهر ، " فـالعربي يقـوى بمدحـه ويـضعف بـسبته ، فـإذا كـان كرم العربي مظهر قوة وسيادة ، فبخله سبة ومذمة "[1] .

لقـد اسـتخدم شـعراء مـصر والـشام كغيـرهم تلـك الرذيلـة لرمـي مهجـويهم بهـا ، فتخيـروا شـتى الوسـائل وكافـة الألفـاظ المؤلمـة لإلـصاقها بهـم، وسـواء أكـان ذلـك حقيقـة أم بـاطلاً ؟ " وإن اقتـصر فـي هـذا العـصر على الاسـتخفاف والتقريـع واسـتهجان الخلـق الـسيء والفعـل القبـيح مـع رسـم الـصورة القبيحـة المـستهجنة أحيانـاً "[2] ، فهـذا ابـن الـساعاتي ينعـت مهجـوه بالبخل وهـو زاهـد بالمحامـد ، ويرميـه بـاللؤم ويـصفه بالأبلـه والجبـان وقـبح الـصورة ولـيس لـه مـن كـريم الـشيم سـوى صـفات العبـد ، فيقول : " الطويل "

وذي ثروةٍ مـا زالَ يرغـب فـي الخنـا ... ويزهـد فـي كَـسبِ المكـارمِ والحمـدِ
هـو المـرء لا يـزداد إلا لآمـةً ... ولو زوجـوه الحـور فـي جنـةِ الخُلْـدِ
عجبـتُ لِكفيـهِ ومـا بهمـا نَـدى ... وقد قيل إن المـاء فـي الحجـر الـصلْدِ
وأملـت نِعمـاه فلمـا بلوتُـه ... بليـت بممنـون النّـدى مقِـر الـوردِ[3]

---

[1] - التميمي ، قحطان رشيد ، **اتجاهات الشعر في القرن الثالث الهجري** 44.

[2] - الهيب ، أحمد فوزي ، **الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء** 105 .

[3] - مقر : المقر : السم ، وقيل شجر مر ، وقيل هو الصبِر نفـسه .ينظـر : ابـن منظـور ، لـسان العرب ، مادة (مقر) .

بأبلـه مـن ضـب وأجـبن مـن طِلـي[1]   وأبخـل مـن كلـبٍ وأقـبح مـن قـردِ

ونـدعوه بـالمولى علـى كـل حالـةٍ   ولكنـه يـأبى سـوى شِـيمِ العبـدِ[2]

فالشاعر يـصفه بـصورة مزريـة فـلا كـرم عنـده وربمـا يكـون الحجـر الألمـس فيـه ذرةٌ مـن نعمـة لـم تكـن عنـده ، فطالـب كرمـه لا يحـصل منـه على شيء كوارد مِقْر الخلاء يجده بعد الرعاة خالياً .

أما هبة ا الإسـواني ، فقـد أظهـر نـدماً علـى وقـت ضـيعه فـي مـدح قـومٍ بخـلاء لا يـرى مـنهم سـوى بـشاشة الوجـه وطيـب الكـلام ، فلمـا فقـد الأمل من هبته ذمـه بأسـلوب سـاخر متمنيـاً لـو جعـل شـعره رثـاء فـي كـرام لبقي ذكره مع الأيام ، فيقول :   " المجتث "

أتْعبـتُ نَفْـسي وفِكـري   فـي مـدح قـومٍ لِئـامِ

وغرنـي حـسن بِـشْرٍ   مِـنْهم وطيـب كـلامِ

فمـا حـصلْتُ لـديهم   إلا علـى الإعـدامِ

ولـو جعلْـتُ قريـضي   مراثيـاً فـي الكِـرامِ

لحـزتُ ذِكـراً جميـلاً   يبقـى علـى الأيـامِ[3]

وقـد جعـل أسـامة بـن منقـذ رذيلـة البخـل داء استـشرى فعـم أرجـاء كثيرة حتى صار شائعاً بين الناس ، يقول :   " مجزوء الكامل "

قـل للرجـاء : إليـك ، قـد   أتْعبتنـي بعـد الكِـرامِ

قـد عـم داء البخـل حتْـ   ـتَى شـاع فـي كـل الأنـامِ

---

[1] - طلي : الطلي الصغير من أولاد الغنم ، وإنما سمي طلياً لأنه يطلـى أي تـشد رجلـه بخـيط إلـى وتد أياماً . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (طلي) .

[2] - **الديوان** : 2/ 12 – 13.

[3] - العماد الأصفهاني،**الخريدة (قسم شعراء مصر)** 2/194 ، الأدفوي ، **الطالع السعيد** 703 .

فـأكفهم بالبخـل مقفلةٌ علـى سـحتِ الحطـامِ[1]
فـإلام ترتـاد المحـول وترتجـي ري الجهـامِ[2] [3]

وسـلك الـشعراء مـسالك عـدة فـي تحطـيم مهجـويهم وكـشف أخلاقهـم الشائنة وقـد ذكروهـا فـرادى ، وربمـا جمعوهـا فـي مقطوعـة واحـدة كإفـشاء السر والغيبـة والكـذب ،وقـد جمـع محاسـن الـشواء تلـك الـصفات فـي هجـوه لأحد أصدقائه في قوله : " الخفيف "

لـي صديقٌ غـدا وإن كـان لا ينـطقُ إلا بغيبـةٍ أو محـال
أشـبه النـاس بالـصدى إن تُحدثْـه حـديثاً أعـاده فـي الحـال[4]

فصديق الشواء كاذب مغتاب لا يحفظ سراً بل سرعان ما ينشره .

وتتكـرر صـفة النميمـة ونقـل الأحاديـث علـى لـسان ابـن الـساعاتي فيرسـم صـورة معبـرة لـشخص نمـام معتمـداً علـى المفارقـة القائمـة علـى الـسخرية وقـد الـتقط الـصورة مـن عـالم الحيوانـات التـي تنـشر الأمـراض المعدية ، فيقول : " الطويل"

أحـط علـى مأكولـهِ مـن ذُبابـةٍ وأنقـل فـيهم للحـديثِ مِـن النمـل
بلاهـم بـه الـقـوي فإنـه أشد من الطـاعون فـي زمـن المحـل
حـسام ولكـن للمـوداتِ حـسمه يـشام لإفـسادِ الأخِـلاءِ لا القتْـل

[1] - سحت الحطام : كل حرام وخبيث فـي الـدنيا فـانٍ وزائـل . ينظـر : ابـن منظـور ، **لـسان العرب** ، مادتي (سحت ، وحطم) .

[2] - المحول : مفردها محل ، وهي الجوع الـشديد ، والمحـول والقحـوط هـي احتبـاس المطـر . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (محل) .

[3] - **الديوان** : 260. والجهام : السحاب الذي لا ماء فيه. ينظـر : ابـن منظـور ، **لـسان العـرب** ، مادة (جهم) .

[4] - ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب** 311/7.

فَحَـصلْ لـه نَعـلاً يـزين أديمـه   فلا بـد للسيف الصقيل مـن النعـل[1]

فـالمهجو نمـام لا يتوقـف عـن نقـل الحـديث بـين النـاس ، فهـو كالـذباب فـي حركتـه وكالنمـل فـي سـعيه ، وإذاه أشـد مـن الطـاعون ، حاسـم في الفتك والإفساد ، جميل المظهر سيء المخبر .

ومن العيـوب الخلقيـة الخيانـة والغـدر ، وقـد عبـر عرقلـة الكلبـي عـن شكواه من النـاس الـذين قـلّ فـيهم الأصـدقاء وكثـر فـيهم الخـائنون الغـادرون ، إذ يقول :   " الكامل "

كثُـر الخئـون وقلّـتِ الإخـوان   فـالقوم لا حـسن ولا إحـسان
يا ليـتَ شِـعري أيـن كُنْـتُ مِـن الـدنى   والنـاس نـاس والزمـان زمـان[2]

وراح بعض الـشعراء يـستغل عيبـاً خَلْقيـاً فـي مهجـوه فرسـم لـه هيئـة مضحكة ؛ ليزري به فـي تلـك الـصفة ، كمـا فعـل القفطـي حـين جعـل رجـلاً أعور كثير الثرثرة بعين واحدة ولسانين، إذ يقول :   " السريع "

شـيخ لنـا يعـزى إلـى منـذر   مـستقبح الأخـلاق والعـين
مـن عجـبِ البحـر[3] فحـدثْ بـه   بفـرد عـينٍ ولـسانين[4]

وعيـب بعـضهم بـصفة اللـؤم كمـا فعـل النـاجي المـصري فـي مهجـوه، إذ يقول :   " السريع "

---

[1] - **الديوان** : 72/2.
[2] - **الديوان** : 99.
[3] - وردت كلمة " الدهر " بدل " البحر " في **معجم الأدبـاء** ليـاقوت ينظـر: 180/15. وأنـا أميـل إلى كلمة الدهر .
[4]- ابن الفوطي، **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة** 186.

مـــا علـــم الدولـــةِ[1] إلا امـــرؤٌ لا يعـــرف الـــشكر ولا الحمـــدا
لـــو دخـــل الحمـــام مـــن لؤمـــه فـي الـصيف لـم يعـرقْ ولـم ينـدا[2]

وتطرق بعض الـشعراء إلـى صـفة النفـاق كمـا فعـل ابـن الخـل حـين وصـف مهجـوه بأنـه يـشوب دينـه بالنفـاق والحقـد والحمـق ليقنـع مـستمعيه بكلامه في أسلوب عامي يفهمه الجميع ، إذ يقول :   " الكامل "

ومـــن الـــشقاوة أنهـــم ركبـــوا إلـــى نزعـــات ذاك الأحمـــق النمـــامِ
شـــيخ يبهـــرج دينَـــه بنِفَاقِـــهِ ونفاقُـــه مِـــنْهم علـــى أقـــوامِ
وإذا رأى الكرسِـــي تـــاه بأنْفِـــهِ أي أن هـــذا مـــوطني ومقـــامي
ويـــدق صـــدراً مـــا انطـــوى إلا علـــى غِـــل يواريـــه بكـــف عظـــام
ويقـول أيـشُ أقـولُ مِـن حـصرٍ[3] بـهِ لا لازدِحـــامِ عِبـــارةٍ وكـــلام[4]

فالـشاعر أزرى بهـذا الـواعظ وسـلبه فـضائله النفـسية ، حـين بـين أن وعـظ الناس لم يكن هدفاً حقيقياً له وإنما تستر به ليحتل منصباً لا أهلية له به .

وذهـب بعـض شـعراء هـذا العـصر إلـى إلحـاق الأذى بـالمهجوين مـن خلال أسمائهم فابن قلاقـس يتحـدث عـن صـفة النفـاق فـي شـخص اسـمه علـي ويسخر منه وقـد شـبهه بالمـاء يتلـون فـي كـل مـرة ، لكنـه مـاء آسـن كريـه الرائحة ، إذ يقول :   " الخفيف "

يـــا علـــي الـــذي دعـــوه عليـــاً ســـمة أخبـــرتْ عـــن العليـــاءِ

---

[1] - علم الدولة : شخص لم أهتد إلى ترجمته .
[2] - ابن العماد الأصفهاني، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 103/2.
[3] - حصر : ضرب من العي ، وحصر الرجل : لم يقـدر علـى الكـلام . ينظـر : ابـن منظـور ، **لسان العرب** ، مادة (حصر) .
[4] - الصفدي ، **الوافي بالوفيات** 303/7 .

أنت كالماء غير أن لستَ تَصفُو وقبيح بالماءِ تَركُ الصفاءِ

أي فَضلٍ للأصدقاءِ إذا كنـ ـت تراهم بحالة الأعداءِ

قد تلونْتَ أيها الشمس حتى قُلتُ ألبستَ جِلدةَ الحرباءِ[1]

ومن العيوب الخلقية صفة الطمع اتخذها الشعراء سبيلاً للازدراء والسخرية كما فعل عرقلة في وصفه لطماع يدعى ابن ثريا ، فيقول : " السريع "

لا تَقر قُدن وابن ثريا معاً فإنّه أطمع من أشعب

كم دب كالعقرب سكرا ، وكم قد قتلوه قِتلة العقرب[2]

وقد ذم شعراء هذه الفترة بعض السلوكيات السيئة في أصدقائهم، وأظهروا منهم تبرماً لتقلب أمزجتهم ، وصوروا حيرتهم في كيفية التعامل معهم ، فلا الزيادة تقربك منهم ولا البعد يسلمك من لومهم وفي ذلك يقول الأمير يغمر بن عيسى : " البسيط "

وصاحب لا أعاد الدهر صحبتَه صحِبتُه وأراه شر من صحِبا

لا يستقيم على حالٍ فأعرفُه ولا يفوه بخير ، جِد أو لعِبا

إن زرتُه قاضِياً حق الإخاءِ له غاب احتجاجاً وإن أهملتَه عتِبا

وإن تَنَصلتَ مما قالَ معتذِراً أبى القبولَ ، وإن عاتبتَه غضِبا[3]

واتخذ بعضهم نقض العهد رافداً يصب فيه حممه على مهجوه ، وساواه مع اليهود فيها وجعله صفة متأصلة في نفسه ، كما فعل سليمان بن بليمان يُعرض بشخص اسمه البهاء ، فيقول : " الكامل "

---

[1] - **الديوان** : 122 .

[2] - **الديوان** : 14.

[3] - العماد الأصفهاني، **الخريدة(قسم شعراء الشام)** 390/1.

لا تطلبن من البهاء مودةً فلقد ثنتْه عن الجميل جدود

واعذره إن خان الوداد وضيعتْ يوماً لديه مواثقٌ وعهود

فشعاره أن لا يفي لخليله ومتى وفتْ للمسلمين يهود[1]

فالغدر ونقض العهد صفة متجذرة في البهاء ورثها كابراً عن كابرٍ كما توارث أبناء اليهود غدرهم عن أجدادهم .

وقد وجد الشعراء في الألقاب محركاً لقرائحهم لإيقاع أشد الأذى بمهجويهم ، متخذين من كل لقب قبيح أداة للسخرية والتحقير وهو أسلوب استخدمه أصحاب النقائض فهذا نجم بن أبي درهم الحلبي يتخذ من بني نفاية سبيلاً لهجائهم ، فيقول : " الكامل "

أبني نفايةَ إن سعدكُم جاءتْ بهِ الأيام عن غلطِ

قد صار هذا الناس أكثرهم سقطاً فكيفَ نِفَايةُ السقطِ[2]

وقد وُجِد من الشعراء من بالغ بهجوه ، فأزرى بمهجويه وجردهم من جميل فضائلهم النفسية ، وحط من شأنهم فجمع لهم ، كما فعل ابن المسجف حين هجا قوماً فرماهم بالجبن ، واللؤم ، والبخل رغم محاولاتهم سترها بما يملكون من ثراء ، فيقول : " الكامل "

يا رب كيفَ بليتني بعصابةٍ ما فيهم فضلٌ ولا إفْضالُ

متنافري الأوصافِ يصدقُ فيهم الـ ـهاجي وتكذب فيهم الآمالُ

غطّى الثراء على عيوبِهم وكم من سوءةٍ غطّى عليها المالُ

جبناء ما استنجدتهم لِملمةٍ لؤماء ما استرفَدتَهم بخّالُ

---

[1] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 67/2 – 68 .

[2] - العماد الأصفهاني،**الخريدة (قسم شعراء الشام)** 182/2.

فوجـوهم عـوذٌ[1] علـى أمـوالهم   وأكفّهـم مـن دونهـا أقفـالُ
هـم فـي الرخـاء إذا ظفـرت بنعمـةٍ   آلٌ ، وهـم عِنْـد الـشدائد آلُ[2]

ويطـول بنـا الحـديث عمـا تناولـه الـشعراء مـن مـساوئ خلقيـة فـي مهجويهم ، فلم يـدعوا رذيلـة إلا أتـوا بهـا لتحطـيمهم ، وقـد وصـل بهـم الأمـر إلـى الفحـش الـذي يخـرج عـن حـدود اللّياقـة الأدبيـة ، فعمـدوا إلـى ذكـر الألفـاظ النابيـة والـصور الفاضـحة التـي تجعلنـا وغيرنـا نترفـع عـن ذكرهـا[3] وهي صور تفقـد الهجـاء قيمتـه كمـا يقـول الجرجـاني " أمـا القـذف والإفحـاش فـسباب محـض ، ولـيس للـشاعر فيـه إلا إقامـة الـوزن ، وتـصحيح الـنظم "[4] إذ ينبغـي علـى الـشاعر أن ينـأى بنفـسه عـن الفحـش والإقـذاع ويلجـأ إلـى الـسخرية والتعـريض ففيهمـا قيمـة الهجـاء كمـا يقـول أحمـد الـشايب : "ويحـسن أن يبـرأ الهجـو مـن الفحـش والـسباب وأن يخـرج مخـرج الـسخرية والتعريض مـع قـرب المعـاني وسـهولة الحفـظ "[5] وقـد يكـون الفحـش الـشعري محل نقـد وذم مـن العلمـاء كمـا يقـول المظفـر العلـوي : " وينبغـي للـشاعر أن يتعفـف فـي شـعره ، ولا يـستبهر بـالفواحش ولا يـتهكم فـي الهجـاء ، فـإن العلماء ذموا من اعتمد ذلك ومن كان يتعهر ولا يتستّر "[6] .

---

[1] - عوذ : رقيا يرقى بها . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (عوذ) .
[2] - الكتبي ، **فوات الوفيات** 284/2.
[3] - ينظر: على سبيل المثال نماذج من هجاء - ابن عنين ، ديوانه صفحات 180 ، 181 ، 183 ، 186، 187 ، 190 ، فتيان الشاغوري ، **ديوانه** : صفحات 259 ، 260 ، ابن سناء الملك ، ديوانه : صفحات 473/2 ، 478 ، 479 ، 488 .
[4] - **الوساطة بين المتنبي وخصومه** 24 .
[5] - **الأسلوب ، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية** 88 .
[6] - **نَضرةُ الإغريض في نصرة القريض** 393 – 394 .

3. هجاء العيوب الخَلقية :

لم يتوقف هجاء الشعراء على التعريض بالفضائل الخُلقية والنفسية بل تعدوه إلى هجاء العيوب والنواقص الجسدية ، ومن خلال مطالعتنا لهذا اللون من الهجاء فقد عمد الشعراء إلى رسم صور ساخرة لبعض أجزاء مهجويهم البدنية ، يقول رشيد القحطاني : " إن، توجيه الشعراء الهجاء بشكل واسع نحو العيوب البدنية في الإنسان ، إلى جانب توجيهه نحو العيوب النفسية ، دليل واضح على أنهم ينشدون الكمال والجمال لدى الآخرين في الناحيتين الشكلية والنفسية "[1] لكن معظم النقاد يجمعون على أن أولوية الهجاء وأفضله يكون بالفضائل النفسية وفي ذلك يقول حازم القرطاجني " فأما خلقة الإنسان وصورته فليس في قدرته نقل شيء منها عما وجد عليه ، فحمد الإنسان بما يستحسن من هذا القبيل مخادعة له ، وذمه بما يستقبح من ذلك تحامل عليه "[2] .

وأبرز العيوب الجسدية التي تناولها شعراء هذه الفترة الزمنية اللّحى فقد رسموا لأصحابها صوراً كاريكاتورية ساخرة تثير الضحك وتحط من قدر صاحبها ، وتشوه صورته الإنسانية وتذهب وقاره ، فقد عدت اللحية مظهراً للوقار والتدين منذ أمد بعيد فها هو ابن سناء الملك يعرض برجل يدعى ابن عمر ويصور لحيته كمروحة الجيش تجلب لهم

---

1 - **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري** 60 .

2 - **منهاج البلغاء** 169 .

الــريح فــي المكــان الــذي يحتــاج إليــه الجنــد للتــرويح مــن الحــر ، فيقول :   " الخفيف "

عرضــتْ لحيــةُ ابــن عمــرو كمــا طــا   لــتْ فَحلْقــاً لهــا وســحقاً وبعــدا
إنمــا أصــبحت كمروحــةِ[1] الجيــ   ش حكتهــا لونــاً وشــكلاً وبــردا[2]

ومــن الــصور التــي رســمها الــشعراء لمهجــويهم بهــدف الــسخرية والتهكم وإثارة الضحك ، مـا فعلـه ابـن قلاقـس فـي رجـل عظـيم اللحيـة حـين هجــاه مــستخدماً ألفاظــاً معبــرة تقــوم علــى المفارقــات وتبــرز المعايــب ، إذ يقول :   " مجزوء الرمل "

جاءنَـــــا يحمِـــــلُ ذَقْنَـــــاً   حـــــسبك ا وحـــــسبي
شَـــعرها لـــو كـــان شِـــعراً   كـــان مِثْـــلَ المتنبـــي
تَركَـــتْ صـــدرته الـــسو   داء منهـــا تحـــت قـــب[3]
وهـــي فـــوق الـــصدر قـــد ســـد   دتْـــه مـــن شـــرقٍ لغـــربِ
لحيـــةٌ ردتـــه فـــي النـــا   س ولا ضـــرطَةُ وهـــبِ[4]

فالــشاعر يثيــر الــضحك للمنظــر الــذي رســمه لطــول تلــك اللحيــة الممتــد بين الــشرق والغــرب ، فاكتــسب صــاحبها شــهرةً كمــا اشــتهر وهــب بــضرطته التي ذاع ذكرها في كتب الأدب .

---

[1] - المروحة : بالفتح المفازة ، وهي الموضع الذي تخترقه الريح . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (روح).

[2] - **الديوان** : 475/1 وللاستزادة في هجاء كبر اللحية ينظر: **ديوان الزمخشري** 460.

[3] - قب : الرأس الأكبر. ينظر: ابن منظور **، لسان العرب**، مادة (قبب).

[4] - **الديوان** : 376 . ووهب : شخص لم أهتد إلى ترجمته .

أما علي بن عرام الأسواني فيصور هاجياً لحية أحد الشعراء في كبر حجمها ، ويشبهها بلحية تيس مستخدماً ألفاظاً فاحشة خارجة عن حدود اللياقة الأدبية ، إذ يقول : " مجزوء الرجز "

شَاعِرنا ذو لحيةٍ قد عرضتْ وانفسحتْ
لحيةُ تَيسٍ صلُحتْ لفقحةٍ[1] قد سلحتْ[2]

وقد تناول شعراء مصر والشام الأنوف في هجائهم ، فأعادوا رسم صورتها سخريةً واستهزاء بأصحابها ، وأشعارهم في ذلك كثيرة فهذا ابن قادوس يصور بشاعة أنف مهجوه ، وشدة ارتفاعه بحيث يكاد من شدة طول أنفه أن يصل نجوم السماء ، وأزرى به حين جعل من يراه يستعيذ منه رغم أنه من خلق ا ، فيقول : " البسيط "

عليك لا لَك أنفٌ ظل مشترفاً حتى غدا بنجوم الأفْق ملتَصقا
فلا تقل خِلقةُ ا ازدريتَ بها فقد يعاذُ به من شر ما خلقا[3]

وهذا ابن الساعاتي يهجو رجلا يدعى السديد معبراً عن ضخامة أنفه ، بقوله : " مجزوء الكامل "

يا مانعي صفو الوصا ل ومانحي كدر الصدود
ما ضاقت الدنيا علي ـي وقد حوتْ أنف السديد[4]

---

[1] - الفقحة : حلقة الدبر . ينظر: ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (فقح) .
[2] - ينظر:العماد الأصفهاني، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 172/2، الأدفوي ، **الطالع السعيد** 380 .
[3] - العماد الأصفهاني،**الخريدة (قسم شعراء مصر)** 234/1.
[4] - **الديوان** : 232/1. والسديد : هو السديد الفاضلي المكي .وهو شخص اشتهر بكبر أنفه . ينظر : ابن العماد الحنبلي ، **شذرات الذهب** 260/6 .

ورسـم إبـراهيم الـشيباني صـورة بـشعة لـصاحب أنـف كبيـر يـضيع فيه فيـل مـن ضـخامته ، وصـوت شـخيره كبـوق إسـرافيل يبعـث الفـزع فـي نفس سامعه ، إذ يقول : " الخفيف "

.... أنـــــــف عظـــــــيم	**فـــي خياشـــيمه يـــضيع الفيـــلُ**
ولأنفاســـــه صـــــفير إذا مـــا	**ســـمعتْ قيـــل قـــام إســـرافيلُ[1]**

وتعـد حدبـة الظهـر مـن العيـوب الجـسدية التـي تناولهـا الـشعراء ، وربما قـصدوا منهـا التنـدر والإضـحاك والطرافـة ، فهـذا ابـن الـذروي يجعـل مـن حدبـة الظهـر – علـى سـبيل الـسخرية – مظهـراً مـن مظـاهر الحـسن والجمـال فيـشبهها بـالظلال والقـسي الـصلبة التـي لا تلـين ، والهـلال مقـوس ولا جمـال فـي تقوسـه وإنمـا الجمـال فـي تمامـه ، وفيـه يقول : " الخفيف "

لا تظـنن حدبـةَ الظهـرِ عيبـاً	**فهـي لِلْحـسن مِـن صـفات الهـلال**
وكـذاك القـسِي محـدودِباتٌ	**وهـي أنْكَـى مـن الظّبـى والعـوالي**
وأرى الانْحِنَـاء فـي مِنْـسر الكـا	**سِـرِ يلقَـى ومخْلَـبِ الرئْبـال[2]**
وتَعجلَـتَ حمـلَ وزرك فـي الظهـ	**ـرِ فأمنَـاً فـي موقِـفِ الأهـوال**
إن حمـلَ الـذنوبِ أهـون فِـي الدنـ	**ـيا علـى أنـه مِـن الأثْقَـال**

فظـاهر الأبيـات يـوحي بالحـسن والجمـال والمـدح لكـن باطنهـا قـدح ، وهو ما سـماه صـاحب خزانـة الأدب الهجـو فـي معـرض المـدح بقولـه " وهـو

[1] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 154/1.

[2] - العماد الأصفهاني، **الخريدة (قسم شعراء مـصر)** 188/1،أبـو شـامة المقدسـي ، **الروضـتين** 69/3 .

أن يقــصد المــتكلم هجــاء إنــسان ، فيــأتي بألفــاظ موجهــة ظاهرهــا المــدح وباطنهــا القــدح ، فيــوهم أنــه يمدحــه وهــو يهجــوه "[1] ويظهــر قــول صــاحب الخزانــة حــين يمــضي فــي هجائــه فيجعــل النــساء مفتونــات بحدبتــه متمنيــات أن يكون لكـل رجـل حدبـة ويُنهـي ابـن الـذّروي سـخريته معبـراً عـن شـوقه الدائم لرؤية صديقه ولو في الأحلام ، فيقول : " الخفيف "

فَأَتَــتْ ربــوةً علــى ظَــودٍ جِلْــمٍ ... منــك أو موجــةً ببحــرِ نــوال

مــا رأتْهــا النِّــساء إلا تمنــتْ ... لــو غــدت حِليــةً لكــل الرجــال

وإذا لــم يكــن مــن الهجــر بــد ... فعــسى أن تزورنــي فــي الخَيــال[2]

وهــذه صــورة أخــرى يرســمها أبــو المكــارم هبــة ا بــن مقلــد المــصري لرجــل أحــدب يــسخر منــه ويــشبهها بفــارة نجــار ، إذ يقول : " السريع "

انظــر إلــى الأحــدبِ مــع عِرسِــهِ ... وهــي علــى الجبهــةِ مبطوحــه

كأنــه لمــا عــلا ظهرهــا ... فــارةُ نجــار علــى شــحطه[3]

وفــي إطــار هجــاء العيــوب الجــسدية ، فقــد أمعــن الــشعراء فــي ســخريتهم واســتهزائهم بمهجــويهم ، وعمــدوا إلــى تــضخيم عيــوبهم

---

[1] - ابن حجة الحموي 275/2 .

[2] - العمــاد الأصــفهاني، **الخريــدة (قــسم شــعراء مــصر)** 188/1 ، أبــو شــامة المقدســي ، **الروضتين** 69/3 .

[3]- العماد الأصفهاني، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 150/2 . وشحطة : الشحط : أثر الخدش . ينظر: ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (شحط) .

مستخدمين المفارقة اللفظية التي تثير الضحك كما فعل ابن المسجف العسقلاني عندما هجا شخصاً بخيلاً أحولَ ، فيقول : " الخفيف "

وغريــرٍ كأنّــه غــصن تــين أحــولٌ المقلتــين مــر لمــاه
قلــتُ : مــا الاســم قــد أطــالَ عنــائي قــال : مــسعود ، قلــتُ مــن لا يــراه[1]

ويبدو لي أن هناك عوامل دفعت الشعراء للجوء إلى هذا النوع من الهجاء ربما ضعف الوازع الديني يكون واحداً منها ، لأن من يقرأ قوله تعالى **ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب** [2] لا يكثر من هذه السخرية المفرطة ، ويضاف إليها أسباب نفسية منها : وصف المهجو بالنقص ويمكن أن نلحظ ذلك عند عرقلة الكلبي يصف نفسه بأعور الدجال لعورٍ به ، فيقول : " مجزوء الرمل "

لــي حبيــب قــده قُــد مــن الــسمر الرقــاق
مــن رآه ورآنــي قــال ذا غيــر اتفــاقي
أعــور الــدجال يمــشي خلــف عــوج[3] **بــن عنــاق**[4]

وقد اتخذ الشعراء من سواد البشرة درباً للمداعبة والتندر قد تصل إلى الفحش والقدح بالمهجو ، ويجعلون له صورة قبيحة ، وللقاضي الفاضل مقطوعة يهجو فيها صديقاً أسود البشرة ، فيصور تغير

---

[1] - الكتبي ، **فوات الوفيات** 248/2.
[2] - **الحجرات** : 11 .
[3] - عوج بن عناق:رجل من اليهود يقال إنه يظهر آخر الزمان وهو أعور ، وفي الأساطير أنه طويل عجيب ، وقيل إنه عاش زمن موسى ومات على يديه . ينظر : السيوطي ، **الحاوي للفتاوي** 341/2 .
[4] - **الديوان** : 67 .

ســواده لمــا شــاب بفــأرة تمرغــت فــي دقيــق ،

فيقول : " مشطور السريع "

صـديقنا قُـبح مـن صـديق

ميـسر الأخـلاق للعقُـوق

وقاعِـد العِـرض علـى الطريـق

سـواده والـشيب فـي التحقيـق

تمـرغَ الفـأرةِ فـي الـدقيق[1]

وقـد عمـد الـشعراء إلـى تحطـيم مهجـويهم ، فـأزالوا عـنهم كـلّ مـا يجملهم فجمعوا لهم في بيـت واحـدٍ أكبـر عـدد مـن عيـوبهم الجـسدية كمـا فعـل أبو الفـضل جعفـر الحمـوي حـين هجـا يهوديـاً فجعلـه أقـبح النـاس صـورة ، وأشـدهم تنـافر خلقـة ، قـصير القامـة ، طويـل اللحيـة ، بـارز الأنـف ، إذ يقول فيه : " الخفيف "

لحيــة طولهــا ذراع ، وأنــفٌ طـولُ شـبرٍ ، وقامـة طـول إصـبع[2]

ومـا أكثـر الـصور الـساخرة التـي رسـمها الـشعراء لمهجـويهم فهـي كما يقـول محمـد كامـل حـسين : " تُهـم تلـصق بـالمهجو ، أو تجـسيم صـفات قبيحة تلحق به للزرايـة بـه وإيذائـه والنيـل منـه "[3] وقـد تحولـت تلـك الـصور إلى رسم كاريكاتوري تـذكر بـابن الرومـي كمـا فعـل أبـو محمـد عبـد ا بـن الطباخ يصف رجلاً ، بقوله : " الكامل "

قـصرت أخادِعـه وغـاض قذالـه فكأنّـه متوقّـع أن يـصفعا

---

[1] - **الديوان** : 426/2.

[2] - ابن ظافر الأزدي ، **بدائع البدائه** 109.

[3] - **دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين** 167.

وكأنّــــــــه فــــــــــد ذاق أول دريٍ وأحــــس ثانيــــة لهــــا فتجمعـــا[1]

ولــم يــسلم الــثقلاء مــن تعــريض الــشعراء بهــم ، وهــذا يــدل علــى ضجرهم مـن هـذه الـصفة فقـد اتخـذوهم ميـداناً للفكاهـة والـسخرية ، ورسـموا لهـم صـوراً بغـرض الإضـحاك ولأبـي معـروف بـن أبـي محمـد اللخمـي صورة لثقيل ، يقول فيها : " المتقارب "

ثقيــــلٌ تَــــراه إذا مــــا مــــشى تــــئن لــــه الحــــوت مهمــــا وطِ[2]
فلـــو أُدخـــلَ النـــار مـــن ثقلـــه لقالــــت جهــــنم منــــه قــــط[3]

أمــا ابــن الــساعاتي فيجعــل الزلــزال لا يمتلــك القــدرة علــى تحريــك مهجوه من ثقلـه ، وقـد أزرى بـه فـي هيئتـه ، فهـو ثقيـل الـوزن لكنـه قليـل الفهم ، وفيه يقول : " السريع "

مــــــدع تكذّبــــــه نفــــــسه عنـــدي ذكـــاء وهـــو عـــين البلـــه
قابَلـــــــه ا ُ أديبـــــــاً فمـــــــا أخفّـــه رأســـاً ومـــا أثقلـــه
لـــو زلزلـــت ناحيـــةٌ حلّهـــا مـــا حركـــتْ منزلـــه الزلزلـــه[4]

وغــدت الــشوارب عنــد الــشعراء مــادة للتفكــه والدعابــة ، ومـدخلاً لتقبـيح المهجـو وتـشويه صـورته ، فقـد جعـل ابـن قـادوس مهجـوه كالغراب في سواد لحيتـه وشـعر شـاربه ، ويكـون بـذلك قـد قبحـه مـن جهتـين في لحيته وشاربه في قوله : " مخلع البسيط "

---

[1] - العماد الأصفهاني،**الخريدة (قسم شعراء مصر)** 98/2 – 99 .

[2] - وط : وطي ، وطيته وطياً : لغة : أي وطئته . ينظـر: ابـن منظـور ، **لـسان العـرب** ، مـادة (وطي) .

[3] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 130/3. وقط : حـسب ويكفـي . ينظـر: ابـن منظـور ، **لـسان العرب** ، مادة (قطط) .

[4] - **الديوان** : 249/1.

ذو عـــارض كـــالغراب لونـــاً   وشـــاربٍ مثـــل ريـــش ببغـــا[1]

وسـلك الـشعراء خـلال هـذه الفتـرة فـي هجـائهم مـسلكاً يـشوه الـصورة الآدميـة التـي أبـدع المـولى – جـل وعـلا – صُـنعها ، فـشبهوها بالحيوانات التـي تنفـر منهـا النفـوس وتـزور منهـا العيـون ، وفيـه حـط مـن قيمة المهجو ، وتنـدر بـه وسـخرية وتهكـم وضـحك منـه ، ليـذيع ذكـره علـى الأفواه فتبتسم إشفاقاً عليـه حينـاً وانتقامـاً حينـاً منـه آخـر[2] ، وممـن سـلك هـذا الطريق ابـن قلاقـس الـسكندري حـين صـور وجـه رجـل يـدعى ابـن عـدلان بوجه حمار وجعل لحيته مخلاة علقت به ، فيقول :   " الخفيف "

يـا بـن عـدلان يـا أخـس الرجـال   والـذي تـستحق نتـف الـسبال
لـك وجـه الحِمـار لكـن عليـهِ   لحيـةٌ علقـت كـبعض المخـالي[3]

ويعيـب فتيـان الـشاغوري علـى أحـد الكتـاب شـعره الركيـك ، ويـصفه بـصفات نابيـة ، ولا يجـده إلا كالخنـافس إذا مـا أراد المنافـسة فـي الشعر ،فيقول :   " الطويل "

ومـا الـثّلج فـي كـانون يهمـي ربابـه   مليثـاً علـى هـضبي سـنير ولبنـان[4]
بـأبرد مـن شـعرٍ ركيـكٍ تلوكُـه   كلوك ... فكيـف أيـا بـن المـذَيتاني[5]

---

[1] - العماد الأصفهاني،**الخريدة (قسم شعراء مصر)** 234/1 .

[2] - ينظر: الدهان ، سامي ، **الهجاء (سلسلة فنون الأدب)** 41.

[3] - **الديوان** : 271.

[4] - سنير : جبل النبك ، إحدى جبال لبنان ، الرباب ، الغيم والسحاب . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (ربب) ، الماث : المطر بغزارة ينظر: **لسان العرب** مادة (ماث) .

[5] - المذيتاني:لم أقف له على ترجمه.

قــريض يـــسد النـــاس منْـــه أنـــوفهم　　كأنـــك فـــي تكتيلـــهِ بنـــت وردان[1]

فهو يحقر مهجوه حين يشبهه بفصيل من الخنافس.

وصـور الـشواء مهجـوه صـورة قبيحـةً فجعـل طلعتـه وهـو مقبـلٌ علـى بغلته كأنه قرد يتسلق رابية ، فيقول :　　　　" المتقارب "

أتَـــى فـــوقَ بغلتـــهِ للحـــسابِ　　فرحــتُ وقــد قلــتُ قــولَ الــصوابِ

أشـــبهه وهـــو مـــن فوقهـــا　　بقـــردٍ تـــسنّم[2] إحـــدى الروابـــي[3]

وربمـا عبـر بعـض الـشعراء عـن غـضبه وعـدم رضـاه عمـن وجـه إليه نقده ، فجمـع فـي شـعره لمهجـوه عيوبـاً خُلقيـة وخَلقيـة ، ولعرقلـة الكلبـي ضرب من ذلك حين يهجـو مـن وعـده بخـروف ولـم يـف ، وقـد شـبهه بعـدة تـشبيهات ، فوجهـه كالبـدر وقـت كـسوفه ، وقوامـه القـصير كالغـصن المنقصف ، وبنانه في شـحه كبحـر جـف مـاؤه ، فـلا يقطـر بـأي خيـر، وفيـه فيقول :　　　　" مجزوء الخفيف "

يــا أبــا الفــضل بــالنّجفْ　　اســتمع كــل مــا أصــفْ

لــك وجـــه كأنـــه الـــ　　بـــدر لكـــن إذا كُـــسفْ

وقـــوام كأنـــه الـــ　　غـــصن لكـــن إذا قُـــصفْ

وعـــذار كأنـــه النْـــ　　نمـــلُ لكـــن إذا نُتـــفْ

وبنـــان كأنـــه الـــ　　بحـــر لكـــن إذا نـــشفْ

وأب أكـــذب الأنـــا　　م ولكـــن إذا حلـــفْ

---

[1] - **الديوان** : 548 ، وبنت وردان: جمعها بنـات وردان ، وهـي نـوع مـن الخنـافس تتولـد فـي الأماكن الندية ، وأكثر ما تكون فـي الحمامـات والـسقايات. ينظـر : النـويري ، **نهايـة الأرب في فنون الأدب** 137/16 .

[2] - تسنم : تسنمت الحائط إذا علوته من عرضه. ينظر :ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (سنم) .

[3] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 166/8.

كـــم جــــوادٍ وهبتـــــه   حــين أودى بــلا علــفْ
وقبــــاءٍ خَلعتَــــه   وهــو خــارا بــلا ألــفْ
إن مــن يرتجــي خــرو   فــك بالــشّعر قــد خــرفْ[1]

4- شواذ الهجاء الشخصي :

ويقصد بالشواذ من الهجاء الشخصي خروج بعض الشعراء عما كان مألوفاً لدى غالبيتهم ، بتحويل بعض المظاهر الجسدية في المحبوب من مادة تحرك مشاعر الشعراء وعواطفهم لترسم فيه الحسن والجمال ، إلى مادة للذّم تُنَفر النفس ، وترسم للمحبوب صورة قبيحة ووجهاً مشوهاً تعرض العين عن النظر إليه ومن تلك الظواهر الخال[2] ولم نعثر في مطالعتنا على كتاب عرض صاحبه بين دفّتَيه أشعاراً قيلت في ذم الخال، سوى ما طالعتنا به بعض الدواوين الشعرية والكتب الأدبية بقليل منه ، يتم ذكره في هذا البحث كنموذج على تلك الأهاجي الشاذة .

أما ما ورد عن ذكر الخال وجمالها ، وأنواعها وكثرة أوصافها وما صدر عن الباحثين " أن الشعراء تلاعبوا بألفاظ الخال والحسنة والشامة ونحوها ، وما تولّد لديهم من معانٍ كثيرة وصور عدة من التوريات اللطيفة الممتعة ، وما تغزل في خد الحبيب وخاله ، ووصفوا

---

1 - **الديوان** : 63 – 64.

2 - الخال : هي شامة سوداء في الجسد والجمع خيلان. ينظر:ابن منظور،**لسان العرب** ، مادة (خيل) والخال الذي في الوجه هو من التلون وجعل خيل وخيم أصل واحد للمعنى . ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة مادة (خيل وخيم) وذكر أن له اثني عشر معنى. ينظر: النواجي ، **صحائف الحسنات** 29.

اجتماعها وسرح خيالهم في ذلك مسرحاً واسعاً"[1] فقد ألّفت فيها كتب عديدة تم التعريف بها وذكر المختار من الأشعار التي قيلت فيها .

ويُعد الصفدي أبرز من تحدث عن الخال ، وساق أشعاراً كثيرة في وصف جمالها وأنواعها معللاً سبب وجودها " بأنها من فِعل الفاعل اختارها تبارك وتعالى ، لأنها توجد في بعض الأناسي دون بعض ، بل في مكان خاص دون غيره ، وصالح الأبشار صالحة لما علاه الحكماء ، فبطل ما يدعونه ، لأن اختصاص أحد الأمكنة بالخال دون بعض دليل على أن الباري سبحانه وتعالى اختار أن يستأثر هذا المكان بهذه النكتة السوداء ، وهذا شأن الفاعل المختار لا خالق غيره "[2] ، وبما أن الجمال فيها إلهي ، وأن الكثرة من الأشعار في التغني بجمال المحبوب لوجودها، لذا فإن ما ذكر في ذمها شاذ ولا يقاس عليه ، وما يذكر هنا يجيء من باب ذكر شواذ الهجاء الشخصي .

ولعل أبرز النماذج شذوذاً لتلك الظاهرة ، دعوة ابن سناء الملك مُحب ساعادٍ ألا يبكي عليها فهجرانها سعادة له ، ويبرر له ذلك لأن في وجهها خالاً يحفّزه على الزهد في محبتها ، وأغرق في ذمها حين جعل وجود الخال عادة ومصدر بغض وكُره ، لأنه مُفسِد للحسن والجمال ،

---

[1] - سليم ، محمود رزق ، **عصر سلاطين المماليك** 351/8 – 352 .

[2] - **كشف الحال في وصف الخال** 159، للإستزادة عن حقيقته ينظر : الكتاب نفسه : 157.

وهـو أول المبغـضين لـه فـصورته فـي المحبـوب قبيحـة كـصورة القُـرادة[1]، ويقول في ذلك : " المنسرح "

لا تُجـري دمعـاً علـى سـعادٍ فـإن هجرانَهـا سـعادةْ
تُظهـر للعـالمين خَـالاً أكْـسبها مِـنهم زهـادةْ
ومـا درتْ أن كُـل خَـالٍ بغْـضتُه للظَريـف عـادةْ
إنـي لأخْتَـصه ببغْـضي لمـا تخَيلتُـه قُـرادةْ[2]

فـصور الـشامة علـى خـد المحبـوب بـالطفيلي الـذي يحيـا علـى مـص الدماء ، صـورة مقـززة تـشمئز الـنفس منهـا ، ويأباهـا الطبـع ، وكلمـا تخيـل شـكلها تـراءت أمـام ناظريـه قـرادة عالقـة فـي جـسم حيـوان أشـاح بوجهـه عنها .

أمـا ابـن قلاقـس فحطّـم مهجـوه وبـدد بوجـود الخـال فـي خـده مـا رسمه لنفسه من جمـال الـصورة ، فنعتـه بالـسكران فـلا يـصدق بمـا جـاء بـه مـن وصـف لوجهـه لعـدم اتّزانـه ، ونفـى عنـه تـشبيه خـده بالروضـة وأن الخال على خده هـو محـط أنظـار المحبـين ، حـين رسـم صـورة قبيحـة لتلـك الروضة التـي تَغَنـى بهـا وجعلهـا تُـشبه الجُعـل[3] ومعلـوم أن الجعـل لا يعـيش في الأماكن الجميلة ، فيقول : " مجزوء الرجز "

تـاه بخـال خـده كمـا يتيـه الثّمـلُ[4]
فظـن أن حـسنَه وقـد مـضى مقتَبِـلُ
وقـالَ خَـدي روضـةٌ تَرتَـع فِيهـا المقَـلُ

---

1 - القرادة : دويبة تعض الإبل . ينظر :ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قَرد) .
2 - **الديوان** : 475/2 .
3 - الجُعل ، هو دويبة لها جناحان تشبه الخنفساء . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (جعل).
4 - الثّمل : الذي قد أخذ منه الشراب والسكر. ينظر:**لسان العرب** ، مادة (ثَمِلَ) .

فقُلْـــتُ مـــا أقـــبح مـــا جِئْـــتَ بِـــهِ يـــا رجـــلُ
لـــو كـــان ورداً لـــم يـــسكُن فِيـــهِ جعـــلُ[1]

فتـصوير الـشاعر للخـال بتلـك الدويبـة القبيحـة يـشوه جمـال الوجـه ، وينفر الحبيب مـن محبوبتـه ، ويطـيح بكبريائهـا ، وينفـي عنهـا مـا ادعتـه مـن حسن وجمال ما فتئت تتغنى به بوجود تلك الشامة .

والظـاهرة الأخـرى التـي طالهـا ذم بعـض الـشعراء علـى غيـر مـألوفهم مـا يـسمى بالعـذار[2] ، وقـد وجـدت كتـب عـدة تتحـدث عـن تلـك الظاهرة فـي أشـعار الـشعراء لكـن مـن بـاب المـدح لا القـدح بهـا ؛ وعُـرف عن شعراء هذه المرحلـة مـيلهم إلـى الغلمـان والفتيـان لكـن تغـزلهم بهـم كـان " تقليـداً للمحـدثين والمولـدين مـن الـشعراء الـذين نهجـو نهـج أبـي نـواس "[3]، لـذا كثـر فـي شـعرهم وصـف العـذار والتغـزل بهـا ، لكـن مجموعـة مـن الـشعراء رأواْ أن ظهـور العـذار دليـل علـى القـبح وإعـلان للفـراق بـين المحبين والمعجبـين، وهـذا مـا عبـر عنـه فتيـان الـشاغوري فـي ذمـه لغـلام من المعذرين بدمشق جـاعلاً إطـلال عـذاره علـى وجنتيـه نـذير قـبح لـه وآيـة لزوال جمالـه ، وسـبباً مقنعـاً لإعـلان الفـراق بينـه وبينـه ، ثـم يـدعوه إلـى اللطـم والبكـاء علـى مـا كـان سـبباً لفراقهمـا ، فيقول : " المجتث "

جـــاء العِـــذار لِـــشَينك ونَـــسخ آيـــةِ زينِـــك
فبـــان قُـــرةُ عينـــي عنـــي ، وقـــرةُ عينِـــك
فكـــم تَفْـــتَ إلـــى أن أبـــديتَ صـــفْحة مينِـــك

---

1 - **الديوان** : 167 وللاستزادة بالمعنى نفسه ، ينظر : نفسه 618.

2 - العِذار : عِذار الرجل ، شعره النابت في موضع العـذار ، ويقـال مـا أحـسن عـذاره أي خـطّ لحيته وللعذار معان عدة. للاستزادة ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (عذر).

3 - باشا ، عمر موسى ، **الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين** 579 .

فاذهـــب، عِـــذارك هـــذا فِـــراقُ بينِـــي وبينَـــك
فـــالآن فـــالْطُم ونُـــح وابـــكِ إذا أتـــى حِـــين حينِـــك[1]

فالـشاعر يـرى أن العِـذار سـببُ قـبح الوجـه وإلا لـم يكـن هنـاك مـدعاة للفـراق ، ثـم يـذكر أن الحبيـب مهمـا حـاول نتـف عارضـيه فآثـار العذار تظهر زيف الجمال التي زالت بسببه .

ويعبر عرقلـة الكلبـي عـن الفكـرة نفـسها ، لكنـه يرسـم صـورة يظهـر من خلالها كيـف تغيـر الخـد ، وتنـاقص جمالـه لا لـسبب سـوى بدايـة ظهـور العـذار الـذي قـبح وجهـه ، وبـدد حـسنه الـذي كـان كالبـدر فـي حـسنه، فيقول : " الكامل "

دب العِـــذار بِخَـــده فتَعـــذّرا[2] مِـــن بعـــدِ مـــا قَـــد كـــان بـــدراً نَيـــرا
وتَنَاقَـــصتْ أحوالُـــه فكأنّـــه الـــحبالُ يمشِي فـي المعـاش إلـى الـورا[3]

فالـشاعر يـذم العـذار لأنـه يـذهب الحـسن ويـنقص الجمـال ، وقـد صور نقصان الجمال كلّمـا ظهـر العـذار كـنقص الحبـل فـي طولـه بعـد تكـرار فَتْله .

أمـا أبـو اسـحق الغـزي فيـذم العـذار ويـرى أن ظهـوره مبعـث قـبح للوجه الجميل وليس جمالاً لـه كمـا يُقـال ، ولكـي يثبـت صـحة مـا ادعـاه سـاق أبياته على شكل قضية ليثبت صدق دعوته، فيقول : " الطويل "

يقولـــون مـــاء الحـــسن تَحـــتَ عِـــذَارِهِ علـــى الحالـــةِ الأولـــى وذاك غُـــرور

---

[1] - **الديوان** : 517.
[2] - تعذّر : تغير رسم الخد . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (عذَر).
[3] - **الديوان** :45.

ألسنا نعافُ الشُرب مِن أجل شَعرةٍ إذا وقعتْ في الماءِ وهو نَمِير[1]

فالشاعر يعاف العذار لأنه مُعكر للجمال كحال النفس تعاف الماء النمير إذا وقعت فيه شعرة عكّرت صفوه فتقززت النفس منه.

وقد ذهب بعض الشعراء في ذمهم للعذار إلى وصفه بأنه مُكَدر للحياة ، ومفقد للذة العيش ، كما فعل الأسعد أبو المكارم ابن مماتي حين جعل صورة الشعر في تشويهها للجمال كصورة الغصن شوه نضرته ظهور الوشيج عليه ، فيقول : " الوافر "

إذا طلَع العِذار فقَد فقَدنا لَذَاذَة عيشِنا الأرج البهيج

لأن الغُصن لا يخْضر حتى يصير بأصلِهِ مِثْلَ الوشيج[2]

ودعا بعض الشعراء في تصويرهم آثار قبح العذار على وجه صاحبه إلى البكاء وإظهار الحسرة .[3]

ورغم ما ذكر من تلك النماذج تظل شاذة في ذمها إذا ما قورنت بما قيل في مدحها .

5- هجاء الأرحام والأقارب والذات :

لعل الهجاء الذي سلكه الشعراء تجاه هذه الفئات من الآباء والأمهات والزوجات والأرحام ، يدل على الخلل الذي يسود العلاقات الاجتماعية وضعف الأواصر الأسرية وهو هجاء " يصور اضطراب

---

[1] - **الديوان** : 105.

[2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 102/1. والوشيج:جمع وشيجة وهي عرق الشجرة والليف على جرثومها . ينظر:ابن منظور **لسان العرب** ، مادة (وشج).

[3] - ينظر: العماد الأصفهاني، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 237/1 أبيات لأبي الحسن علي بن الحسن المؤدب في ذم العذار.

المعـــايير ، وانقـــلاب الأحـــوال ، وتَهـــزع الأخـــلاق[1] ، وفقـــدان الأخ والـــصديق ، وشـــيوع النفـــاق ، وتفـــشي الفـــساد ، وانعـــدام الأمـــل فـــي الإصلاح "[2].

فهـذا ابـن عنـين يظهـر عقوقـاً ووقاحـة وسـلاطة لـسان يـنهش بهـا والـده ، ويحملـه مـسؤولية نكوصـه وعـدم قدرتـه علـى نيـل المعـالي فـي قوله :   " الطويل "

وجنّبنــي أَن أفعــلَ الخيــر والــد ضَـئيلٌ إذا مــا عــد أهــلُ المناســبِ
بعيــد عــن الحــسنى قَريــب مــن الخنــا وضيع مـساعي الخيـر جـم المعايـبِ
إذا رمــتُ أن أســمو صــعوداً إلــى العــلا غَــدا عِرقُــه نحــو الدنيــةِ جــاذبي[3]

أما أبو عبد ا النجـار فقـد جـرد أبـاه مـن كـل فـضائله النفـسية فكلمـا زاد عمره زاد شره فهو كالأفاعي الخبيثة، كما يقول :   " الخفيف "

لــي أب كــل مــا بــه يوصــف النّــا س مِــن الخيــر فَهــو مِنــه مبــرا
فَهــو كالــصل[4] مــن بنــات الأفــاعي كُلمــــا زاد عمــــره زاد شـــــرا[5]

وقــد نالــت الزوجــة نــصيبها علــى ألــسنة الــشعراء مــن الفحــش والبــذاءة ، ومــن هــؤلاء ابــن روبيــل الأبــار الــذي قــال فــي زوجته :   " السريع "

---

[1] - التهزع : الاضطراب . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (هزع) .
[2]- الرقب ، شفيق ، **النقد الاجتماعي في الشعر الشامي** ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، عدد 40، سنة 1991م : 173.
[3] - **الديوان** : 239.
[4] - الصل : الخبيث من الأفاعي . ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (صلل).
[5] - العماد الأصفهاني،**الخريدة(قسم شعراء الشام)** 392/2.

لـي قطّـةٌ أنظـفُ مِـن زوجتـي   و... أنظـفُ مـنْ فيهـا
وكـل مـا صـوره ربنـا   مِـن الخَنَـا ركّبـه فيهـا[1]

وقـد أظهـر ابـن عنـين سـخطه مـن حماتـه ، فـذهب يُعـرض بهـا لتـشجيعها ابنتهـا علـى لطـم خديـه ، و موريـاً فـي هجائـه ، فيقول : " السريع "

أَشْـكُو إلـى ا حمـاتي فمـا   يعلـم مـا لاقيـتُ منهـا سـواه
عجـوز سـوءٍ لـو رأت قَـودةً[2]   فـي النّـسر طـارتْ بجنـاحي قطـاه
تقـول للبنـت ألطمِـي خَـده   ولا تهابيـه وصـكي قفَـاه
وباهتيـهِ إن رأى ريبـةً   وابكـي وسـبيهِ وسـبي أبـاه
و ا ِ لا أفْلِـح مـا عمـرتْ   قلْ لـي متـى أفلَـح صـاحب حمـاه[3]

وقـد هجـا بعـض الـشعراء أنفـسهم ، متخـذين مـن نواقـصهم وعيـوبهم الجـسدية مـادة للتفكـه والدعابـة ، ولـم يجـدوا حرجـاً عـن للتـصريح بهـا علانيـة ، فعرقلـة الكلبـي كمـا وصـفه عمـاد الأصـفهاني " كـان شـيخاً خليعـاً مـائلاً إلـى القـصر ، أعـور مطبوعـاً "[4]، و يعبـر عـن ذلـك صـراحة ، ويقول : " المنسرح "

مـولاي إن الكلِبـي عرقلـةً   مِثْـلُ المعيـدي[5] صـاحبِ المثـل[6]

---

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 261/1.
[2] - قودةً: الأقود : الذليل سلس الانقياد .ينظر: ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (قود).
[3] - **الديوان** : 133.
[4] - **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 178/1.
[5] - يشير إلى المثل الذي يقول " تسمع بالمعيدي خير من أن تراه " ويضرب هذا المثل لمن كان خبرُه خيراً من مرآه " ينظر: الميداني ، **مجمع الأمثال**192/1.
[6] - **الديوان** : 86.

وذكرنا له في مواضع سابقة أبياتاً تدل على صفة العور فيه .

أما ابن مكنسة فيرسم لنفسه صورة ساخرة تثير الضحك، إذ يقول : " مجزوء الرجز "

أَنَا الذي حدثكم	عنْه أبو الشمقْمق[1]
وقَالَ عني إنني	كُنْتُ نَديم المتقي
حتى متَى أبقى كذَا	تَيساً طَويلَ العنُق
بلحيةٍ مسبلةٍ	وشاربٍ محلق
يا ليتَها قد حلقَتْ	من وجهِ شَيخٍ خَلِق[2]

ومما يلحظه الدارس في اللوحات الهجائية التي رسمها الشعراء للأشخاص الذين هجُوهُم سواء كانوا من المقربين لهم ، أو فئات أخرى اعتمادهم على التجسيم والتشخيص والمفارقة ، وتغليب الطابع الشخصي عليها ، بهدف إثارة الضحك والسخرية من المهجو ، وهو ما يطلق عليه الهجاء الساخر والذي يرى بعض الدارسين أنّه " وسيلة لتسلية الأمراء والملوك وطبقات الشعب الأخرى عن طريق السخرية ببعض الشخصيات المعروفة في المجتمع ولكنه – من ناحية أخرى – كان ينم عن ألم دفين ، ويشف عن كرب داخل النفوس ، ويقصد من يلجأ إليه أن يداوي ألمه بنقضه ، فاستعمل الشعراء معه الفكاهة ، وكأنهم أرادوا مع تلك الفكاهة تجاوز الواقع والابتعاد – ولو ظاهرياً – عن مشكلات

---

[1] - أبو الشمقمق : هو مروان بن محمد من أهل البصرة ، والشمقمق معناه الطويل ، وكان شاعراً هجاء ومن متقدمي شعراء زمانه . ينظر: المرزباني ، **معجم الشعراء** : 376.

[2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 214/2.

عـصرهم ، ومزاولـة الحريـة الفكريـة فـي صـور مـن صـورها "[1] لـذا مـال الشعراء فـي كثيـر مـن أشـعارهم إلـى الـسخرية بغـرض الإضـحاك معتمـدين فـي أسـاليبهم علـى الإزراء بمهجـويهم مـن النـاحيتين المعنويـة والجـسمية ، وهذا ابـن عنـين – كمـا سـخر مـن نفـسه وأبـرز عيـوب حماتـه فيمـا ذكرنـا سابقاً – نراه يـأتي بـصورة سـاخرة هزليـة لأصـدقائه بعـد عودتـه مـن الـيمن وهم يتسابقون على بابه طمعاً في طعامه ، فيقول : " الطويل "

تَجـوع لـي الـشيخُ الزكـي وجـاءني ... مع الشمس قبلَ الـشمس يتلوهمـا الـنجم
وقـد سـرحا ذقنَيهمـا وتَـسربلا ... من الوشْي مـا ازدانـت حواشـيه والـرخْم
وجـاء أبـو الفـضل الأمـين وعبـده ... كَزِئبي غَضا قد مـسهم مـن طـوى سـقْم
وأقبل شـمس الـدين يـسعى مبـادِراً ... وفـي كمَـه للنّهـب مـن أدمٍ كـم
جموع لـو ان الـسد أعـرض دونهـم ... بـدا مـنهم فـي جـانبي ردْمِـه ثَلـم[2]
يرومـون خُبـزي والكواكـب دونـه ... لقـد ضـل عـنهم رأيهـم ونـأى الفَهـم
أمـا علمـوا أن الذبابـة لا تـرى ... طعـامي وأن الفـأر عنـدي لهـا لجـم[3]

فالـصورة مـضحكة لأصـدقاء كـل أعـد عُدتـه ، مـنهم مـن أخـذ الجوع منـه مأخـذاً ، ومـنهم كالـذئب يـود الانقـضاض علـى فريـسته ، ومـنهم من سـرح ذقنـه ولـبس أجمـل ثيابـه ، ولكنـه بخيـل هـزئ مـن بخلـه فجعـل خبـزه كالكواكـب يـصعب نيلهـا ، بـل إن الـذباب لا يـصل إليـه ، لأنـه يأكلـه على دفعات ، وحتى الفأر لا ينال منه شيئاً لشدة تقتيره .

---

[1] - الصايغ ، هنريت زاهي سابا ، **اتجاهات الشعر العربي في القرن السابع الهجري** 224.
[2] - الثلم : الخلل في الحائط وغيره. ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ثَلَم).
[3] - **الديوان** : 128 – 129.

ولابن عنين في هذا الاتجاه الهزلي الساخر أشعار كثيرة في السخرية والتندر[1] .

ويبدو أن ضرب التندر والسخرية من المهجوين سلكه كثيرون من شعراء هذه الفترة ، وممن لجأ إلى تلك السخرية في شعره ابن المسجف ، إذ نجده يسخر من نفسه ، ومن أصدقائه بأسلوب يثير الضحك ، ويميل إلى النكتة ، ومنها سخريته من صديق له يلقب بدر الدين، يقول فيه : " البسيط "

قالوا : تلقب بدر الدين[2] مفتخراً ... بخلٌ الجنُويي من قد زين الأمنَا
فَقُلْتُ : لا تعجبوا منه فذا لقب ... وقفٌ على كل نحس والدليلُ أنَا[3]

ومن أمثلة تندره ، ما خاطب به الملك المعظم عيسى عندما أراد طلب الأعطيات منه فتعرض له رجال القضاة والولاة باللوم ، فهزئ بهم، وتندر بأفعالهم ، وسخر من مطالبتهم له بدفع الزكاة ، فيقول : " الوافر"

أيا ملكاً حوى علماً وجوداً ... وحاز بكل مكرمة وفضل
ومن هو كالمسيح اسماً وفعلاً ... ونصباً للحياة وحزم محل
يكلفني البهاء زكاةَ مالٍ ... حرامٍ كله من غير حِل
وكيف يقوم بالزكواتِ من لا ... يصوم ولا يحج ولا يصلي
فجد بهباتِ ذلك لي فإني ... أجل زكاتكم عن مال مثلي[4]

---

1 - ينظر: **الديوان** ، النماذج في الصفحات 131 ، 218 ، 227 .

2 - بدر الدين : يبدو أنه واحد من أصدقاء الشاعر ، ولم أهتد إلى ترجمته.

3 - الكتبي ، **فوات الوفيات** 284/2.

4 - نفسه 285/2.

فالشاعر يتهم مهجوه بالسرقة ، وكيف يفعل ذلك من لا يؤدي أركان الإسلام كالصوم والحج والصلاة ؟

6- التهاجي بين الشعراء :

شهدت مصر والشام ازدهاراً أدبياً في عصر الزنكيين والأيوبيين ومرد ذلك الازدهار إلى أن الحكام كانوا يحبون الأدب ، ويجيزون عليه ، ويجلسون للشعراء مجالس ، ينصتون فيها إلى شعرهم ، وينقدون إنتاجهم ، ويكافئون على مقدار جودتهم[1] ، وكذلك كثرة الحواضر الأدبية والعلمية في الشام[2] ، وهي الحواضر والمجالس التي أمها العديد من الشعراء والأدباء ، وشكلت مجالاً للتنافس ، ودفعت لظهور ما يسمى بالمساجلات الشعرية لم ترق إلى تلك التي كانت قائمة في العصر الأموي بين جرير والفرزدق اللهم إذا استثنينا ما ذكره العماد الأصفهاني ، مما وقع من مساجلات بين ابن منير الطرابلسي، وابن القيسراني فهما أكبر شاعرين في عصرهما ، وقد وصفهما بقوله : " كانا كفرسي رهان وجوادي ميدان "[3] .

وذكر أن " القيسراني كان سنياً متورعاً وابن منير كان مغالياً شيعياً "[4] ويبدو أن مُهاجاة هذين الشاعرين قد ضاعت ولم يصلنا منها سوى القليل واتفق موتهما في سنة واحدة[5] .

---

1 - ينظر : بدوي ، أحمد ، **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية** : 23.

2 - ينظر : عبد المهدي ، عبد الجليل حسن ، **الحياة الأدبية في الشام في القرن الخامس الهجري** 14-19.

3 - **الخريدة (قسم شعراء الشام)** : 76/1.

4 - نفسه : 76/1.

5 - ينظر : ياقوت الحموي ، **معجم الأدباء** 64/19 ، أبو شامة ، **الروضتين** 293/1 .

وأول مـا يُلفـت انتبـاه الدراسـين فـي تلـك المـساجلات الـشعرية ، مـا قاله ابن منيـر الطرابلـسي هاجيـاً ابـن القيـسراني مـستغلاً حادثـة حريـق هائـل صـادف دخـول ابـن القيـسراني مدينـة دمـشق ، فـراح يـزري بـه ، ويـسخر منه سخرية لاذعـة ، حـين جعلـه رمـزاً للـشؤم ، وسـوء الطـالع وقـد اسـتعار لـه شخـصية يـضرب بهـا المثـل فـي التطيـر هـي (طـويس)، وفـي ذلـك يقول : " الرمل "

يـا طُـويس الـشُؤمِ هـذي الحركـه — ألحقـتْ جاّـقَ بالمؤْتفِكـه

جِئْتَهـا تُـذكرها عهـداً مـضى — مِـن تَـوالي الفِـتَن المـشْتَبِكه

يـا رسـولَ القَـدر الحـتْمِ إلـى — كـل مـن سـد عليهـا مـسلكه

يـا أبـا الكعـبِ الـذي مـا حـطّ فـي — بقعـةٍ إلا أطـار البركـه

لـك رجـلٌ قُطعـتْ لـو جمعـتْ — تَحـتَ كيـوانٍ لهـدتْ فَلَكـه

شُـؤْمها أسـرى مِـن الـسم فمـا — دب للملـسوع إلا أهلكـه[1]

و يتـابع ابـن منيـر هجومـه علـى خـصمه ، ويـصور مهجـوه بأنـه أصـبح طـالع شـؤم لـلأرض وأهلهـا ، فكلمـا نـزل أرضـاً أعقبهـا الهـدم والخـراب ، وخلـف أمـوال أهلهـا تركـة لمـا بعـدهم ، وفيـه يقول : " الرمل "

شـردته طلْعـةٌ إن صـبحتْ — أرض قـومٍ عفبتهـا الدكْدكـه[2]

لـم يطـلْ وجهـاً إلـى مـال امـرئٍ — قـط إلا تَركتْـه تَركـه

لا ، ولا طـار لهـا شِـدقٌ علـى — مـأمنٍ إلا وأمـسى معركـه[3]

---

[1] - **الديوان**: 93-95 .

[2] - الدكدكة : الأرض المتهدمة . ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (دكك) .

[3] - **الديوان**:94.

ولا تخـرج هـذه القـصيدة - التـي بلـغ عـدد أبياتهـا تـسعاً وثلاثـين بيتاً- عن حـديث الـشؤم وسـوء الطـالع للمهجـو ، إلـى درجـة دفعـت الـشاعر للطلـب مـن أميـر دمـشق إلـى طـرده منهـا لأنـه سـبب كـل بـؤس وشـقاء لها: " الرمل "

يـا " مجيــر الــدين " مــن دلّ علــى ربعــك المــأهول هــذي الهلكــه
مــن مــن الحــساد مــا حولــك اللّـــه أهــدى لــك هــذي الــشبكه ؟
مـــن رمـــى مغْنَـــاك لا ريـــع بمـــن كـــل منْجـــاةٍ نَحاهـــا مهلكـــه ؟
مـــــن إذا لاحـــــقَ شَـــــملاً بتـــــه وإذا عـــــن لِوصـــــل بتكـــــه[1] ؟
أي دارٍ أمهــــــا مـــــــا غمهــــــا أي ســـتْرٍ ضـــمه مـــا هتكـــه[2]

أما مـا دار بـين ابـن منيـر الطرابلـسي وابـن القيـسراني مـن معـارك هجائيـة ، فقـد ضـاع رغـم كثرتهـا ، لـذا فمـن الـصعوبة إعطـاء صـورة واضـحة عـن تهاجيهمـا وغيرهمـا مـن الـشعراء ، وفقـدان الـشعر كمـا يقـول محمـد صـبحي أبـو حـسين " يجعـل الـصورة التـي يحـاول الـدارس رسـمها للشعر والشعراء صورة جزئية "[3] .

وكل ما قاله ابـن القيـسراني فـي ابـن منيـر ، فلـم أعثـر منـه إلا علـى بيتين ، هما قوله هاجياً : " مخلع البسيط "

ابـــن منيـــرٍ هجـــوتَ منّـــي حبـــراً أفـــاد الـــورى صـــوابه
ولـــم تُـــضيقْ بِـــذاك صـــدري فـــإن لـــي أســـوةَ الـــصحابه[4]

---

[1] - بتّكه : قطعه . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (بتك).
[2] - **الديوان** :95 .
[3] - **ابن منير الطرابلسي حياته وشعره** : 77 .
[4] - محمد ،عادل جابر ، **شعر ابن القيسراني** : 90.

ويتضح مـن قـول ابـن القيـسراني أثـر العامـل المـذهبي فـي الهجـاء ، فالبيتـان لا يظهـران عـداء لابـن منيـر بقـدر مـا يحمـلان معنـى الـصفح والتسامح الذي يتحلى به الأصحاب ليكونوا قدوة لغيرهم .

ولم يـسلم أحـد مـن لـسان ابـن منيـر فهـو كمـا يقـول ابـن عـساكر : " كان هجـاء خبيـث اللـسان يُكثـر الفحـش فـي شـعره ويـستعمل منـه الألفـاظ العامية "[1]. وممـن هجـاهم ابـن منيـر "ملـك النحـاة "[2] وقـد اتخـذ مـن الدعابـة والنكتــة طريقــاً لهجائــه والغمــز بــشجاعته وكرمــه فــسلبه بــذلك فــضائله النفـسية ، وأزرى بـه حـين جعلـه مـن فـصيلة الكـلاب بأسـلوب حـواري بينـه وبين قطّه ، وفيه يقول : "المتقارب "

عتبـــتُ علـــى قـــط ابـــن منيـــرٍ وقُلْـــتُ أتيـــت بغيـــر الـــصوابِ

جرحـــــتِ يـــــداً خُلِقَـــــتْ للنـــــدى وبـــذل الهبـــات وضـــرب الرقـــابِ

فَقـــالَ لِـــي القـــطّ : ويـــك انتبـــه ألـــيس القطـــاط عِـــداةَ الكـــلابِ[3]

ولم يكن ابـن منيـر بمنـأى مـن ألـسنة شـعراء مـصر والـشام وغيـرهم فوجهـوا سـهام هجـائهم لـه، كمـا فعـل ابـن قـسيم الحمـوي فـي معـرض رده على رسالة بعثهـا ابـن منيـر لأحـد المـشايخ يعلـن فيهـا تخليـه عـن المـذهب

---

[1] - **تاريخ ابن عساكر** : 33/6.

[2] - ملك النحاة : هو الحسن بن أبي الحسن صافي بن عبد ا المعـروف بملـك النحـاة وكنيتـه أبـو نزار ، وتوفي بدمـشق سـنة 568 هــ ينظـر: الـسيوطي، **بغيـة الوعـاة** 504/1 – 505، القفطي، **إنبـاه الـرواه** 305 – 310 ، المنـذري ، **التكملـة فـي وفيـات النقلـة** 140/1 ، ابـن تغري بردي، **النجوم الزاهرة** 69/6 ، اليافعي ، **مرآة الجنان** 386/3.

[3] - **الديوان** : 174.

الـشيعي وتحولـه إلـى مـذهب أهـل الـسنة والجماعـة فيـرد ابـن قـسيم عليـه قائلاً : " المنسرح "

يــا شــاعراً أودعــتْ أناملُــه ... در القــوافي كتابــه النبــوي
ولــو كــشَفْنَاك لــم تكُــن حلبيــاً ... قــط فــي مــذهب ولا حمــوي
لــو كــان إبلــيس قبــلُ لاح لــه ... آدم مــن نَقْــش قــصك الغَــروي
لخَــر مــا شِــئْتَ ســاجِداً وعنَــا ... طَوعــاً وكــان غيــر غَــوي[1]

فهو يتهمه بالكذب والادعاء الباطل بتركه مذهبه .

ويبـدو لـي أن كثـرة المـساجلات الـشعرية بـين الـشعراء هـدف الشعراء مـن ورائهـا - حقـداً وكراهيـة وحـسداً – سـلْب مهجـويهم كـل فـضل لهم في هـذا المجـال ، وإلـصاق شـعرهم صـفة الـضعف والفـساد للتقليـل مـن منافـستهم ودفـع النـاس للتفـرق مـن حـولهم إليـه . وممـن شـارك فـي ميـدان المهاجاة أبـو إسـحق الغـزي حـين هجـا " أبـا الفـتح بـن الخـشاب "[2] ، وأخـذ يتهكم بمـا ينظمـه مـن شـعر ، ويـصفه بـاللؤم ، والكـذب ، والجهـل والبخـل ، وضـعة النـسب ، ويكـون بـذلك قـد سـلبه كـل فـضائله النفـسية ، فيقول : " البسيط "

أوصــاه أن ينْحــتَ الأخَــشاب والــده ... فلَــم يطِعــه وأمــسى ينْحــتُ الكـذِبا
لـو مـاتَ مـن عطـش والمـاء فـي يـدِهِ ... وكان ممتَزجـاً بالـصدق مـا شـرِبا
يــوزع الــسلع فــي الأشْــعار ينْظِمهــا ... والهرة اعتمـدتْ فـي دفْنِهـا الأدبـا

---

[1] - **الديوان**: 122 – 123 .

[2] - أبو الفتح بن الخشاب : هو ابن الحسين محمد بن أحمد بن حمدان بن فضاله الكاتب المعروف بابن الخشاب ، أحد الكتاب الفضلاء كان يضرب به المثل في الكذب ووضع المحالات وحكايات المستحيلات ت 540 هـ . ينظر : الصفدي ، **الوافي بالوفيات** 165/1.

أعجِبْ بِهِ جاهلاً بالفضلِ متسِماً ... مِن الورى وهجيناً يدعي نَسبا

بين الدناءةِ والدّنيا مناسبةٌ ... لِذاك نَالَ الغِنَى والمالَ والنّسبا

مثرٍ من المال يشكُو الجوع مِن سغبٍ ... كالنارِ ما أكلتْه زادها لهبا

والبخْلُ إن كان طبعاً لم يكن يغنًى ... وربما كان بعض البخْل مكتَسبا[1]

أما ابن الخياط الدمشقي فيرسم صورة ساخرة لمن يدعي الأدب والشعر ، تثير الضحك فيجعل صاحبها لا يستحق إلا الصفع والصرف زيادة في ازدرائه ، فالمهجو موصوف بفساده الخلقي ، وفقره العقلي إضافة إلى الشؤم في شخصه وأدبه ، كما يبدو في قوله : " الخفيف "

صِرتَ بين الصادين يا بن المجلي[2] ... بين صفْعٍ يوهي قَفاك وصرفِ

بعد باءين مِن بِغَاءٍ وبردٍ ... جِلْفَ ضادين فيك ضر وضعفِ

ثُم شِينَين شُؤم جِد وشِعرٍ ... لمغيضٍ[3] فيهِ ينَابيع كُنفِ

قِرن عينين عدم عقْلٍ ومالٍ ... وعمى عاجلٍ بِوقْعِ الأكُف

وستَأتِي الفاءان فَقَدك بلْ فَقْـ ... ـرك إثْر الحاءين حرفُ حتْفِ

وإذا ما السيناتُ حزنُك يا حز ... ن ذَوي الصرفِ قُمتَ مِن غيرِ خلْفِ

سفه في سفالةٍ في سقوطٍ ... دائمٍ في سوادِ وجهٍ وسخفِ[4]

وكان لشعراء هذا العصر أسلوب خاص في المهاجاة ، فقد يعود ذلك إلى التركيبة التي فطر عليها الإنسان فأهل مصر أصحاب نكتة

---

[1] - **الديوان** : 83

[2] - ابن مجلي : هو محمد بن المجلي بن الصائغ الجزري ، طبيب عالم بالحكمة والفلسفة ، لُقّب بالغتري له مصنفات عدة منها " نور المجتبى " **في الأدب والأخبار** ، توفي سنة 570 هـ . ينظر:الزركلي، **الأعلام** 19/7 .

[3] - المغيض : مكان تجمع ماء ينبت فيه الشجر . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (غيض).

[4] - **الديوان** :142-143.

ودعابة وهـذا مـا فعلـه ابـن قـادوس حـين هجـا الرشـيد بـن الزبيـر[1] وسـخر منه لـسواد جلـده واتهمـه بالـسرقة بأسـلوب يعتمـد علـى الفكاهـة والدعابـة ،إذ يقول : " السريع "

يـــا شِبـــه لقمـــانِ بـــلا حكمـــةٍ وخاسِـــراً فـــي العِلْـــمِ لا راسِـــخاً
سـلختَ أشـعار الـورى كلهـم فَـصِرتَ تُـدعى الأسـود الـسالِخَا[2]

وفـي إطـار المـساجلات الـشعرية يلحـظ الـدارس نـشوء عـداوات وخـصومات ، مردهـا إلـى تعـصب الـشعراء لمـواطنهم فيـسعى الـشاعر للإزراء بمهجوه كما فعـل ابـن الـساعاتي حـين هجـا ابـن سـناء الملـك فجعـل يذم فيه بخله وسوء عشرته، فيقول : " المتقارب "

نَزلنـا علـى شـاعر البلـدتين نُـزولَ الجيـاعِ علـى المعـدِمِ
فَـلا باليـدين أجـاد القِـرى ولا المـذْقَ أحـسنَه يـالفَمِ
وأقبـلَ يـشتم أهـلَ الـشآم ولـولا الحماقَـةُ لَـم يـشتِمِ
وبـاتَ يـذُم الخَفَيـفَ الثقيـل خفيـفَ الـدماغ ثقيـلَ الـدمِ[3]

ومـضى يهجـوه لـشدة بخلـه حـين صـور ليلـة أمـضاها فـي داره يتضور جوعـاً لـم يُغمـض لـه جفـن ، ولـم يظفـر فيهـا بطعـام غيـر صـوت الضفادع، فيقول : " الطويل "

أجاعني القاضـي الـسعيد ولـم أكـن بـأول ضـيفٍ فـي مغانيـهِ جـائع

[1] - الرشيد بن الزبير : أبو الحسن أحمد بن أبي الحسن علي بن إبراهيم ، كان ذا علم وفضل كثير عالماً في الهندسة والمنطق شاعراً ، تولى الإسكندرية ، ثم مات مقتولاً عام 563 هـ . ينظر: العماد الأصفهاني، **الخريدة (قسم شعراء مصر)**200/1-202 ، السيوطي، **حسن المحاضرة** 416/1 .

[2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة(قسم شعراء مصر)** 226/1.

[3] - **الديوان** : 38/2.

أقمـــتُ لديـــهِ ليلـــةً نَابِغيـــةً عزيـــز كَـــرى الأجفـــان حـــزن المـــضاجِعِ
وما مـن قـرى غيـر الـزلال بِـربعـهِ وذاك قـرى مـن بـاتَ ضـيفَ الـضفَادع[1]

وقـد بـالغ الـشعراء فـي أهـاجيهم لخـصومهم إلـى الحـد الـذي سـلبوا فيه كـل فـضائلهم النفـسية فعلـم الـدين الـشاتاني هجـا الـسابق المعـري[2] وقـد جرده من كـل صـفاته ، فوصـفه بأنـه مفـسد يـستحق قطـع لـسانه ، وغاصـب ومكدّـر للآخـرين ومغتـاب ، ونـذل ، وخـائن ، ومـارق يـستحق الـسجن ، وجعل يحرض عليه ، ويقول : " السريع "

مـولاي فَخْـر الـدين يـا ذا النهـى مـا قِيمـةُ الأخْـرس كالنـاطق
كـلاّ ولا العبـدِ المطيـعِ الـذي يرجـو رضـا مـولاه كـالآبق[3]
للعبـدِ أبيـاتٌ زهـا حـسنُها فَجِبرهـا مـن لفظِـهِ الرائِـق
قَطْـع لـسان المفْـسدِ الـسابق أوجـب مـن قَطْـع يـد الـسارق
يبتـز أمـوالَ الـورى عنـوةً ويكْفُـر الـرزقَ مـن الـرازق
غِـذَاؤُه الغِيبـةُ لا غيرهـا شـيمةُ نـذلٍ خـائنٍ مـاذق
والـسعي فـي الخَيـر لا يبغـى بـهِ وقـوع أهـل الـدين فـي مـازق
خـب[4] **إذا لاحـتْ لـه فُرصـةٌ يـنْقَض كالبـازي والباشـق**[5]

---

1 - **الديوان** : 115/1.
2 - السابق المعري هو محمد بن الخضر بن الحسن بن القاسم أبو اليمن المعروف بالسابق من أهل المعرة كان شاعراً مُجيداً . دخل بغداد وجالس الأبيوردي والتبريزي وأنشدهم من شعره . ينظر: العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 124/2 ،الصفدي، **الوافي بالوفيات**39/3،الكتبي، **فوات الوفيات** 248/2 .
3 - الآبق : الهارب . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (أبق) .
4 - الخب : المفسد الذي يسعى بين الناس بالفساد . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (خبب) .
5 - الباشق: طائر من صغار الجوارح،أصفر العينين. ينظـر: ضـنّاوي، سـعدي، **المعجـم المفـصل في العرب والدخيل**65.

مـا زالَ يـؤذي النـاس حتـى رأى **كـساده فـي سـوقه النـافق**

فموتُـه فـي الـسجن أولـى بِـهِ **ورمـي مـن ربـاه مِـن حـالق**

وإن أرحـتَ النـاس مِـن شَـرِهِ **أحـرزتَ شُـكْر الخَلْـق والخـالق**

وأجهـلُ العـالمِ عِنْـد امـرئٍ **يهـددُ الـضرغَام بالنـاهِق**[1]

ويبدو لي أن مجموعة من الشعراء مالوا إلى الانتحال والسرقة من أشعار غيرهم وقد اتخذ الشعراء ذلك ذريعة للحط من قدر مهجويهم كما فعل ابن المسجف يهجو شاعراً يقال له ابن الكساء ويتهمه بالسرقة ، فيقول : " الوافر "

أرى ابـن كِـسا يـسرقُ كُـل شـيءٍ **مجـاهرةً ويكْـذِب حيـثُ كانـا**

فلـو أن الزمـان قَـصِيد شِعـرٍ **يـصادِمنَا بهـا سـرقَ الزمانـا**

ولـولا أنـه رجـلٌ جبـان **لـساء الفِعـلَ وانْتَحـلَ القرانـا**[2]

لقد بالغ في هجوه ووصمه بالسارق والجبان ،ولولا جبنه وخوفه لذهب في سوء فعله لانتحال شخصية عريس في ليلة عرسه .

ويعد ابن عنين أبرز الشعراء الذين استغلوا موهبتهم الشعرية في ميدان المساجلات الشعرية ، وقد ساعدته موهبته الشعرية يصاحبها قوة في شخصيته وسلاطة في لسانه إلى إلحاق الأذى بكثير من أبناء عصره ، ومن أبرز الشعراء الذين صب عليهم لهيب شعره ، وسياط لسانه ، فسلبه كل فضائله النفسية والخلقية القاضي الفاضل ، فكان هجاؤه

---

1 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 2/375 – 376.

2 - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 2/334.

لـه فاحـشاً وبـذيئاً ، وأرى أن الغيـرة والحـسد كانـت مـن دوافـع هجائـه فكـلّ ذي نعمةٍ محسود، ومما قاله فيه : " المنسرح "

حاشـا لِعبـدِ الـرحيمِ سـيدِنا الـ ـ ـ ـفاضِلِ ممـا تقولُـه الـسفَلُ
وتَـب مـن قَـالَ إن حدبتَـه فـي ظَهـرِهِ مِـن عِيـدِ حبـلُ
هـذا قيـاس فـي غيـر سـيدنا يـصح إن كـان يحبـلُ الرجـلُ[1]

ففـي منتهـى الفحـش والـسخرية فـي النيـل مـن كرامتـه بألفـاظ بذيئـة وتصوير مُهـين طـال بـه مهجوه،حمـل ظـاهره الـدفاع والمـدح، لكنـه سـرعان ما أظهر حقيقته بذلك القدح الفاحش.

وهجا ابـن عنـين الرشـيد النابلـسي متنـدراً بـه ،هازئـاً منـه وسـاخراً ، واضـعاً الـصور المتقابلـة إلـى جـوار بعـضها ، مقـابلاً بينهـا ، زاعمـاً أن المهجو تعود على الصفع ، فيقول : " المتقارب "

تعجـب قـوم لـصفع الرشـيد وذلـك مـا زالَ مِـن دابِـهِ
رجِمـتْ انكِـسار قُلـوبِ النعـال وقـد دنـسوها بِأثْوابِـهِ
فـوا مـا صـفَعوه بهـا ولكـنّهم صـفعوها بِـهِ[2]

فالـشاعر يعبـث بمهجـوه بـروح مرحـة سـاخرة فيـصور النعـال بأشخاص لها قلوب بل وتتأذى من قذارة ثيابه، وله فيه أشعار كثيرة[3] .

وقال يزري بفتيان الشاغوري وهو اسم على غير مسمى ، وهو لا يقول شعراً وإنما ينبح بنباح الكلاب ، فيقول : " البسيط "

يـا مـن يلقـب ظُلمـاً بالـشهابِ وإن أَضـحى بظلمتِـه قـد أظلـم الـشهبا

---

[1] - **الديوان** : 189.
[2] - **نفسه** : 185.
[3] - **الديوان** : ينظر في الصفحات : 186 ، 187 ، 188 .

لا تخدعنّك مِن مودود دولتُه — وإن تعلّقْتَ مِن أسبابها سببا
فليس ينبح فيها غير واحدةٍ — حتى يلفّ على خَيشُومِهِ الذّنبا[1]

وتصدى الشاغوري لابن عنين ليثبت قدرته على مقارعة كبار الهجائيين فخص ابن عنين بهجاء جارح ، ونقد لاذع ، فوصفه بأنه عديم الفائدة ، ولا يرجى منه خيراً ، ومن قصده يخفق في مسعاه ، ولا ينال من شعره شيئاً إلا كما ينال الصياد من رحلته بأم حُبين[2]، فيقول فيه : " الخفيف "

من يرجي خيراً من ابن "عنَين" — لم ينلْ منه غير خُفي حنَين
هو في غفلةٍ وأيامهِ تَفْـ — ـنَلُ في غَزل غَزلهِ باليدين
صاد منه السلطان أم حبين — أي خير في صيد أم حبين[3]

ولم يسلم المنشدون لأشعاره وغيره من الشعراء من قسوة لسان الشاغوري فوصفهم بالحيوانات ، يؤذون مسامع الناس بأصواتهم ، وفي صورة طريفة يوصي من بهم صمم أن يحمدوا ا على ذلك ؛ حتى لا تتأذى مسامعهم من أصواتهم ، فيقول في مأدبة دعاه إليها الرشيد النابلسي : " المتقارب "

دعاني الرشيد إلى دعوةٍ — له جمعتْ بين كُل الأمم
وأقبلَ ينْهقُ فيها القَصيح — بنغماتِهِ ، فَحمِدنَا الصمم

---

[1] - **الديوان** 212 – 213.

[2] - أم حبين : هي الدويبة المعروفة في بلاد الشام بالحرذون ، ينظر :ابن منظور، لسان العرب مادة (حبن) ، وقيل هي أنثى الحرباء على اعتبار أن الحرباء ذكر والجمع حرابي. ينظر : شاكر هادي ، **الحيوان في الأدب العربي** 291/1.

[3] - **الديوان** : 517 – 518.

ومـــــر يـــــردد شِــــعر الرشـــيدِ فمـــا أحــــد ثَــــم إلا انْـــزكم[1]

وقد عبر عـدد مـن الـشعراء عـن ثقـتهم الزائـدة بأنفـسهم ، فلـم يعيـروا اهتمامـاً لكـل مـن تـصدى لهـم بالهجـاء ، ولـم يثـر هجـاؤهم غـضبهم مـنهم تقليـلاً مـن شـأنهم ، إلـى درجـة أنهـم لا يـستحقون الوقـوف عنـد أقـوالهم طـويلاً ، فكلهـم عيـوب ولا داعـي لتعـدادها ، ويـذهب هـذا المـذهب الـشاعر يحيى بن حميد الأزدي فـي هجائـه لـشاعر يقـال لـه راجـح الحلـي ، فلـم يجـد فيه خلة حسنة فكلّه عيوب ، فيقول : " مجزوء الخفيف "

قيــــلَ لــــي راجِــــح[2] هجـــا ك فلــــــــــم تُجيبـــــــــه
قلـــــت مــــن كُلــــه عيـــو ب يمــــــــــاذا أعيبــــــــه[3]

وقد جمـع بعـض الـشعراء فـي هجائـه بـين ذاتـه وغيـره سـواء أكـان ذلــك مــن الــشعراء أم غيــرهم ، ومــنهم ابــن عنــين حيــث دفعتــه روحــه الــساخرة المرحــة ، وتنــدره واســتخفافه إلــى الاســتهزاء بنفــسه والانتقــاص منها وهو بـذلك يـذكرنا بالحطيئـة كمـا نجـده فـي هـذا النمـوذج حيـث يـسخر ويتنـــدر مـــن نفـــسه وابـــن شـــيت الكاتـــب[4] والـــشاعر الرشـــيد النابلـــسي ، فيقول : " الكامل "

---

[1] - **الديوان** : 472.

[2] - راجح الحلّي : شرف الدين راجح بن إسماعيل الحلّي ، شاعر الملك الظاهر صلاح الـدين صـاحب حلب ومدحه بقصيدة نال عليها ألف دينار وقد توفي سنة 627 هـ. ينظـر : الـصفدي ، **الـوافي بالوفيات** 53/14 ، ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**217/7.

[3] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** ، 236/8 .

[4] - ابن شيت : هو جمال الدين عبد الرحيم بن علي بن شيت الكاتـب بدمـشق ، كـان دينـاً حـسن النثر والنظم ، وتولى الديوان ببلاد قوص ، ثم بالإسـكندرية ، ثـم ببيـت المقـدس ، ثـم بكتابـة الإنشاء للملك المعظم عيسى ، وكان مغرى بكتابة الكيمياء وقـد تـوفي سـنة 625 هـ ـ ينظـر: أبو شامة المقدسي ، **ذيل الروضـتين** 231/5 – 232 ،ابـن العمـاد الحنبلـي ، **شـذرات الـذهب** 117/5 ، الكتبي ، **فوات الوفيات** 312/2.

أنَــا وابــن شــيتٍ والرشــيد ثلاثــةٌ **لا تُرتَجــى فينــا لِخَلّــق القَلِئِــدة**
من كـل مـن قَـصرتْ يـداه عـن النّـدى **يــوم الجــدا وتطــولُ عنــد المائــدة**
فكأننـــا واو بعمـــرو ٌألحِقـــتْ **أو إصـــبع بـــين الأصـــابع زائـــدة**[1]

فالـشاعر يظهـر ظرفـاً وخفـة ظـل ممزوجـة بالعبـث بـالآخرين ، فقـد جرد نفسه ومن هجاهم معـه مـن كـل فـضيلة ، وعـد نفـسه قـبلهم بـلا قيمـة ، وجعل مكانتهم كمكانة حرف الواو في كلمة (عمرو) .

ورغـم العـداء والخـصومة التـي أظهرهـا الـشعراء فـي مـساجلاتهم الـشعرية إلا أن بعـضهم دعـا إلـى تـضامن الـشعراء لمـساعدته علـى هجـاء أبنـاء جيلـه ويـررر ذلـك لحـسدهم ولـؤمهم ؛ ولأن مـادِحهم لا يحـصل إلا أمانيـا

وهذا ما فعله فتيان الشاغوري، في قوله : " مجزوء الرمل "

نَحــــن فــــي جِيــــلٍ لِئــــامٍ **كلهـــــم ســـــخْنةُ عــــــين**[2]
هجـــــوهم أَحـــــسن صِـــــدقٍ **مـــــدحهم أكبـــــر مـــــين**
مـــا لِمـــن يمـــدحهم منـــــ **هـــم سِـــوى خُفَـــي حنَـــين**
فـــاهجهم تَلـــــق الأمــــاني **بِـــــنْهم كـــــابن عنَـــــين**[3]

فالـشاعر فـي الأبيـات الـسابقة يحـرض الـشعراء للتوقـف عـن مـدح الأعيــان لمــا فيــه مــن نفــاقٍ أولاً ، ولأن مــادحهم لا ينــال مــنهم شــيئاً ، وسيعود من عِنْـدهُم بِـلا نـوال إلا كنـوال حنـين مـن خفيـه ، ويـرى أن هنـاك من يستحق الهجو كابن عنين ففي هجوه تبلغ الأماني .

---

1 - **الديوان** : 147.
2 - سخنة عين : الحرارة والحمى وهي كنايـة عـن الحـسد واللـؤم ينظـر:ابـن منظـور،**لـسان العرب** ، مادة (سخن).
3 - **الديوان** : 548.

وقد أظهر الشعراء خلال هذه الفترة وخاصة في تهاجيهم عفوية، وبداهة تنم عن الذكاء ، وسرعة الخاطر ، وعرف ابن ظافر الأزدي تلك البداهة بقوله : " اقتدار الشاعر على القول من غير فكرة ولا أهبة ، باقتدار نازل البئر على النزول من غير حبل ولا آلة "[1] فبمجرد سماع الشاعر كلام من يعرض به في الهجاء يرد عليه سريعاً كسرعة جريان الماء ، مما جعل ألفاظهم تتميز بالسهولة والبساطة والبعد عن التعقيد وخير من يمثل هذا الأسلوب ابن قلاقس فحين هجا الشاعر ابن الذروي ابن قلاقس وعيره بأن لا لحية له ، في قوله : " الخفيف "

لك وجه – أبا الفتوح – أشطٌ ... ما على لعن مثله من جناح

أَنِفَ الشَعر أن يلوح عليه ... وهو يبدو على القفاح القباح[2]

فقد رسم له صورة قبيحة آلمته وقد دفعت ابن قلاقس أن يرد عليه بداهة، فيقول : " السريع "

يا ذروياً كان في حبه ... جسمي في الرقة كالذر

أقصدتني بالهجر من بعد ما ... أقصدتني من قبلُ بالهجر

وخِفْتَ أن ينْطِقَ ثغْري بما ... يبيح آثار جمى الثغر

كُن آمناً فالدهر قد شُفعتْ ... أحداثُه فيك مدى الدهر[3]

---

1 - **بدائع البدائه** 7.

2 - ينظر : ابن سعيد ، **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة** 335.

3 - **الديوان** : 450.

ومثلها فـي هـذا البـاب تعـرض أحـد المغنـين يـدعى " حـسام "ببليقـة[1] بالهجاء لابن قلاقس ، فيقول :

اسـألوا عنّـي فتـوح بـن قلاقـس كيـفَ رأى ضـرب الـشاوح بالـدرافس[2]

فيرد عليه ابـن قلاقـس بكـلام فيـه سـب وشـتم يـنم عـن غـضبه ممـا سمع ، فيقول : " المجتث "

لـيس الحـسام حـساماً وإنّمـا هـو غِمـد
يـشدو فكـم مـن فـؤادٍ تحـت الـسياطِ يـشَد
قـد قلـتُ إذ تـاه فينـا تَبظرمـاً[3] لا يحـد
... عليـك ولـو كـا ن معبـد[4] لـك عبـد[5]

وفي إطـار التهـاجي بـين الـشعراء لجـأ بعـض الـشعراء إلـى الـسخرية مـن مهجـويهم مـستخدمين المراثـي الـشعرية وسـيلة ومـدخلاً ، لتحقيـق أهدافهم للنيل من ضحاياهم ، وهي ما يسمى " بالمراثي الهجائية " .

وممـن وقعـت لـه أشـعار مـن خـلال مطالعاتنـا لـشعر تلـك الفتـرة الزمنية وعبرت بـذلك الأسـلوب عرقلـة الكلبـي الـذي جـاء ظـاهر أبياتـه فـي

---

1 - البليق : هو قسم من أقسام الزجل يتضمن الهزل ، والخلاعـة ، والإحمـاض ، وهـي مـن فنـون الأدب العامي وأرفعها رتبة . ينظـر : الحلـي ، صـفي الـدين ، **العاطـل الحـالي والمـرخص الغالي** 6 .

2 - **بدائع البدائه** : 395 . الدرافس : مفردها درفس وهي الضخم والضخمة من الإبل . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (درفس) .

3 - تبظرم : تبظرم الرجل أي رفع بطرف لسانه شفته العليـا ليحـف شـاربه . ينظـر : الزبيـدي ، **تاج العروس** ، مادة (بظر) .

4 - معبد : هو معبد بن وهب أبو عباد المدني ، نابغة الغناء في العصر الأموي ينظر:الزركلي، **الأعلام** 177/8.

5 - **الديوان** 419.

البكاء على الشاعر الأندلسي " أبي الحكم الأندلسي "[1] رثاء ، لكن معناها فيه هجاء لاذع فهو يدعو له بعدم الرحمة ولا بالسقيا على قبره لفساد عقيدته ودينه، فيقول : " البسيط "

يا عين سحي بدمع ساكبٍ ودمٍ على الحكيم الذي يُكْنَى أبا الحكمِ

قد كان لا رحم الرحمن شيبتَه ولا سقى قبره من صيبِ الديمِ

شيخاً يرى الصلواتِ الخمس نافلةً ويستحلّ دم الحجاجِ في الحرمِ[2]

والحديث يطول بنا عن تلك المساجلات الشعرية ، لكن تلك النهضة الشعرية وجدت رواجاً " فكان للتشجيع الذي لقيه الأدباء من ملوك الزنكيين والأيوبيين أثر كبير في رواجه ونفاق سوقه "[3] بل إن بعضاً من أبناء ملوك بني أيوب كانوا من أشهر الشعراء" فقد كان الأفضل بن صلاح الدين شاعراً"[4] ، لذلك حرص الشعراء على إقصاء خصومهم والتقليل من إبداعاتهم بل وإظهارهم في أبشع صورة وتجويد شعرهم لنيل الرضى من جانب الحكام والأمراء ، فكان للمنافسة بين شعراء مصر والشام من الإجادة والإبداع ، أثر في رواج الشعر"[5] ومنه شعر الهجاء وما تضمنه من نقد اجتماعي وسياسي للجوانب السلبية في تلك الحقبة الزمنية .

---

[1] - هو أبو الحكم عبد الله بن المظفر الباهلي ، وهو أندلسي الأصل من أهل المرية ، كان عالماً بالطب ومتقناً للصناعة الطبية أغلب شعره مراثي قصد بها اللعب والمجون ، كان يهاجي بعضاً من الشعراء ويهاجونه ومنهم عرقلة الكلبي توفي بدمشق سنة 549 هـ . ينظر : الصفدي ، **الوافي بالوفيات** 622/17-625 ، ابن أبي أصيبعة ، **عيون الأطباء** 614 – 615، ابن خلكان، **وفيات الأعيان** 123/3 .

[2] - ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء 15 ، ولم ترد الأبيات في ديوان عرقلة ، وهناك أبيات في ديوانه بالموضوع نفسه ، لكن لبذاءتها أترفّع عن ذكرها . ينظر: **ديوانه**: 36.

[3] - أبو الخير ، محمود عبد الله ، **الشعر الشامي في مواجهة الصليبيين** : 75/1.

[4] - ينظر :ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** 37/1 ،القلقشندي ، **صبح الأعشى** 309/6.

[5] - أبو الخير ، محمود عبد الله ، **الشعر الشامي** 78/1.

المبحث الثاني : هجاء ما لا يعقل :

شمل الهجاء في هذه الفترة الزمنية كل مناحي الحياة ، ولم يقف الشعراء عند ذم الأفراد وحدهم ، بل تعدوه إلى ذم بعض الحيوانات والنباتات ، ووسائل اللهو ، ومظاهر الطبيعة وغيرها مما لا إدراك له ، لكنني أود أن أشير إلى أن هذا اللون من الهجاء لم يكن مستحدثاً بل كان شائعاً فيما مضى من عصور سابقة يمكن مطالعته – على سبيل المثال – عند شعراء القرن الثاني الهجري[1] ويمكن أن ندرك من خلاله أذواق الشعراء ونوازعهم ، ومظاهر الحياة في عصرهم ونظرتهم إلى الناس والكون .

ومن النماذج التي يمكن عرضها في هذا المقام ما عبر عنه ابن عنين – حين ذم خروفاً هزيلاً أُهدي له من قبل الشريف الكحال[2] وعده به ، ولم يحصل عليه إلا بعد مدة من الزمن ، وكان الخروف هزيلاً ومن شدة هزاله وصفه الشاعر بأسلوب ساخر ، بعاشق أصيب بمرض العشق ، فأذاب جسمه ونخر عظمه حتى بدا للرائي كالخيال لا يرى يقول فيه : " الطويل "

أتاني خَروفٌ ما شككتُ بِأنّه ... حليفُ هوى قد شفه الهجر والعذلُ

إذا قام في شمس الظهيرةِ خِلْتَه ... خيالاً سرى في ظلمةٍ ما له ظِل

---

[1] - ينظر : التميمي ، قحطان رشيد ، **اتجاهات شعر الهجاء في القرن الثاني الهجري** الصفحات من 78 – 85.

[2] - هو برهان الدين أبو الفضل ، أصله من مصر وانتقل إلى الشام ، خدم بصناعة الكحل السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب حتى وفاته ، هجاه العديد من الشعراء . ينظر : ابن أبي أصيبعه، **عيون الأنباء** 660.

فناشــدته مــا تــشتهي قــال قتــةٌ	وقاســمتُه مــا شَــقَّه قــال لِــي الأكــلُ
فأحــضرتها خــضراء مجاجــةَ الثــرى	مــسلمةً مــا حــص أوراقَهــا الفتْــلُ
فظَــل يراعِيهــا بِعــينٍ ضعــيفةٍ	وينــشدها والــدمع فــي الخــد منْهــلُ
"أتت وحيــاض المــوتِ بينــي وبينَهــا	وجــادتْ بِوصــلٍ حــين لا ينْفَــع الوصــلُ[1]

ولــيس خــروف الكحــال أول حيــوان يتعــرض للــذم بــل طــال الــذمُ مــن قبــل الــشعراء حيوانــات كثيــرة دفعــت الجــاحظ لتــأليف كتــاب أســماه الحيــوان بــين فيــه مــا قــالوه فــي ذمهــا وأوجُــه القــبح فيهــا ، ومــا يتــصل بأصواتها وأشكالها وغير ذلك[2] .

واتجــه بعــض الــشعراء إلــى ذم الخمــر ، مــصوراً مــا لهــا مــن آثــار سيئة على شــاربه وأقلهــا كمــا يقــول الــشاعر أبــو عبــد ا محمــد بــن إبــراهيم الأزدي ذهاب عقل الإنسان ، فيقول : " الطويل "

فأيــسر مــا فيهــا لــذي العقــل أنَّهــا	إذا ولجــتْ فــي رأســهِ خــرج العَقْــلُ[3]

ومــن الأمــور التــي تثيــر الاســتغراب أن يــذم بعــض الــشعراء الغــيم ، الــذي يُعــد ظهــوره فــأل خيــر للنــاس ، لأنــه ينبــئ بــالمطر ، والمطــر يعنــي الحياة وإعلانــاً لموســم جيــد للمــزارعين ، وربمــا دفــع الــشاعر ظــرف خــاص به فالشاعر الجرز الكاتب ، يقول : " السريع "

مــــا أقــــبح الغَــــيم ولَــــو أنّــــه	يمطِرنــــــــــا دراً وياقُوتَــــــــــا

---

1 - **الديوان** : 134 – 135 .

2 - ينظر : **الحيوان**، الصفحات مثلا 247/1 – 257 ، 352/1 – 356 ، 308/2 – 309 .

3 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 278/1.

فكيف والآفاقُ مغبَرة ... شوهاء لا ماء ولا قُوتا[1]

وقد نالت الشمس نصيبها من الذم ، رغم الفوائد العظيمة لهذا الكوكب لكنها لم تسلم من لسان ابن سناء الملك ، ويذكر الصفدي تعليلاً لوجود مثل هذه الظاهرة عند الشعراء قائلاً : " هذا المعنى تكلفه الشاعر في إظهار معايب الشمس ليبين تفاوت الناس في البلاغة وأحسن ما في هذه القطعة يا غلة المهموم "[2] ، فالشعر بناء على ما سبق متكلف أراد الشاعر من ورائه إبراز مواهبه وقدرته البلاغية، وفيها يقول الشاعر : " السريع "

لا كانَتِ الشمس فكَم أصدَأتْ ... صفْحةَ خد كالحسامِ الصقيلْ[3]
وكَم وكَم صدتْ بوادي الكَرى ... طَيفَ خَيالٍ جاءني من خَليلْ
وأعدمتْنِي من نُجومِ الدجى ... ومنه روض بين ظِل ظَليلْ
تَكْذِب في العهدِ ، وبرهانُه ... أَن سراب القفْر منها سليلْ
وتَحسب النهر حساماً فتَر ... تَاع وتحكي فيهِ قَلْب الذليلْ
إن صدَأَ[4] الطرفُ فما صقْلُه ... إلا التحلي بمحيا جميلْ
وهي إذا أبصرها مبصِر ... حديد طرفٍ عاد عنْها كليلْ
يا غُلةَ[5] المهمومِ جِلدةَ الـ ... ـمحمومِ يا زمرةَ صب نَحيلْ
يا قُرحةَ المشْرق وقْتَ الضحى ... وسلْحةَ المغْربِ عِنْدَ الأصيلْ

---

1 - الكتبي ، **فوات الوفيات** 235/4.
2 - **الغيث المسجم في شرح لامية المعجم** : 263/2 .
3 - الصقيل:السيف. ينظر : ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة(صقل).
4 - صدأ : صدأ الطرف بمعنى علته الكدرة والوسخ . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (صدأ) .
5 - الغُلة : شدة العطش و حرارته. ينظر: ابن منظور ، **لسان العرب**، مادة (غلل).

أَنْـتِ عجـوزٌ لِـم تبرجـتِ لـي وقـد بـدا منـكِ لعـاب يـسيل
وأَنْـتِ بالـشّيطان قَرِينَـةٌ فكيـفَ تَهـدينا سـواء الـسبيل[1]

فالـشاعر يـذم الـشمس ويعـدد سـلبياتها فهـي مغيـرة للألـوان ، وتزيل الظـل مـن البـساتين ، وهـي خادعـة لأن شـدة حرارتهـا تخـدع الظمـآن فـيظن الـسراب مـاء ، ويمـضي الـشاعر فـي ذمهـا حتـى يـصمها بالـشيطان وهو اعتقاد عند العرب فلا تصلح للهداية .

وقـد هجـا الـشعراء بعـض الألعـاب ومجالـسها التـي كـان النـاس يمارسـونها ولا يزالـون فهـي كمـا تـسمى لعبـة الأذكيـاء إنهـا لعبـة الـشطرنج التي وجه لها عرقلـة الكلبـي نقـده ، ويظهـر مـن ذمـه لهـا أنـه يظهـر الآثـار السيئة التـي تتخلـل هـذه اللعبـة بكثـرة القيـل والقـال ، ومـا يـدور فيهـا مـن ملاعنـة يبـدي الـشاعر رفـضه لـذلك الأسـلوب ، ونـراه يقول : " السريع "

مـا اجتَمـع الـشطْرنْج فـي مجلـس والنـرد ذاتُ الفِيـل والقـال
إلا لعنْـتُ الـشيخَ نُوحـاً ولـم أُقْـصِر مـن اللّعـن علـى الـصولي
لأنهـا لِقُـبح مـا عِنْـدها تُقـدم الـشاَة علـى الفيـل[2]

وقد طال الـذّم بعـض الكتـب كمـا فعـل ابـن سـناء الملـك يـذم كتـاب الخريـدة وصـاحبها قُبيـلَ تـصنيفه مـن قبـل العمـاد الأصـفهاني وألحـظُ فيهـا

---

[1] - **الديوان** : 481/1 .
[2] - **الديوان** : 77 – 78 ،للاستزادة ينظـر أبيـات للأسـعد بـن ممـاتي ، أبـو شـامة المقدسـي ، **الروضتين** 299/2 .

حـسداً وغيـرةً مـن الـشاعر ؛ لأن النعـت لهـا بـالنقص علـى عكـس الحقيقـة التي يدعيها الشاعر ، فيقول : " السريع "

خَريـــدةٌ أفيّـــةٌ هِـــن نَتْنِهـــا كأنهـــا هِـــن ريـــج أنفاسِـــه
قِنـــصفه الأول فـــي ذقنـــه ونـــصفها الآخـــر فـــي رأســـه[1]

وإذا كـان التعـريض للخريـدة وصـاحبها أمـراً طبيعيـاً ، فـي ميـدان التهاجي بين الـشعراء مـن خـلال البحـث عـن المعايـب والنـواقص التـي تقلـل من قدر صـاحبها ، ومحاولـة أحـدهم إظهـار التفـوق علـى نـده ، فـإن الغريـب فـي الأمـر أن يستحـسن المهجـو شـتمه ، لـيس هـذا فحـسب ، بـل يردده ويقـول : " وا لقـد أحـسن وإن أسـاء إلـي فـي الهجـاء "[2] وقليـل مـن المهجـوين يـرى أن مـا قيـل فيـه مـن إزراء وتـشهير يبـدو حـسناً كمـا هـو الحال عند الأصفهاني يثني ويستحسن ما قيل فيه .

ولعـل الظـاهرة الأبـرز فـي هجـاء مـا لا يعقـل ، أن يـذهب الـشعراء فـي نقـدهم وهجـائهم إلـى الـزمن المتمثـل فـي شـهور الـسنة ،وتفـضيل أحـد الشهور علـى غيـره،ولابن الـساعاتي الـسبق فـي ذلـك حـين هجـا شـهر آب ، وأوجـد لنفـسه مبـررات وأعـذاراً بالـدعاء عليـه ، ولأنـه شـهر يتميـز بـشدة حـره وسـمومه اللاهبـة ، واشـتكى مـن طولـه ، ومـا جلبـه لـه مـن متاعـب وآلام جعلته ، يقول فيه : " الخفيف "

قُـــبح ا آب مـــا آب شـــهراً وابـــتلاه بِمـــا بِـــهِ هِـــن ســـموم
كـــل يـــومٍ يِـــهِ عـــذاب ألـــيم وهـــو ينْجِـــي مـــن العـــذاب الألـــيم

---

[1] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 131/7،ولم يذكر البيتان في ديوانه.
[2] - نفسه : 131/7.

وجب الصوم فيه شرعاً فصمنا في جحيم رجاء قرب الجحيم[1]

لم يكن عهده كريماً ولكن نا حفظناه للمقام الكريم[2]

ويبدو لي أن مثل هذا الهجاء لم يكن جاداً ، فقد يكون الشعراء قد ساقوه من قبيل الدعابة والتسلية من الظروف المحيطة بهم ، لأن الحروب الصليبية لم تدع مجالاً للراحة فأراد الشعراء أن يقللوا من الكآبة إذ يقول شوقي ضيف " فالنفوس لم تكن مطوية على مرح ، وكان للحروب الصليبية أثرها في ذلك ، فإنها خلقت جواً من الصراع الكئيب بين الشرق والغرب "[3] ، لذا حاول الشعراء التخفيف عن أنفسهم .

---

[1] - اعتقد أن الأنسب بعد كلمة " رجاء " أن يقول قرب النعيم لأن ذلك يوافق المعنى.

[2] - **الديوان** : 399/2 ، وينظر: **ديوان عرقلة في هجاء الخريف** 11.

[3] - **الفن ومذاهبه** 491.

المبحث الثالث : مظاهر أخرى :

ومن المظاهر الأخرى التي ذمها الشعراء الفترات العُمرية في حياة الإنسان التي تتمثل في " شبابه وشيبته " ويبدو لي أن هذا النوع من الشعر أقرب للشكوى منه إلى الهجاء ، والشكوى عادة هي نتيجة لأوضاع اقتصادية واجتماعية سيئة في حياة الإنسان .

ويكشف هذا النوع من الهجاء عن شيء من تعاسة الواقع وسوداويته دفعت الشاعر للتعبير عن أيام الحرمان والفقر فذم شبابه ، لأنه لم ينعُم فيه بلذة عيش ولم يُحصل فيه نوالاً ، ولم يكن هذا النوع جديداً على هذه الفترة بل سبق شعراءها آخرون في عصور متقدمة مع تباين في النظرة إلى الشباب بين كثير من الشعراء . فلم تكن صورة الشباب في ذهن ابن الرومي مثلاً " فترة من الزمن ، أو ظواهر من المتعة والعافية ، وإنما يذكر شبابه وهو ينفذ إلى صميمه وباطنه ولبابه الذي لا يُحسب بالأيام"[1] .

أما ابن سناء الملك فيذم شبابه ، ولا يعبر عن لحظة ندم على انقضاء أيامه ، وكيف له أن يفعل ذلك وهو لم يذق فيه سعادةَ لحظة ولم يظفر بعطاءٍ لا بطريق شرعي أو غير شرعي ويفخر بأنه لم يبك عليه كما فعل غيره ، وما درى أن الشباب هو الحياة ولا فرق بين فاقد الشباب وفاقد الحياة ، إذ يقول : " الطويل "

أذم شباباً لم أَذُقْ فيه لذةً ولا نِلْتُ مِنْه لا حراماً ولا حِلاً

[1] - العقاد ، عباس محمود ، **ابن الرومي حياته من شعره** 235 .

وأحمـد مِنْـه أنني لـستُ باكيـاً عليـهِ كما يبكي سـواي إذا ولّـى[1]

فالشاعر يذم شبابه لأنه يرى أن المتعة بمقدار ما يسعد فيه ، وما يُحصل من هبات وأموال ، ويكون قد خالف نظرة ابن الرومي .

وأكثر الشعراء من ذم الشيب وكراهته ، وصوروا ما جلب عليهم الشيب من هموم وأحزان ، وما أحدث بهم من تغيير في حياتهم فعكّر صفوها ، وحرمها من متع الدنيا ، وأبعد الأحبة عنها .

وفي إطار تلك المعاني ذم الشاغوري إطلالة الشيب في رأسه ، في صور متتابعة تشير إلى ما أحدثه الشيب في نفسه من آلام وأحزان ، فألم الشعرات البيض في نفسه كوخز الحراب ، وظهوره إعلان صدود الأحبة وإغلاق صحف العتاب ، وإشارات الخجل ، وكل شعرة تظهر في رأسه هي يوم تنعب في خراب ، وظل الشاعر يذم الشيب على هذا النحو مضيفاً إلى الصور المقابلات اللطيفة والألفاظ المتجانسة ، فيقول : " الوافر "

نُـزولُ الـشّيب رحـلَ عـنْس عيـشي[2] **فـسار مودعـاً وصـلَ الكعـابِ**[3]

وللـشعراتِ لمـا لُحـن بِيـضاً بقلبـي مِثْـلَ وخْـزاتِ الحِـرابِ

مـضى زمـن الـصبا فاعتَـضتُ عنْـه يطُـول أسـى عليـهِ واكتئـابِ

فَقَـد نَـشَرَ المـشِيب كِتـاب صـد الـ أحبـةِ وانطـوتْ صـحفُ العِتَـابِ

بيـاض الـشيبِ قـد سـودتَ وجهـي فَفِـي تَـسويدِ وجهـك مـا أُحـابي

---

[1] - **الديوان** : 481/2.

[2] - عنْس عيشي : غير حالي إلى الكبر ، وأعنس الشيب رأسه : خالطه . ينظر :ابن منظور، **لسان العرب ،** مادة (عنَس) .

[3] - الكَعاب : المرأة حين يبدو ثديها للنهود. ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (كعب).

ألا يا صاحِ إنّي غَيرُ صاحٍ سَكِرتُ مِن المَشِيبِ بلا شَرابِ
فَسكري مِن مَشيبٍ حلّ عِندي محلّ البوم ينأم[1] في الخَرابِ
كِتَاب الشيبِ أبيض في سوادٍ وهذا ضِد معهودِ الكِتَابِ
مصابِيح المَشِيبِ هوتْ بليلٍ فَعاثَتْ في شَياطِين الشبابِ
فَقَد صدت شُموس الغَيدِ[2] عني صدود الشمس عن حال الشهابِ[3]

تلك صور متتابعة أبرز فيها الشاعر آلامه من مشيبه جمع فيها كثيراً من عناصر الصورة فبدا اللون الأبيض عنده شؤماً فسود وجهه ، وجعل الأسود على غير المألوف أملاً ودليلاً على الحيوية وعنواناً للشباب ، وغيرها من الصور الجميلة وإن كانت في الذم ومغايرة لمواضعها، لكن الموقف تطلّب منه ذلك ليعبر عن أحاسيسه ومشاعره .

ولعلّ أكثر الشعراء ذكراً للشيب والشباب ظافر الحداد ، وقد راوح في حديثه عنهما بين ذم المشيب ، ومدح الشباب ، ومن مقته للشيب في الرأس تمنّى موته في الشباب وجعل ذلك موضع سعادته فالعمر الحقيقي للإنسان زمن الشباب وما بعده حياة زائدة، وفيه يقول :   " الطويل "

شبابٌ تولّى ما إليه سبيلُ وشَيبٌ تَبدى[4] ليس منه مقيلُ
فهذا كليلٌ[5] الوصل لونا ومدةً وذا كنهار الهجر فهو طويلُ

---

[1] - ينأم : ينْئِمُ وينأم نئيماً وهي (صوت الضعيف). ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نأم) .
[2] - الغيد : مفردها غيداء وهي المرأة الناعمة المتثنية من اللين وقد تغادت في مشيتها . ينظر: ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (غيد) .
[3] - **الديوان** : 48 – 50.
[4] - تبدى : ظهر . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (بدو).
[5] - كليل : ضعيف ، خائر القوى ، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (كلّ) .

فأطيب عيش المرء عصر شبابه ... ومن سعده لو مات حين يزول

فلا تحسبن العمر بعد شبيبةٍ ... فكل حياةٍ بعد ذاك فُضولُ

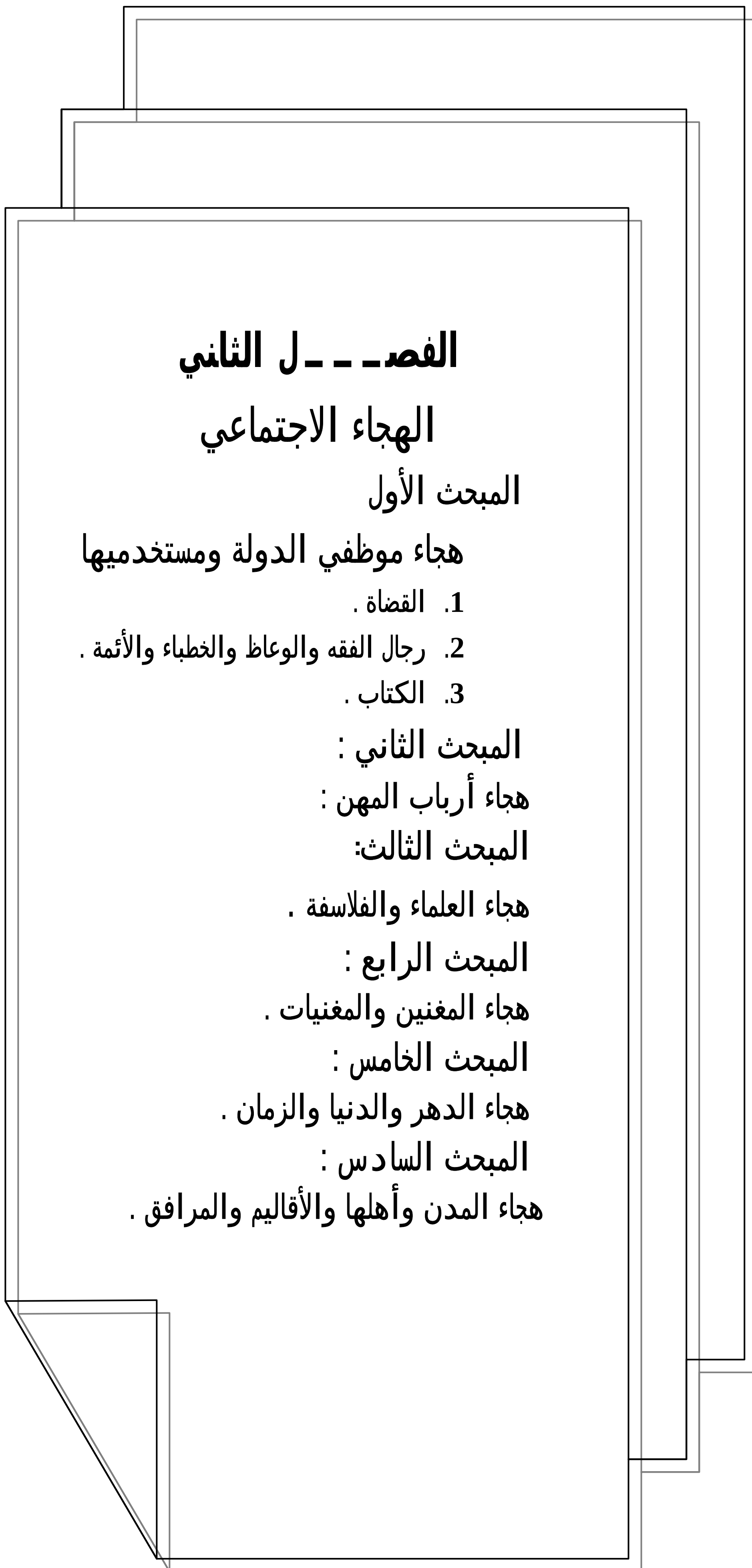
إذا الشيخُ أثْرى فهو أفْقر معدِمٍ ... وإن صح بعد الشّيبِ فهو عليلُ

بكى النّاس أيام الشبيبةِ قبلنا ... بكاء أطالوا فيه وهو قليلُ[1]

فالشاعر قابلَ بين شباب المرء وشيبته، فالشباب لحظاته جميلة تمر بسرعة بينما شيخوخته طويلة مُمِلة ومؤلمة كأيام هجران المحبوب .

وأخيراً يبدو أن الشعراء في مجال الهجاء الشخصي شمل هجاؤهم كل جوانب الحياة وعبروا بمشاعرهم عن حياة الإنسان وكل ما يحيط بهم في هذا الكون ، وقد غلب على أشعارهم نزعتهم الشخصية ، فصوروا تلك المظاهر السلبية للحياة العامة من وجهة نظرهم .

[1] - **الديوان** : 247 ، للاستزادة بالمعنى نفسه ينظر : نفسه الصفحات 13 - 16 .



الفصـــل الثاني

الهجاء الاجتماعي

المبحث الأول

هجاء موظفي الدولة ومستخدميها

1. القضاة .
2. رجال الفقه والوعاظ والخطباء والأئمة .
3. الكتاب .

المبحث الثاني :

هجاء أرباب المهن :

المبحث الثالث:

هجاء العلماء والفلاسفة .

المبحث الرابع :

هجاء المغنين والمغنيات .

المبحث الخامس :

هجاء الدهر والدنيا والزمان .

المبحث السادس :

هجاء المدن وأهلها والأقاليم والمرافق .

الهجاء الاجتماعي :

يجدر بنا الإشارة إلى أن الحديث عن الهجاء الاجتماعي وصوره المختلفة التي نظمها الشعراء ، وعبروا من خلالها عن حياة المجتمع في ظل الدولتين الزنكية والأيوبية ، ليس الهدف منه تجريح العصر والوقوف فقط عند صوره السوداوية ومظاهره السلبية ، سعياً لمحاكمة عصر تلك الدولتين و القائمين على شؤونهما ، وإنما هدف الدراسة الرئيس هو الوقوف على دور الأدب وخاصة الشعر ، على واقع الحياة الاجتماعية ، ومساهمة الشعراء في نقد سلبيات المجتمع من خلال القائمين على تسيير شؤونه بمختلف مستوياتهم ، وإظهار ما حملته أشعارهم من رسائل اجتماعية تريد النهوض بها ، وإيصالها إلى القائمين على أمره ؛ لتنبيههم إلى جوانب التقصير والانحراف، وقد يكون فيها دافع نحو دالة الصواب .

ولعلّ ما يستفاد من قراءة تلك الأشعار إبراز الدارس صورة عن موقف الشعراء لأحداث ذلك العصر وصور حياة أفراده ، فعواطف الشعراء هي وحدها الكفيلة في تصوير الواقع لما تحمله من رقة الأحاسيس والمشاعر ، ورغم التباين في أساليب الشعراء نحو هذا الموضوع ، واختلاف النماذج الشعرية التي تشير إلى تلك المفاسد ،إلا أنها تشير بصورة لافتة إلى وجود توافق ، وتشابه فيما بينها حول تلك المساوئ ، مما يجعل هذا التوافق ليس من قبيل الصدفة ، وإنما إشارة

إلى إجماع على صورة الحياة التي عاشها أفراد المجتمع ، ومنهم الشعراء في ذلك الزمن .

ويبدو أن التداخل الكبير في مضامين تلك الأشعار ، وما تحمله من صور اجتماعية متعددة في مجالات النقد ، تضع الدارس في حيرة لتحديد اتجاهاتها ، وبعد تأمل تلك الأشعار التي جمعت في هذا المجال ، والوقوف عندها طويلاً واستقراء مضامينها المختلفة ، فقد ارتأى الدارس أن يقسمها إلى محاور رئيسة ، ثم تناول كل محور منها بالدراسة والتحليل لإظهار الجوانب الفنية التي صورتها تلك الأشعار بقدر من الواقعية والموضوعية على النحو الآتي :

المبحث الأول : هجاء موظفي الدولة ومستخدميها :

لعل أبرز مظاهر الهجاء الاجتماعي زمن الزنكيين والأيوبيين ذم الشعراء لعدد من المستخدمين ، والعمال ، والموظفين الذين استغلوا وظائفهم في ظلم الناس واستبدادهم ، فعمدوا إلى كشف تجاوزاتهم وتعدياتهم على طبقات المجتمع الفقيرة ، وتراوحت أشعارهم بين الهجاء الشخصي ، والنقض الموضوعي الهادف ، فصوروا بأشعارهم معاناة الناس وظروفهم السيئة في تلك الفترة ، وأبدوا من خلالها دلالات لا لبس فيها عن مظاهر الفساد الاجتماعي وظلم الناس ، ويمكن تتبعهم على النحو التالي :

1. هجاء القضاة :

يعـد القاضـي عنوانـاً لعدالـة الدولـة ، ورمـزاً لإحقـاق الحـق ونـصرة المظلـومين ، فهـو أعلـى مـسؤول يـسير شـؤون الرعيـة فـي أمورهـا الدينيـة والدنيوية ، لـذا ينبغـي أن يحمـل صـفات الـورع والتقـوى والعـدل التـي تؤهلـه لهـذا المنـصب الإداري ، وأن يخلّـص نفـسه مـن اتبـاع الهـوى فـي أحكامـه ، وقد تعـرض القـضاة فـي ظـل الـدولتين الزنكيـة والأيوبيـة للنقـد الـلاذع مـن الـشعراء الهجـائين ، والقـدح المقـذع وصـل أحيانـاً إلـى مرتبـة الـسباب ، وربما يكـون الـشعراء علـى حـق فيمـا أظهـروه مـن مـساوئ ومفاسـد لـبعض القضاة ، لكن حكمهـم لا يكـون بـالطبع ظـاهرة عامـة ، فقـد وجـد مـن القـضاة من اتسم في حكمـه بالعـدل ، وبالتـالي يكـون بعـض الـشعراء قـد سـلك هجـاء القضاة بباعث شخصي ليس إلا .

لقـد تعـددت المثالـب والنـواقص التـي طالتهـا ألـسنة الـشعراء للقـضاة ، وجـاءت أولويـة الـشعراء فـي ذم القـضاة تُبنـى علـى أسـاس جـورهم ، وجهلهـم بالأحكـام ونقـص درايـتهم بـالعلوم الفقهيـة ، وقلـة فهمهـم لأمور القضاء الذي يستدعي كل علم[1] .

وكـان أكثـر الـشعراء جـرأة وسـلاطة لـسان فـي هجـو القـضاة وتجريحهم ابن منيـر الطرابلـسي ، فقـد جعـل مـن قاضـي صـور مـادة لتَنَـدره

---

[1] - ينظر: الشهرستاني ، **الملل والنحل** 171/1.

وتهكمه من مهنته بأسلوب ساخر يبدأ باتهام " محمد بن هبة ا "[1] بالجهل ولا يحمل أي صفة تدل على معرفته بالقضاء ، سوى عمامة كبيرة تخفي تحتها وجهاً صغيراً، وقد زينت برسوم وتصاوير لمختلف الحيوانات كالكلاب ، والحمير ، والوحوش والظباء ، وصور للعاهرين والعشاق إذ يقول : " الخفيف "

هو قاضٍ كما يقولُ ولكن	**ما عليه من القضاء علامه**
عِمةٌ تَملأُ القضاء على وجـ	**ـهٍ ضئيلٍ كعشْر عشْر القُلامه[2]**
وعليها من التصاوير ما لم	**يجمع الدقْس بعضه أو قُمامه**
لو تَخِذنا البحر المحيط مِداداً	**وجعلنا بيتَ الدنا أقلامه**
مِن وحوش رواتع وظباءٍ	**رتع بين أَثْلَةٍ[3] وثُمامه[4]**
وكلابٍ قد أُضريتْ وبزاةٍ	**فوق ما ثورتْ له حوامه**
والنبيون كُلٌ من أظهر الحقْـ	**ـقَ وأُورى بصِدقْه أَعلامه**
فعليها أبو الخلائق قد عو	**وض دار الدنيا بدار المقامه[5]**

واستمر الشاعر بالإزراء بالقاضي معرضاً لكل صفاته الخُلقية والخلقية والاستهزاء بعلمه واتهامه بالجهل وقلة العقل ، وقد أظهر الشاعر قدرة لغوية وفنية كبيرة في تصوير مهجوه ودلل هجاؤه على

---

[1] - هو أبو الفتح محمد بن هبة ا بن إبراهيم بن خلف التميمي ، قاضي صور ، كان ذا مروءة وحسن خلق توفي سنة 532 هـ . ينظر :ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب** 101/4، ابن القلانسي، **تاريخ دمشق** 418.

[2] - القلامة: هي المقاومة عن طرف الظفر. ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (قلم).

[3] - أثلة : بفتح أولها وإسكان ثانيها وآخرها ها . يظن أنها تلقاء مصر . ينظر : البكري ، عبد ا بن عبد العزيز ، **معجم ما استعجم** 108/1 .

[4] - ثُمامة : صخيرات الثمامة إحدى مراحل النبي – صلى ا عليه وسلم – إلى بدر بين السيالة وفرش . ينظر:ياقوت الحموي، **معجم البلدان** 84/2.

[5] - **الديوان** : 105 – 106.

ثقافة واسعة تـدل عليهـا تلـك الـصور المـستوحاة مـن التـاريخ والقـرآن ، وقـد ذهـب فـي الـسخرية منـه بتَعنيـفٍ مـن يمالئونـه ويـرون فيـه صـفة الإمامـة والقضاء فيقول : " الخفيف "

لا تَقُولُـوا : كَيـفَ اسـتَطَاعتْ ثَباتَـاً فَـوقَ رأسـي أخَـف مِـن دوامـةْ
غَيـر بِـدعٍ أن تَحمِـلَ الأرض مِنْهـا ولَهـا مِـن قَرنَيـهِ أقْـوى دِعامـةْ
أحمقٌ لـو يقـالُ فـي بلـدِ الـصيـ ـن طِـراز أمـس بـأرضِ اليمامـةْ
كان في بانيـاس يقْـضِي فَـلا ينْـ ـفَذُ فِـي قَـدرِ بعـرةٍ أحكامـةْ
مكّـن ا ُ دريِـي مِـن أعـالِي سـقّلٍ يـدعون فِيـهِ الإمامـةْ[1]

ويعـد العـدل بالأحكـام وتجنـب الجـور ، مـن أهـم الـصفات المأمولـة من القاضي ، وقيـل بـين النـاس إن مـن يستـشعر الظلـم مـن الآخـرين ينتظـر الإنـصاف مـن القاضـي ، وكلمـا أظهـر القاضـي العـدل فـي أحكامـه أكبَرَتْـه النفوس ، وأعلـت مـن قـدره ، ولكـن هنـاك مـن القـضاة مـن رمـاه الـشعراء بالجور والظلم فهـذا أبـو المجـد المعـري يتـذمر مـن ظلـم بعـض القـضاة فـي عـصره وعـسفهم بالرعيـة ، ويرسـم صـورة وحـشية لأولئـك القـضاة ، فهـم ذئاب تتعقـب شـاة ، وتـوحي الـصورة للمظلـومين المغلـوب علـى أمـرهم ممـن لا حول لهم ولا قوة فيقول : " الوافر "

تـولى الحكْـم بـين النـاس قَـوم يهـم نَـزلَ الـبلاء مِـن الـسماءِ
كـأنهم الـذئاب إذا تَعـاوتْ سـواغِبها علـى آثـار شـاءِ
يقـولُ القـائِلون إذا رأوهـم لقَـد جـار القَـضاةُ علـى القَـضاءِ[2]

---

[1] - **الديوان** : 108.
[2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 12/2.

وقـد يلجـأ الـشاعر فـي هجـوه إلـى رسـم صـورة سـاخرة بغـرض الإضــحاك دون أن يكــون بينــه وبــين المهجــو ضــغينة أو ســخط ، وإنمــا يعمد فيه الـشاعر إلـى العبـث بأحـد الأشـخاص ، وإظهـاره فـي صـورة هزليـة على سـبيل التنـدر والدعابـة والظـرف ، وكلـون مـن ألـوان التـسلية ، وإزجـاء الفـراغ ، وإثبـات القـدرة علـى التـصوير والإضـحاك ، وهـو بهـذا المعنـى نتاج الترف الحضاري[1]، ومـن أمثلـة ذلـك مـا أنـشده ابـن عنـين فـي تـصوير القاضـي " جمـال الـدين المـصري " حـين طلـب فـي وصـيته أن يـدفن فـي داره بعـد وفاتـه فاتخـذ الـشاعر الحادثـة موضـوعاً هزليـاً للتنـدر والدعابـة ينهش به المهجو ،فيقول : " السريع "

مـا قَـصر المِـصري فـي فِعلـهِ إذ جعـــلَ الحفْـــرةَ فـــي دارِهِ
فَخَلّـص الأحيـاء مِـن رجمِـهِ وخلـص الأمـواتَ مِـن نـارِهِ[2]

ومـن قـبح مـا رمـي بـه القـضاة فـي هـذه الفتـرة قبـولهم الرشـوة ، وهي ظـاهرة ليـست جديـدةً علـى القـضاة بـل سـبقهم فـي فعلتهـا قـضاة فـي عـصور سـابقة[3] غيـر أن استـشراء هـذه الظـاهرة داء خطيـر علـى المجتمـع إذ فيهـا ضـياع للحقـوق وبـث للفـساد والتحايـل والكـذب وكلهـا أمـراض خطيـرة تـدمر المجتمـع ، ولـم يكـن القـضاة المرتـشون بمنـأى عـن عيـون

---

[1] - ينظر : عيسى ، فوزي سعد ، **الهجاء في الأدب الأندلسي** 187 .

[2] - **الديوان** : 238 . ووردت الأبيات في **عقود الجمان** لابن الشعار 152/6 بنص :

ما أقـصر المـصري فـي رأيـه إذ جعـل التربـة فـي داره
فخلّـص الأحيـاء مـن شـره وخلـص الأمـوات مـن نـاره

[3] - ينظر: التميمي،قحطان ، **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري** 167.

الـشعراء فرصـدوا فـيهم تلـك الخيانـة ، فهـا هـو الـشاعر المـصري أبـو المـشرف الـدجرجي يـزري بقـاضٍ لجـأ إلـى الرشـوة ، وتـرك القـضية بـين الخـصمين بـلا حكـم ؛ حتـى ينـال متاعـاً رخيـصاً مـن أحـدهما ، وشـهر بـه بـذكر عيوبـه دون أن يـذكر اسـمه فـصفاته تـدل عليـه قائلاً : " البسيط "

قـاضٍ إذا انْفَـصَلَ الخَـصمان ردهمـا إلـى الخِـصامِ بِحكـمٍ غيـر منْفَـصل

يبدي الزهـادة فـي الـدنيا وزخْرفِهـا جهـراً ويقْبـلُ سِـراً بعـرة الجمـل

مهلـلُ الـدهرِ لا فـي وقـتِ هيللـةٍ ويلـزم الـصمتَ وقْـتَ القَـول والعمـل

ومـا أسـميه لكنّـي نَعـتّ لكُـم نَعتَـاً أدلكُـم فيـهِ علـى الرجـل[1]

فاسم القاضـي لـم يـذكره الـشاعر، ولكـن صـفاته القبيحـة تعـرف بـه ، وفي ذلك منتهى التحقيـر لـه ، فهـو يقبـل الرشـوة مهمـا صـغرت قيمتهـا ولـو كانـت مقـدار بعـرة الجمـل ، فالقاضـي ذو طبيعـة ازدواجيـة متناقـضة ، فظاهره يدل على ورعه وزهده في الدنيا .

وخلاصـة القـول فـي هـذا الموضـوع أن الـشعراء ركّـزوا هجـاءهم على المثالـب والتجـاوزات التـي تـصدر عـن القـضاة قاصـدين تجريـدهم مـن فـضائلهم وقـيمهم كالجهـل . فمـا فائـدة القاضـي إذا كـان بـلا علـم ولا درايـة مما يدفعه ذلك إلـى الظلـم وقتـل كـل معنـى سـامٍ كمـا يقـول الـشاعر سـلامة السنجاري : " المنسرح "

ضـاقَ بِحفـظِ العلـومِ ذرعـاً ضـيقةَ كفّيـهِ بالأيـادي

قـاضٍ ولكـن علـى المعـالي والـدين والعقْـل والـسدادِ

---

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 66/2 .

يعـــدِلُ فـــي حكْمِـــهِ ولكـــن إلـــى الرشـــا أو عـــن الرشـــادِ[1]

2. هجاء رجال الفقه والوعاظ والخطباء والأئمة :

وفـي سـياق النقـد لمظـاهر الحيـاة الاجتماعيـة فـي تلـك الفتـرة الزمنيـة ، نـال رجـال الـدين علـى مختلـف مـستوياتهم ومراكـزهم الدينيـة نصيباً من سـخرية الـشعراء ونقـدهم الـلاذع ، ومـن أطـرف النمـاذج مـا قالـه ابن عنين فـي فقيهـين تحـاورا فبـدا عليهمـا الجهـل فـي أصـول الحـوار الـذي يـستند إلـى الحجـة والمنطـق ، مـستغلاً مـزاج النـاس وحـبهم للـسخرية مـن أصحاب الجـاه والـسلطان بألقـابهم ، فـاغتنم الـشاعر مـزاج النـاس واتخـذ مـن لقـب الفقيهـين مـادة تثيـر الـسخرية وتبعـث الـضحك فـي نفوسـهم فيقول : " الكامل "

البغْــلُ والجــاموس فــي جــدليهما قَــد أصــبحا مَــثَلاً لِكُــل منــاظر

بــرزا عــشيةَ ليلــةٍ فتنــاظرا هــذا بِقَرنَيــهِ وذا بالحــافِر

مــا أحكَمــا غَيــر الــصياح كأنمــا لَقِنــا جِــدالَ المرتَــضى بــن عــساكر

جِلقَــان مــا لهمــا شَــبيه ثالــثٌ إلا رفاعــةُ مدلَويــهِ[2] الــشاعر[3]

---

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 400/2.

[2] - هو عبد الرحمن بن بدر الحسن ، المعروف بلقب " مدلويه " له مـدائح فـي بعـض ملـوك بنـي أيوب توفي سنة 619 هـ . ينظر: ابن خلكـان ، **وفيـات الأعيـان** 266/5 ، الكتبـي ، **فـوات الوفيات** 275/2.

[3] - **الديوان** : 205.

أمـا ابـن الـساعاتي فيـزري بمهجـوه ويـسلبه فـضائله كلّهـا ، فحـين نظر إلى ذلك الفقيه هدته فراسـته إلـى أنـه سـيء بعيـدةٌ محبتـه يكـن لـه الكـره في قلبه ، ونعتـه بنقـيض صـفاته فالفقيـه جـامع للعلـم عـادة بينمـا هـذا الفقيـه جامع لكل العيوب فلم يبق له صفة حسنة ، وفيه يقول : " الخفيف "

وفَقِيـــهٍ بـــدا فَعاينْـــتُ مِنـــه وجـــه ســـوءٍ إلـــي غَيـــر حبِيـــبِ

قيـــلَ : ذا جـــامِع فَقُلـــتُ : صـــدقتْم هـــو لا شـــك جـــامع للعيـــوبِ[1]

وقـد وجـه الـشاغوري نقـداً لاذعـاً ، وهجـاءً جارحـاً لأحـد الوعـاظ ، واتخذ الـشاعر مـن اسـم (ابـن جـاموس) صـفة تلازمـه فـي خَلقـه وخُلقـه ، وإمعاناً في قدحـه وصَـفه بأنـه مـن هـذه الفـصيلة مـن الحيوانـات ، ثـم عمـد إليه فجـرده مـن صـفات الـواعظ الـصادق ، وأخـذ ينقـده ويحـذر النـاس مـن حـضور مجـالس وعظـه ،لأنـه كالجـاموس ومكانـه بـين البقـر، وفـي ذلـك قوله : " السريع "

رأيــــتُ بالجــــامِع أعجوبــــةً والنــــاس يــــسعون إليهــــا زمــــر

فقلـــتُ يـــا قـــوم علـــى رِســـلِكم مـــا يعِـــظُ الجـــاموس إلا البقـــر[2]

أمـا عبـد المحـسن الإسـكندري المعـروف بـابن الرقيـق فهجـا واعظـاً يدعى ابـن عبـد القـوي فنعتـه بـالمتكبر والمتغطـرس والمتعجـرف فـي معاملتـه

---

[1] - **الديوان** : 402/2.

[2] - **الديوان** : 204.

للناس ، أمـا عقلـه فخـرف لا يـدرك شـيئاً ممـا يقولـه ، وإمعانـاً فـي إزرائـه وتحقيره التقط لـه صـورة مـن التـراث الـشعبي مـستخدماً الألـوان فيـذكره بـأن لون ثيابـه البيـضاء لا تـوحي بـصفاء سـريرته ولا تـدل علـى فهمـه ، صـحيح أن اللؤلؤ موضعه الأصـداف لكـن بيـاض ثيابـه يغطـي صـدفاً مـن نـوع آخـر، وقد استخدم فـي صـورته المجانـسة اللفظيـة للتفريـق بـين الـصدفتين وفـي هـذا المعنى يقول : " المنسرح "

قل لابـن عبـد القـوي يـا خَـرِفُ[1]	**عـلام ذا التيـه مِنْـك والـصلفُ[2]**
لا يغْررنْـك الثيـاب أبيـضها	**فإنمـا مِنْـك تَحتَهـا جِيـفُ**
فالـدر مـستَودع حـشَا صـدفاً	**وأنـتَ در فـي جوفِـه صـدفُ[3]**

إن هـذه التـصرفات مـن هـذا الفريـق منكـرة ، وتثيـر اسـتياء النـاس وغضبهم ، لما لهذه الوظائف الدينية من مكانة وهيبة في النفوس .

وعبـر عـدد مـن الـشعراء عـن رفـضه مثـل تلـك التـصرفات مـن رجال الـوعظ والـدين ، ويعـد ابـن عنـين صـاحب القـدرة البارعـة لمـا يتمتـع به من جرأة ، وسـرعة بديهتـه فـي الـسخرية مـن بعـض رجـالات الـدين فقـد أظهر تهكمـه مـن الـدولعي خطيـب دمـشق . فقـد طالـت خُطبتـه فنَفَـرَ النـاس منها لما فيها مـن الخُطـوب وأحـدثت فـي النـاس فزعـاً وضـجراً دَفَعَـه إلـى أن يقول : " المنسرح "

طولـتَ يـا دولعِـي فقَـصر وأنـتَ فـي غيـر ذا مقَـصر

[1] - خرف : خَرِف الرجل : فسد عقله من الكبر ، والخـرف فـساد العقـل مـن الكبـر. ينظـر:ابـن منظور، **لسان العرب** مادة (خَرِف).

[2] - الصلف : مجاورة القدر في الظـرف والبراعـة والادعـاء فـوق ذلـك تكبـراً . ينظـر : ابـن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (صلف) .

[3] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 224/2.

خِطابةٌ كلها خُطُوب وبعضها للورى منَفّر[1]

وقد وقف الشعراء عند القائمين على إدارات الشئون المالية ينتقدونهم ، ويشّهرون بهم ، ويتهمونهم بالخيانة وسرقة الأموال العامة ، ويعد اختلاس الأموال والكسب بطرقٍ غير مشروعة ، والسعي للإثراء بكافة السبل من الظواهر التي ندد بها الشعراء، كما فعل ابن المسجف بمقطوعة شعرية ينتقد فيها القائمين على بيت المال ويتهمهم بالسرقة ، ويطلب من أولي الأمر تنحيتهم وإلا خيبوا آمال عصرهم بما هو مأمول منهم عمله في هذا المنصب الإداري، إذ يقول : " السريع "

وكيلُ بيتِ المال قَد أَصبح النْـ نَجم وكَم مِن حولِه حاما
فَهو لِبيتِ المال أهلٌ إذا أسقطت من آخرِهِ لاما
وا خَيبةَ الآمال في عصرِهِ وضيعةَ الأموال إن داما[2]

ويستمر الشعراء في نقدهم لتلك المرافق الهامة يعرضون بفساد القائمين عليها ويشَهرون بهم أمام عامة الناس ، ومثل هذا الشعر الهجائي أدى دوراً سامياً في المجتمع ، يذكّر بما ينبغي أن يكون عليه أفراد المجتمع من كريم السجايا كالطهر والنقاء والأمانة ، وتجنّب أي مظهر مستقبح ومنتقد ، كما يظهر ذلك الشعر الصورة الواقعية لحياة المجتمع في تلك الفترة الزمنية " فالهجاء نظرات نقدية لبعض أحوال المجتمع تناولها شعراء ذلك العصر في صورة ساخرة ونستطيع إذا

---

[1] - **الديوان** : 188 وللاستزاده ينظر: نفسه 182 – 183.

[2] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 335/3.

تعمقنا هـذا الهجـاء أن نـدرك الكثيـر ممـا كـان فـي هـذا العـصر "[1] فالـشاعر ناقد ومؤرخ يرسم ما يشاهد ويسمع .

وانتقــد الــشعراء العمــال والــسدنة ممــن يــشرفون علــى إدارة بعــض المؤســسات الدينيــة كالمــساجد والمــدارس ، ويــصورون بأســلوب لاذع ســوء أحــوال تلـك المرافـق بـسبب فـساد القـائمين عليهـا ، وقـد دفـع سـوء تلـك الأحــوال الــشاعر فتيــان الــشاغوري إلــى توجيــه نقــد لاذع لإدارة المدرســة الأمينيـة بدمـشق متهمـاً العـاملين عليهـا بالإسـراف والخيانـة وخـص المـشرف بالإسراف والعمال بأنهم غير مؤتمنين وفي ذلك يقول : " المنسرح "

إن (الأمينيـــــــة) إذا شَـــــــرفَتْ بمعـــشرٍ فـــي الـــورى لهـــا شـــان

مـــشْرِفُهم مـــسرفٌ وعـــاملُهم معاوِـــــلٌ والأمـــــين خَـــــوان[2]

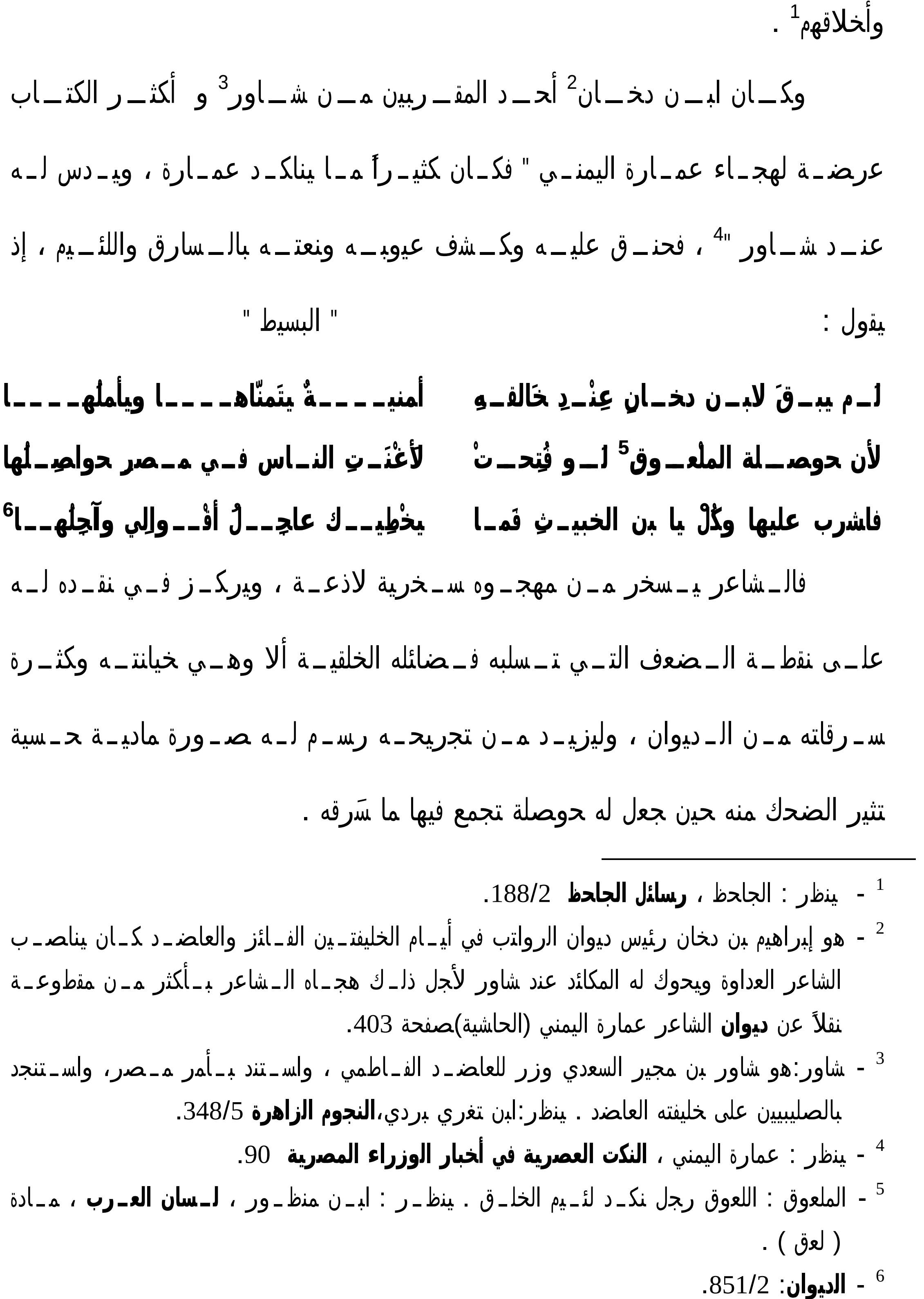
3. هجاء الكتاب :

ويقــصد بالكتّــاب أولئــك الأشــخاص الــذين عملــوا فــي دواويــن الدولة ، وتلـك مناصـب إداريـة خطيـرة لكـن تلـك الـدواوين لـم تكـن حديثـة هذه الفتـرة ، بـل وجـدت فـي العـصور التـي سـبقتها ، وعمـل الكاتـب خطيـر فهـو أمـين سـر الدولـة وكـاتم أسـرارها فـلا بـد أن يتـصف بالأمانـة ، ومـن اللافـت أن عـددا مـن الكتّـاب خـلال هـذه المرحلـة هـم شـعراء وقـد تناولنـا بعض أشـعارهم ومـنهم القاضـي الفاضـل ، وابـن سـناء الملـك ، وابـن قـادوس وغيرهم .

---

[1] - بدوي ، أحمد ، **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية** 81.

[2] - **الديوان** : 551.



وإذا كانت مكانة الكتاب الحساسة في الدولة موضع مدح الشعراء وثنائهم ، فإن بعضهم لم يسلم من ألسنة الشعراء ، فغدا موضع هجائهم وذمهم لأسباب كثيرة مختلفة ،منها سوء أفعالهم ولؤم طباعهم وأخلاقهم[1] .

وكان ابن دخان[2] أحد المقربين من شاور[3] و أكثر الكتاب عرضة لهجاء عمارة اليمني " فكان كثيراً ما يناكد عمارة ، ويدس له عند شاور "[4] ، فحنق عليه وكشف عيوبه ونعته بالسارق واللئيم ، إذ يقول : " البسيط "

لم يبقَ لابن دخانٍ عِنْدِ خَالقِهِ ... أمنيةٌ يتَمنّاها ويأملُها

لأن حوصلة الملْعوق[5] لو فُتِحتْ ... لأغْنَتِ الناس في مصر حواصِلُها

فاشرب عليها وكُلْ يا بن الخبيثِ فما ... يخْطِيك عاجِلُ أقْوالي وآجِلُها[6]

فالشاعر يسخر من مهجوه سخرية لاذعة ، ويركز في نقده له على نقطة الضعف التي تسلبه فضائله الخلقية ألا وهي خيانته وكثرة سرقاته من الديوان ، وليزيد من تجريحه رسم له صورة مادية حسية تثير الضحك منه حين جعل له حوصلة تجمع فيها ما سَرقه .

---

1 - ينظر : الجاحظ ، **رسائل الجاحظ** ،188/2.

2 - هو إبراهيم بن دخان رئيس ديوان الرواتب في أيام الخليفتين الفائز والعاضد كان يناصب الشاعر العداوة ويحوك له المكائد عند شاور لأجل ذلك هجاه الشاعر بأكثر من مقطوعة نقلاً عن **ديوان** الشاعر عمارة اليمني (الحاشية)صفحة 403.

3 - شاور:هو شاور بن مجير السعدي وزر للعاضد الفاطمي ، واستند بأمر مصر، واستنجد بالصليبيين على خليفته العاضد . ينظر:ابن تغري بردي،**النجوم الزاهرة** 348/5.

4 - ينظر : عمارة اليمني ، **النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية** 90.

5 - الملعوق : اللعوق رجل نكد لئيم الخلق . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (لعق) .

6 - **الديوان**: 851/2.

وقد أكثر عمارة من هجاء ابن دخان لخيانته الأمانة وقد أسهب في وصف تلك الرذيلة ، وأكثر من أفعال الأمر في هجائه ليدلل على بشاعة فعلته إذ يقول : " السريع "

قُلْ لابن دخانٍ إذا جئْتَه ووجهه ينْدى من القُرقُفِ[1]
ملّكك الدهر سِبالَ[2] الورى فاحلِقْ لحاهم آمِناً و انْتِفِ
خلا لك الديوان من نَاظِرٍ مستَيقِظِ العزمِ ومن مشْرِفِ
فاكسب وحصلْ وادخَر واكتَنَز واسرقْ وخُن وابطِشْ وخُذْ واخْطِفِ
واستَغْنِم القَتْرةَ من قبل أن يرتَفِع الإنْجيلُ بالمصحفِ[3]

فيرسم له صورة بشعة في السرقة مستخدماً كل الأساليب لجمع المال ، ومستغلاً غياب الرقيب والمحاسب ، وهو بذلك يشير إلى ظاهرة عند ضعاف النفوس يستغلون مناصبهم في الكسب غير المشروع .

ومن الصفات الذميمة التي نعت الشعراء بها الكتّاب الرشوة ، وهي داء خطير في المجتمع لما لها من آثار سلبية ، وها هو ابن المقدام المحلي يصور أحوال الكتّاب في عصره ، وكيف اتخذوا من مناصبهم درعاً لحمايتهم ، ومصدراً للإثراء، والغنى أحلّوه لأنفسهم، ومنعوه عن غيرهم ، وراح يرسم لهم صورة قبيحة تزري بهم فصور فرحتهم لحظة امتداد أيديهم إلى الرشوة بالخيل حين تبصر المخلاة المملوءة

1 - القرقف : الخمر . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (قرقف).
2 - سبال : جمع سبلة ، وهي الشوارب . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (سبل) .
3 - الديوان : 700/2، ويمكن ملاحظة الظاهرة نفسها في شعر ابن منكلان، ينظر:العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 42/2.

بـ ـالعاف لـ ـيجعلهم كالـ ـدواب لا هـ ـم لهـ ـا سـ ـوى مـ ـلء بطونهـ ـا فيقول : " الوافر "

وكُلّـ ـابٍ لهـ ـم أبـ ـداً حمـ ـاةٌ تَعـ ـد لهـ ـم رقًـ ـى مِثْـ ـلَ الـ ـصلال[1]
وكلهـ ـم يجـ ـر إليـ ـهِ نَفْعـ ـاً فعادتُـ ـه احتجـ ـابي واعتِزالـ ـي
بأيـ ـدٍ يَبتَـ ـدِرن إلـ ـى الرشَـ ـاوى كأيـ ـدي الخَيـ ـل مبـ ـصرةُ المخَـ ـالي[2]

وقـ ـد اسـ ـتخدم بعـ ـض الـ ـشعراء الكتـ ـاب وسـ ـيلة للـ ـسخرية والـ ـسب والشتم وإبداء جوانب فسادهم [3] .

المبحث الثاني : هجاء أرباب المهن .

لـ ـم يقـ ـف هجـ ـاء الـ ـشعراء عنـ ـد مـ ـسؤولي الإدارة فـ ـي الدولـ ـة بـ ـل تعـ ـدوهم إلـ ـى أصـ ـحاب المهـ ـن والـ ـصناعات ، فقـ ـد طـ ـال نقـ ـدهم كـ ـل منـ ـاحي الحيـ ـاة الاجتماعيـ ـة ، وتباينـ ـت الأهـ ـاجي مـ ـن حيـ ـث كميتهـ ـا فـ ـي هـ ـذا المجـ ـال ، فبعـ ـضها كـ ـان كثيـ ـراً بـ ـشكل مفـ ـرط ، وبعـ ـضها اقتـ ـصر علـ ـى مقطوعـ ـة أو اثنتـ ـين ، ومـ ـن أربـ ـاب المهـ ـن التـ ـي وجـ ـه إليهـ ـا نقـ ـد الـ ـشعراء : الأطبـ ـاء ، والكحالون ، والمغنون ، والمغنيات ، والتجار ، والحلاقون ، والعلماء .

 **هجـ ـاء الأطبـ ـاء :** يعـ ـد الأطبـ ـاء مـ ـن أكثـ ـر أربـ ـاب المهـ ـن تعرضاً للهجاء مـ ـن قبـ ـل الـ ـشعراء ، ويبـ ـدو أن كثـ ـرت الأطبـ ـاء دفعـ ـت ابـ ـن أبـ ـي أصيبعة إلـ ـى تـ ـأليف كتـ ـاب تنـ ـاول فيـ ـه حيـ ـاتهم وذكـ ـر أسـ ـماءهم ومـ ـا ورد مـ ـن

---

1 - الصلال ، مفردها صَلّة ، وهي القطع من الأمطار المتفرقة يقع منها الشيء بعد الشيء . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (صلل).
2 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 47/2 – 48.
3 - ينظر:**ديوان ابن الساعاتي** 132/1.

أشعارهم[1] ، وأُلفت كتب كثيرة في هذا المجال لكن كتابه تخصص بالعلم نفسه ، وهذا ما تميز به الطبيب ابن أبي أصيبعة عن غيره ، ولعل كثرة الأطباء دليل على التطور العلمي خلال هذه الفترة الزمنية .

وكان الجانب الأبرز الذي هجا به الشعراء الأطباء هو جهلهم وعدم معرفتهم بأصول المهنة فهذا ابن عنين يصف موفق الدين الطبيب[2] بقصور المعرفة في الطب ويجد له في هذا العيب مبرراً لهجائه فيقول : " الوافر "

ورب أخٍ حميمٍ بِتُّ ليلي ... أُجرّع من ملامته الحميما

يقولُ : علام من غَير اجترامٍ ... هجوتَ موفّقَ الدين الحكيما

فَقُلتُ له تأن فغير عدلٍ ... إذا ما لام من سَلِمَ السليما

شَكوتُ إليه من كانون قُراً ... أَبيتُ لِضرهِ أَرعى النجوما

فما أَلوى علي وقَالَ خَلْطٌ ... يزولُ إذا تجنّبتَ اللحوما

فَقَضيتُ الشتاء كما تَقَضى ... شِتا البرغوثِ في ذَقَن ابن سيما[3]

وأكثر فتيان الشاغوري من هجاء طبيب يدعى " نصراً " وطب هذا الرجل يقضي على آجال مستطبة ، وقد أمات الكثيرين منهم ،

1 - ينظر: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** 568.

2 - هو موفق الدين أبو نصر أسعد بن أبي الفتح بن جرجس المطران ، أمير أهل زمانه في صناعة الطب ، نشأ بدمشق ، وخدم الملك الناصر صلاح الدين بمهنته، وكان نصرانياً توفي سنة 587 هـ بدمشق . ينظر: ابن أبي أصيبعة ، **عيون الأنباء** : 651 – 656 .

3 - **الديوان** : 196، وللاستزادة عن الطبيب نفسه . ينظر الديوان : 133 ، 179 ، 193 ، 194. وابن سيما : هو تاج الدين أيوب بن فخر الدين محمود بن عبد اللطيف بن سيما أحد الشيوخ المعدلين بدمشق، وكان والد محتسب دمشق توفي سنة 662 هـ . ينظر :أبو شامة المقدسي، **ذيل الروضتين** 349/5.

فـضحايا الطبيـب مـن النـاس أكثـر مـن ضـحايا الحجـاج بـن يوسـف ، كمـا يقول :   " المنسرح "

بـا ِ يا نـصر تُـب فمـا قتـلَ الـ ـــحجاج مـا قَـد قتلـتَ يـا رجـلُ
طِبـــك مِـــن طَاعـــةِ الحِمـــامِ لـــه يقتُـــلُ مـــن لا دنـــا لـــه الأجـــلُ[1]

وها هو التاج البلطـي النحـوي يهجـو ابـن عـم لـه يـشتغل فـي الطبابـة ويذكر جهلـه بالمهنـة ، ويرسـم لـه صـورة سـاخرة فيـذكر أن مَـسه للمـريض أثقل مـن يـد الأسـد ، فقـد حـول مهنتـه إلـى حيـوان مفتـرس يقتـل مرضـاه فيقول :   " المنسرح "

لِي ابـن عـمٍ حـوى الجهالـة للـ ـــحِكْمةِ أضـــحى يطِـــب فـــي البلـــدِ
قد اكتفى مـذْ نَـشَا يـدِ ملَـك الـ ـــموتِ فمـــا إن يبقـــي علـــى أحـــدِ
تَجـس نَـبض المـريض مِنْـه يـد أســـامِ منهـــا بـــراثِن الأســـدِ[2]
يقـــولُ للنـــاس خَلـــوِ عـــضداً[3] فقلـــتُ يـــا ليتَنـــي بِـــلا عـــضدِ[4]

ومـن الـشعراء مَـن جمـع فـي هجـوه بـين الطبيـب وحمـال الجنـائز ومغسل الأمـوات ، وهـذا مـا فعلـه الـشاعر جـرجس الفيلـسوف النـصراني فـي هجوه لطبيب في قوله :   " السريع "

إن أبـــا الخيـــر[5] علـــى جهلِـــهِ يخِـــــف فـــــي كفتِـــــهِ القَاضِـــــلُ

---

[1] - **الديوان** : 361 ، وللاستزادة عن الطبيب نفسه . ينظر **الديوان** : 204 ، 585.
[2] - براثن الأسد كالظفر للإنـسان وهـي المخالـب . ينظـر : الزبيـدي ، **تـاج العـروس** ، مـادة (برثن) .
[3] - العضد : القوة ، وعضد الرجل أعوانه وأنصاره . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (عضد) .
[4] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 387/2 – 388.
[5] - أبو الخير:هو سلامة بن رحمون بن مبارك مـن أطبـاء مـصر وفـضلائها ،كـان يهوديـاً ولـه أعمال حسنة في صناعة الطب.ينظر:ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء** 568.

ثلاثــةٌ تَــدخُلُ فــي دفْعــةٍ   طَلعتُــــه والــــنعشُ والغَاسِــــلُ[1]

⌖ هجو الكحالين :

وهــؤلاء مجموعــة ممــن يعملــون فــي كحــل العيــون وقــد انتقــدهم الشعراء لمـا يلحقونـه مـن أذى بعيـون النـاس ، وأطلـق علـيهم أطبـاء العيـون أو مـا يـسمى الكحـالون ، وهـا هـو القاضـي الفاضـل يهجـو طبيبـاً يـدعى الشريف الكحـال[2] ويداعبـه بـصورة سـاخرة ثـم يـذكر مـا ألحقـه بعينـه عنـدما كحله فيقول :   " الكامل "

رجــــلٌ تَوكـــلَ لِـــي وكَحلنـــي   فَـــدهِيتُ فـــي عينـــي[3] وفـــي عينـــي

وخَـــشِيتُ تَنْقُـــلُ نقـــطَ كُحلِيـــةٍ   عينَـــي هـــن عينـــي وفِـــي عينـــي[4]

فـصور الـشاعر مـا يلحقـه مـن ضـرر بطريقـة سـاخرة ، معتمـداً على الألفاظ المتجانسة وتكرار الحروف التي أكسبتها جرساً موسيقياً .

وقـد هجـا ابـن عنـين الكحـال نفـسه ، وبـين مـا ترتـب علـى كحلـه بطريقة ساخرة قيّد تكحـل ويـد تعلـن القـضاء فمـا تكـاد يـداه تمـس مبـصراً إلا أصابه العمى وفي ذلك يقول :   " مجزوء الكامل "

---

[1] -العماد الأصفهاني،**الخريدة، (قسم شعراء مـصر)** 186/2،ابـن أبـي أصـيبعة،**عيـون الأنبـاء** 568.

[2] - الشريف الكحال : هو برهان الدين أبو الفضل أصـله مـن مـصر وانتقـل إلـى الـشام ، خـدم بصناعة الكحل السلطان الناصر صلاح الـدين .ينظـر:ابـن أبـي أصـيبعة ، **عيـون الأنبـاء** : 660.

[3] - عيني : الأولى : حاسة البصر ، وعيني الثانية : الذهب عامة ، وقيل الدنيا . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (عين) .

[4] - **الديوان** :2/ 438.

كُحــــلُ الـــشريفِ مقـــاربٌ[1] كـــم نـــاظرٍ قـــد أغمـــضا
تَلقـــى الـــدوا بيمينـــهِ وشــمالُه تُعطـــي القـــضا[2]

ووجـه الـشعراء نقـداً لاذعـاً للكحـالين وكحلـتهم ، وصـوروا الآلام والآثار السيئة التـي أحدثتـه فـي جفـون المرضـى فبـدلت كحلـتُهم عيـونَهم مـن الإبـصار إلـى العمـى وهـذا مـا عبـر عنـه هبـة ا بـن وزيـر قائلاً : " الوافر "

لنَجـل المـد عبـد ضـر خَلْقـاً يميـلُ مـالَ عـن طُـرق النجـاح
إذا مـا حـلّ فـي الأجفـان أبـدى يـهِ وخْـز الأسِـنة بالرمـاح
لـه كُحـلٌ أعـاذَ ا ُ منْـه يـسوقُ الـسقْم للحـدق الـصحاح
إذا كحـلَ العيـون بـهِ تـساوى دجـى ليـل المـريض مـع الـصباح[3]

⌖ **هجو التجار :**

وهنـاك مهـن أخـرى لكنهـا قليلـة تناولهـا الـشعراء بالنقـد والـسخرية ، وهي تأتي من بـاب الدعابـة والنكتـة ، وتعبيـراً عـن المعانـاة مـن الفقـر وسـوء الأحوال الاقتـصادية ، ومـن الـصفات التـي ذمهـا الـشعراء فـي التّجـار الغـلاء وارتفـاع الأسـعار وهـذا مـا فعلـه الـشاغوري حـين انتقـد التجـار دون أن يـذكرهم صـراحة وإنمـا لمـح إلـيهم بـذكر كلمـة " الغـلاء " إذ يقول : " الكامل "

هـم أطْلقـوا طَـرفَ الغَـلاءِ فَجاءنَـا عـن طَـرفِ رخْـص بـالفلاةِ مقيـدا

---

[1] - المقارب : الوسط بين الجيد والرديء . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (قرب) .
[2] - **الديوان** : 218 ، وللاستزادة ينظر : نفسه : 240.
[3] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 142/2.

ما بين جـدبٍ نحـن فيـه ورخـصهم   إلا كغُلـ ـ ـوة[1] سـ ـ ـهمٍ رامٍ جيـ ـ ـدا[2]

فـالغلاء عـادة مـا يفتعلـه التجـار ، فيـذكر الـشاعر أنهـم اكتنـزوا الأمـوال وسـكبوها فـي دورهـم ، فـي حـين تركـوا بقيـة الرعيـة تعـاني مـن الجدب والجوع .

ومن الـصفات التـي ذمهـا الـشاعر فـي التجـار " تطفيـف الكيـل " وقـد رسم الـشاعر عبـد المـنعم الإسـكندري صـورة لمطفـف للكيـل وقـد اتخـذ مـن اسـمه مجـالاً للـسخرية والاسـتهزاء حـين تلاعـب فـي حـروف اسـمه كنـوع مـن النكتـة ورأى أنـه لا يـستحق أن يـسمى حـسناً بـل نحـساً لـسوء فعلـه ، فيقول : " المنسرح "

يـا حـسناً نُونُـه مقدمـةٌ   فَـلا رعـا ا مـن يؤخرهـا

كـلّ أيـادي الـصفي صـافيةٌ   لِكـن وزانَهـا يكـدرها[3]

 ومـن المهـن التـي طالهـا نقـد الـشعراء وهجـوهم مهنـة " **الحلاقـة** " ومـن النمـاذج الطريفـة التـي نظمهـا الـشعراء ، قـول ظـافر الحـداد يرسـم صورة قبيحـة لمـزين يـدعى " مـسعوداً " فهـو إلـى جانـب قـبح وجهـه يجمـع جهلـه بالمهنـة فمـن يـزره مـرة يحـرم العـودة إليـه مـرة أخـرى وفيـه يقول : " البسيط "

لا أسـعد ا مـسعوداً فـصنعتُه   كوجهـهِ كُـل قُـبحٍ مِنْـه مختَـصر

---

[1] - الغلوة : المرة والغاية ، ورمية سهم إلى بعيد وجمعها غلوات وغلاء . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (غلو).

[2] - **الديوان** : 131.

[3] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 127/4.

لا يحلِقُ الرأس إلا مرةً وبها	**تُغْنيهِ عن عودةٍ ما مده العمر**
لأن ألطفَ لمسٍ من أناملهِ	**سلخٌ ، وهلْ بعد سلخ ينْبتُ الشعر[1]**

المبحث الثالث : هجاء العلماء والفلاسفة :

لم يقتصر الشعراء في هجوهم ونقدهم الاجتماعي على أصحاب المهن بل طالت ألسنتهم العلماء ومنهم علماء النحو ، فقد ظهر في القرن السادس نحاة عدة ومنهم ملك النحاة ، الذي كان يسخط على كل من يخاطبه بغير لقبه[2] ، وممن هجاه غامزاً به وساخراً من علمه ابن منير فقد استغل الشاعر رسالة له كتبها لأحد القضاة وتصنّع في كلامه فقال " العاصوي " فاستهجنها ابن منير وهجاه قائلاً : " المتقارب "

أيا ملك النجو والحاء من	**تَهجيهِ من نَحتِ قَد أعجموها[3]**
أتانَا قِياسك هذا الذي	**يعجم أشْياء قَد أعربوها**
ولما تصنعتَ فِي "العاصوي "	**غَدا وجه جهلك فيها وجوها**
وقَالُوا : فَقَا الشيخ إن الملو	**ك إذا دخلُوا قَرية أفْسدوها[4]**

وقد هاجم الشعراء طبقة النحاة في مقطوعات عدة لكنها اشتملت على ألفاظٍ نابية أترفع عن ذكرها عند بعض الشعراء[5] .

---

1 - **الديوان** : 133.

2 - باشا ، عمر موسى ، **الأدب في بلاد الشام في عصر الزنكيين والأيوبيين** 151 .

3 - النجو : ما يخرج من البطن من ريح وغائط . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (نجا) .

4 - **الديوان**: 185.

5 - ينظر :**ديوان ابن عنين** 220.

ومن الشعراء الذين تناولوا النحاة بالتعريض والسخرية الشاعر فتيان الشاغوري ، فقد رسم لمن ادعى معرفته بالنحو صورة مزرية ، ورأى إن كان من مكافأة يستحقها فليس له إلا الصفع والصرف ، ولا غرابة في ذلك ما دام يفتقر إلى العقل ، ويتصف بالفساد الخلقي ، وفيه يقول : "الوافر"

ونَحوي تكلّم في أُقاحٍ ... فأنْبتَ في قَفَاه الصفْع وردا

فثغر الأقحوان له ابتسام ... يحجِّلُ[1] عنْقَه إذ صار خَدا

فلا تُشْلُلْ يد فتكتْ بهِ إذْ ... رأينا كف ليثٍ صكّ[2] قِردا[3]

فالشاعر قبح صورته فجعله قرداً ضربه أسد ، ويتشفّى به لما ناله من الصفع فتلك هي جائزة ادعائه بالعلم كذباً .

ولعلّ علماء الفلسفة نالهم من النقد والتجريح ما لم ينله أحد من أشباههم في مضمار العلم والمعرفة وخاصة في عهد بني أيوب " فكانت الدولة الأيوبية عنيفة في معاملة الفلاسفة ، لا تتهاون في تعقبهم ، ولا تتساهل في قتلهم وإبادتهم ولا تقبل منهم جدلاً ،ولا ترضى منهم عملاً" [4] فأصبحوا عرضة للحقد والكراهية لما يحملونه من أفكار تخالف مذهب أهل السنة ومنهم صلاح الدين الأيوبي كما ذكر ابن تغري بردي[1]،

---

[1] - الحجل : البياض ، يقال به حجل أي بياض ، وحجل : بيض . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حَجلَ).

[2] - صك ومنه صكّه يصكه صكًا وهو الضرب الشديد بالشيء العريض .ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (صكك).

[3] - **الديوان** : 124.

[4] - حمزة ، عبد اللطيف ، **الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي** : 334.

بردي[1]، وغدوا عرضة للتشهير من مؤرخي الأدب كما فعل الأدفوي في ترجمته لقريب له منهم "[2] ، ومن أبرز الشعراء تعريضاً وفضحاً لمسلكهم الشاعر الرحالة ابن جبير ، فقد وصفهم بأنّهم آفات ودهريون لا يقرون بيوم القيامة ويرون الناس كالزرع والحصاد في الوجود إذ يقول : " مخلع البسيط "

قد ثبتَ الغي في العبادِ ... طائفةٌ الكون والفسادِ

يلعنُها اللهُ حيثُ كانت ... فإنّهم آفةُ العبادِ

دهريةٌ لا يرون رسلاً ... ولا يقرون بالمعادِ

يعتقِدون الأمور دوراً ... والناس كالزرع والحصادِ[3]

وأوغل ابن جبير في ذمهم إلى حد تهديدهم ، وقد تمنى أن يشفي الله غليله منهم فهم مخادعون وكذابون ، وإن ما يظهرونه خلاف ما يضمرونه من سوء المعتقد فهم جماعة لا خير فيهم ولا في علمهم ، فيقول : " المجتث "

قلْ للزنادِق عنّي ... قَولاً هو السيفُ أُمضِيهِ

أرسلتُ شِعري فِيكُم ... يغْزوكُم بِقوافيهِ

لعلّكُم أن تَقُولوا ... فَإنّكُم أهلُ تَمويهِ

من كان جاهلَ شيءٍ ... فلا يزالُ يعاديهِ

هيهاتَ بغضي فِيكم ... في الله واللهُ يدريهِ

وذلك العِلم عِندِي ... لا خير فِيكُم ولا فيهِ[4]

---

1 - ينظر : **النجوم الزاهرة** 9/6.

2 - **الطالع السعيد** : 75 .

3 - **الديوان** : 39.

4 - نفسه : 103.

ويظهر ابـن جبيـر فـي هجومـه العنيـف علـى الفلاسـفة كراهيـة أهـل الـسنّة لمعتقـداتهم " واعتبـار الدراسـات الفلـسفية دراسـة إلحاديـة ، وأن القائمين بها من العلمـاء زنادقـة "[1] لكـن هـذا الـرأي لـم يتوافـق مـع الفـاطميين الذين قام مذهبهم الشيعي على الفلسفة .

ولم يتوقـف ذم الفلاسـفة علـى ابـن جبيـر وحـده ، بـل شـاركه الـرأي ابـن الـساعاتي الـذي اتهـم المتقـدمين والمتـأخرين مـن علمـائهم بالكـذب والـضلال ، وتزويـر الحقـائق ، وشـن هجومـاً عنيفـاً علـى معتقـداتهم ؛ لأنهـم استنّوا للناس قـوانين باطلـة فقلبـوا الحـق بـاطلاً ، ولجـأ إلـى التوريـة لـلإزراء بهم وتكذيبهم إذ يقول فيهم : " الكامل "

كـذب الفلاسـفةُ الـذين تقـدموا عنـدي ولاحِقُهـم إذاً كالـسابق

وضعوا على الإنـسان حـداً لـم أزلْ أجـذوه[2] فـي سـنن المقـال الـصادق

حتى أتـى الـزرزور[3] وهـو مهـاجِر يـدعو مِـن الزقـزوق[4] أي منـافق[5]

فالـشاعر يـصور كـذب الفلاسـفة بحـدّهم الإنـسان وإلا فكيـف يمكـن لهـذا الـواعظ المهـاجر (الـزرزور) أن يـدعو لهـذا المنـافق (الزقـزوق) ؟ إنها صورة معكوسة حين يتحول الباطل حقاً عندهم .

---

1 - حسين ، محمد كامل ، **في أدب مصر الفاطمية** ، 88.

2 - أجذوه :جذا الشيء و يجذو جذواً ويعني الزمه.ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة(جذا).

3 - الزرزور : هو طائر بري معـروف ، وفـي البيـت يـشار بـه إلـى واعـظ . ينظـر: ابـن منظور، **لسان العرب** ، مادة (زرزر).

4 - الزقزوق : هو الزقة طائر صغير مـن طيـور المـاء وفـي البيـت يـشار بـه إلـى المنـافق وينظر : ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (زقق).

5 - **الديوان** :159/2.

ومهما يكن من أمر الفلاسفة وما تبدى لنا من مواقف اتجاههم ، فنرى أن كلّ علم نافع ، ما لم يؤد إلى انحراف وسوء في المعتقد للمسلم تجاه خالقه ونبيه .

المبحث الرابع : هجاء المغنّين والمغنّيات :

إن الحيـاة الاقتـصادية فـي عـصر الـزنكيين والأيـوبيين كانـت متباينـة بـين طبقـات المجتمـع ، ويؤكـد هـذا التبـاين مظـاهر الحيـاة الاجتماعيـة التـي سادت في تلك الفتـرة ، وهـذا يـشير ويـدلُ فـي الوقـت نفـسه علـى أن مجتمـع الـزنكيين والأيـوبيين تراوحـت مـستوى المعيـشة فيـه بـين أثريـاء متـرفين ، وبـين فقـراء معـدمين ، فكمـا صـور الـشعراء جانـب الفقـر والحرمـان فـي المجتمـع فـإن لهـم أشـعاراً تـصور الجانـب الآخـر مـن حيـاة النـاس ، وهـي تـؤرخ كـذلك لآثـار الثـراء ، حـين أورد سـقوط الدولـة الفاطميـة واسـتيلاء صلاح الدين الأيوبي على قصور آخر أمرائهم عقب وفاته[1] .

وقـد أدى هـذا الثـراء إلـى انتـشار المغنـين والمغنيـات ، ممـا يـدل علـى أن صـورة المجتمـع فـي ظـل تلـك الظـروف القاسـية التـي مـرت بهـا الأمـة فـي تلـك الفتـرة الزمنيـة ، لـم تكـن كلهـا سـوداوية ، بفعـل الهجمـات الخارجيـة المتمثلـة فـي الـصليبيين والتتـار ، يـضاف إليهـا صـور التعـسف والظلم التي حلّت بالنـاس مـن بعـض الحكـام المـستبدين ، لكنهـا لـم تخـلُ مـن ظهـور جانـب مـشرق مـن حيـاة المجتمـع التـي عبـر عنهـا شـدو تلـك

---

[1] - ينظر:أبو شامة المقدسـي، **الروضـتين** ، 193/2 – 194 ، وللاسـتزادة حـول مظـاهر الثـراء في هذا العصر ، ينظر : ابن خلكان ،**وفيات الأعيان** 451/2(ترجمة الأفضل الجمالي).

الأصـوات التـي غنّـت لنفـسها وللبائـسين لعلّهـا تـروح عنهـا ، وتبعـث فيهـا أمل الحياة .

ويبـدو أن الـشعراء فـي هـذه الفتـرة الزمنيـة لـم يتركـوا شـيئاً مـن مظاهر الحيـاة الاجتماعيـة إلا طالتـه ألـسنتهم بالنقـد والتجـريح ممـا يـدل علـى أن الهجـائين لـم يعجـبهم كـلّ المغنـين والمغنيـات ، فكـان الحـظ الخاسـر مـن نـصيب بعـضهم ، فجـاء هجـاء الـشعراء لهـذه الطبقـة وفـق الـصفات التـي يجـب أن تتـوافر فـيهم وحـالهم مـن النقـد كحـال غيـرهم مـن بقيـة أفـراد المجتمع .

ومــن أبــرز الــصفات التــي ذمهــا الــشعراء فــي هــؤلاء المغنــين أصواتهم ، وهذا ما عبـر عنـه ابـن قلاقـس حـين ذم زامـراً راسـماً لـه صـورة ساخرة فهو لم يكتـف بـذم تنـافر صـوته مـع إيقاعـه بـل أضـاف فـي سـخريته مــشهد التنــافر بــين طــول رقبــة الزامــر وقِــصَر نَفَــسِهِ فيقــول فيه : " المتقارب "

ينـــافر إيقاعـــه صـــوتُه	**فهـــذا يزيـــد وذا يـــنقص**
ويتْبعـــه زامـــر مِثلـــه	**تَليـــع[1] لـــه نَفَـــس أوقـــص[2]**
فـإن قـام مـا بيننـا راقـصاً	**لِكـــلٍ إلـــى بيتِـــهِ يـــرقص[3]**

فالـشاعر يجعـل بـشاعة صـوت المغني تنفـر النـاس منـه فيهربـون مسرعين إلى بيوتهم .

---

[1] - تليع : طويل الرقبة . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (تلع) .

[2] - أوقص : الأوقص قصير الرقبة. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (وقص).

[3] - الـديوان : 162 ، وللاسـتزادة ينظـر ديوانـه : 569 ،العمـاد الأصـفهاني ، **الخريـدة(قـسم شعراء مصر)** 162/1.

أمـا عرقلـة الكلبـي فيـشبه صـوت المغنـي ووقعـه علـى الأسـماع بصورة وقع السوط الـلاذع علـى الأجـسام ويعبـر عـن هـذا المعنـى فـي هجـو مغن اسمه علي ، فيقول : " مجزوء الوافر "

علـي صـوته سـوطٌ — علينـا لا علـى القـرس
وجملـةُ ضـربهِ ضـرب — لمـدرع ومتـرس[1]
يقـولُ الـسامعون لـه — رمـاه الله بالخَرس
وخَـذْ يـا رب مهجتَـه — إذا غنّـى خـذي نَفْـسي[2]

فـصوته لا يتناسـب مـع رقّـة ألفاظـه ممـا دفـع الـسامعين أن يـدعوا عليه بالخرس والموت .

ولعـل عذوبـة الـصوت وطريقـة الأداء فـي الغنـاء وهـدوء الإيقـاع من حـسنات الغنـاء ، فـإن لـم يلتـزم المغنـي بتلـك الـصفات ، صـار موضـع النقد والتجريح إلـى الحـد الـذي دفـع الـشاعر محاسـن الـشواء أن يـدعو علـى مهجـوه بـالموت ، وأن تـصاب عينـاه وكفـاه بالاضـطراب كإيقـاع صـوته المضطرب عند الغناء ، وفي ذلك يقول : " الطويل "

تمنّيتُ إذْ غنَـى وصـفق لـو قـضى — إلـه الـورى قبـلَ الـسكوتِ بموتـه
فيـا ليـتَ عينيـهِ وكفّيـهِ أصـبحتْ — كإيقاعِـهِ عِنْـد الغِنَـاء وصـوته[3]

فلا تناسق بين إيقاع المغني وصوته لسرعته.

---

[1] - مدرع : لابس الدرس والمترس : من لبس التّرس.ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادتي(درع وترس) .

[2] - **الـديوان** : 553 ، وعبـارة " خـذي نَفَـسي " مـأخوذة مـن بيـت الـشريف الرضـي مـن قوله : " الطويل "

خذي نفسي يا ريح من جانب الحمى — فلاقي به ليلاً نسيم ربى نجـد

ينظر **ديوانه** : 431/1.

[3] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 168/10.

وقد نالـت المغنيـات نـصيبهن مـن ذم الـشواء ، فقـد جمـع فـي عوادتـه كـل الـصفات القبيحـة ، ونـزع كـل المواصـفات الحـسنة فـي المغنيـة فهـي ضـعيفة البـدن ، يعتريهـا الجهـل ، شـيخة كبيـرة ، وجههـا قبـيح ، لا تناسـق بـين صـوتها وإيقاعهـا ، إذا لمـست يـداها أوتـار عودهـا بعثـت الـضجر فـي نفوس سامعيها للكنـةٍ فـي لـسانها ولتـشويه صـورتها شـبه أوتـار عودهـا عنـد الاهتـزاز كحبـال الـصوف المـشدودة علـى الحجـارة ،يقـول فـي ذلك : " المنسرح "

تَبـاً لِعـوادةٍ قـصيرة بـا ... ع الفِهـم جهـلاً طَويلـةِ العمـر
خارجـةِ الـضرب والغِنـاءِ معـاً ... تُريـك وجهـاً مِـن أقـبح الـصور
يـذهب مـضرابها وأنْملهـا ... فـي الجـس والـضرب لِـذةُ الـوتر
بِعودِهـا إذا تَجـسه لكَـن ... يقْـضي بجلاسِـها إلـى الـضجر
كـأَن أوتـاره إذا قُرعـتْ ... حبـالُ صـوفٍ شُـدتْ علـى حجـر[1]

وإذا كـان جمـال الوجـه مـن المواصـفات المفـضلة للمغنيـة ، فـإن بعـضهن فقـد تلـك المواصـفات ، فأصـبحت مـادة للتنـدر والـسخرية مـن الشعراء كمـا فعـل القاضـي الفاضـل راسـماً صـورة كاريكاتوريـة لقينـة قبيحـة الوجه ، منَفّرة للسمع إذا غنّت تصم المسامع ، فيقول : "المنسرح "

وقينَـةٍ كـل وجههـا أنـفٌ ... كأنمـا وجههـا لـه خَلْـفُ
غنّـتْ فَلَـم تَبـقَ فـي جارحـةٌ ... إلا تمنيـتُ أنّهـا كـف[2]

---

[1] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 177/10.

[2] - **الديوان** :2/ 426 ، وينظر: المعنى نفسه **ديوان العرقلة** 88.

المبحث الخامس : هجاء الدهر والدنيا والزمن :

كثر الشعر الذي استخدمه الشعراء في العهدين الزنكي والأيوبي في نقد الدهر وذم الدنيا بصورة لافتة ، وقد برزت هذه الظاهرة عند العديد من الشعراء ، ولعلّ تلك الأنّات والزفرات تعبير عن البؤس والحرمان " فسوء أمور الناس وفقرهم دفع إلى تلك الألوان الهجائية ، وكذلك النظام الاجتماعي، ووصول جماعة من الناس إلى مراتب الجاه والسلطة ، وحصول آخرين على المال الوفير حتى بلغ بهم الغنى والثراء العريض مما جعل الناس يتحاسدون ويتحاقدون ، وينظر بعضهم إلى بعض ، فيرى المتخلف في المتقدم الثري أنه لا يمتاز عنه في شيء ، بل قد يرى نفسه متقدماً عليه علماً ومعرفة وذكاء ، لهذا فهم يرون أن من وصل من الناس إلى ما وصل إليه من جاه أو مال إنما كان في غفلة من الزمن "[1] .

وقد دفعت الأحداث التي مرت بها المجتمعات ، وما عاناه الناس من أوضاع اقتصادية متردية في تلك الفترة ، وما رافق ذلك من استبداد لبعض المتنفذين في مراكز السلطة وأصحاب الجاه إلى أن يتجاوز الشعر هجاء الأفراد إلى هجاء الناس جميعاً ، وهجاء الزمن والدهر ، لأن الشاعر لم يجد قبساً يضيء له ذلك النفق المظلم فيخلصه مما هو فيه من شقاء وفقر سوى لسانه يسلطه على الجميع حتى دفعت تلك الأوضاع أحد

---

[1] - سلام ، محمد زغلول ، **الأدب في العصر الأيوبي** 237.

الشعراء إلى ذم جيل وزمن بأكمله وهو المسجف العسقلاني ، قائلاً : " مجزوء الرمل "

أنا في جيلٍ خسيس وقبيلٍ وزمان
أمدحُ السلطانَ كي يصـ ـبح مالي في أمان[1]

ووصل المهذّب بن الزبير في ذمه للزمن إلى فقدان الأمل في كل الناس فلم يعد يثق بأحد ولا حتى بنفسه ، يقول : " البسيط "

كم كنتُ أسمع أن الدهر ذو غِيَرٍ فاليوم بالخُبر استغني عن الخَبَرِ
تشابه الناس في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ تشابه الناس والأصنامِ في الصور
ولم أبِتْ قط من خَلْقٍ على ثقةٍ إلا وأصبح من عقلي على غَرَرِ[2]

ويهجو ابن الخياط الدهر وينعته بالظالم ، ويصفه باللئيم ، فهو لا يساوي بين الناس في سعيهم ، يمنع بظلمه العطاء عن الصابرين المثابرين الأقوياء ، ويمنح العاجزين الكسالى الذين يبطئون ولا يجدون في سعيهم . وتلك معادلة ظالمة في نظره ، فيقول : " الطويل "

كأن صروفَ الدهر ليس يعدها صروفاً إذا مكْروهُهن عداني
ولو أن غير الدهر بالجور قادني جمحتُ ولكن في يديه عِناني
قعدتُ بمجرى الحادِثاتِ معرضاً لأسبابها ما شئْنَ في أتاني
مصاحب أيامٍ تَجر ذُيولها عليّ بأنواعٍ من الحدثان
وقد يحرم الجلْد الحريص مرامه ويعطى مناه العاجز المتَواني
وحط عليّ الدهر أثقالَ لؤمه وتلك التي يعيا بها الثّقلان[3]

---

[1] - الكتبي ، **فوات الوفيات** 536/1.
[2] - سالم ، محمد عبد الحميد ، **شعر المهذب بن الزبير** : 196.
[3] - **الديوان** : 19 – 20.

فالـشاعر صـب جـام غـضبه علـى الـدهر فهـو سـبب تعاسـته فقـد حمله من المصائب ما يعجز عنها الإنس والجن.

ويظهـر الـشاعر الـشواء الـدنيا سـتارة سـوداء قاتمـة ، لا يطـاق منهـا عـيشُ ، حاقـدة تكـره مـن أحبهـا وتبغـضه ، فقـد أضـعفت قـواه وغيـرت أحواله وبـدلت بهمومهـا وأحزانهـا شـبابه إلـى شـيخوخته ، ولـيس هـذا بغريـب عليهـا فهـي كالنـار تحـول الفحـم الأسـود إلـى رمـاد ، فيقول : " مجزوء الكامل "

تَبـاً لـدنيا أحـدثت فـي عـالم الكـون الفـسادا
نهـوى البقـاء بِهـا فتُبـغِضنَا وتُفْنِينَـا عِنـادا
جـارتْ فأضـعفَتِ القَـوي مِنّـا وبيـضتِ الـسوادا
كالنّـار إذا يلقَـى بِهـا فَحـم فتَجعلُـه رمـادا[1]

أما نبـأ الزعفرانـي فيـذهب فـي ذمـه إلـى جعـل الزمـان خـصماً لـه ، فهـو الـذي يحرمـه مظـاهر الـسعادة ، كمـا أنـه لا يعـدل فيرفـع الجـاهلين الأغنيـاء رغـم جهلهـم ، وينـيخ بكلكلـه عـن أصـحاب العقـول رغـم رجاحـة عقولهم ، فيقول : " الخفيف "

قاتَـلَ ا ُ ذا الزمانَـا فَمـا يـسـمح يومـاً بِمـا يـسر فُـؤادي
كُلّمـا رمـتُ مِـن زمـاني إسـعاداً قـضى لِـي مِـن دونـه بالعنـادِ
يا لِقَومي كيـفَ احتيـاجي وقـد صـار زمـاني مـن جملـة الأضـدادِ
ينْفِـقُ الجـاهلون فيـهِ مـع الجهـل ويمنَـى ذَوو النّهـى بالكَـسادِ[2]

---

[1] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 172/10.
[2] - نفسه : 92/8.

ولعـــلّ الـــشعراء فـــي نقـــدهم للـــزمن رغبـــوا فـــي إظهـــار بعـــض التناقضات التـي كانـت تـسود المجتمعـات فـي تلـك الفتـرة والاضـطراب بـين طبقات الناس ومن ذلـك مـا عبـر عنـه أسـامة بـن منقـذ عـن تنـاقض الواقـع الاجتماعي في زمنه ، إذ يقول : " السريع "

زهـــدني فِـــي العقْـــل أنّـــي أرى عِنايـــــــةَ الأيـــــــام بالجهـــــــل

والدهر كـالميزان : ذو الفـضل ينْـــــــحطّ ، وذو النقـــصان يـــستَعلي[1]

فالـشاعر يعبـر عـن غـضبه ورفـضه لتلـك المعادلـة المغلوطـة ، وقـد رسـم صـورة لتلـك المعادلـة المغلوطـة بـالميزان ، فـالميزان يعطـي الكيـل حقـه بينمـا الـدهر ينـزل شـأن ذوي الفـضل ويعلـي ذوي النقـصان ، ومـن العجائب أن يستخدم الميزان في غير موضعه .

ويذهب ابـن سـناء الملـك فـي ذمـه للـدنيا ونقـده للـزمن ، ليعبـر مـن خلالهـا عمـا يعانيـه فيهـا مـن خيانـة الأصـدقاء وغـدرهم ، فأصـبحت الخيانـة والغـدر طبعـاً ورثـُوه عـن أبـويهم ، حـين صـور الزمـان أبـاً والـدنيا أماً،والناس الخائنين أولاداً لهم، إذ يقول : " الكامل "

أتَخُـون يـا سـكني؟ فقـالَ : نَعـم لـي فـي الخيانـةِ نِـسبةٌ عليـاء

لِـم لا أخـون ولـم أفـي أبـداً وأبـي الزمـان وأمـي الـدنياء[2]

---

1 - **الديوان** : 258.

2 - **الديوان** : 472/2.

ومن المتناقضات التي ساقها الشعراء في هذا الضرب من الهجو الاجتماعي ما قاله ابن الفراش[1] في تصوير الأحوال السيئة وما يتمنى أن يكون عليه الواقع للمجتمع ، قوله : " المتقارب "

فتبّاً لدهرٍ يعِزُّ اللئام ... وقدر الكرامِ به مطرح

ذلولٌ إذا ما امتطاه الجهولُ ... وما رامه الحر إلا جمح

لقد شاه في الناس وجه القريض ... ولم يبقَ في دهرنَا ممتدح

وقد طُمِستْ أوجه المكْرماتِ ... وقد عطلتْ هجنُها والصرح[2]

والبيت الرابع يشف عما في نفس الشاعر من نقمة على الزمن وجوره كما يبدو وهي الحاجة .

المبحث السادس : هجاء المدن وأهلها والأقاليم والمرافق .

ذم الشعراء في مصر والشام كل ما لا يرتضونه من مظاهر الحياة المختلفة ، أفراداً ، وجماعات ، ومدناً ، وأقاليم ، ودور سكن ، ومرافق عامة ، وربما هجوها من خلال الطعن بأهلها وساكنيها، وقد كثرت شكواهم من الناس وأخلاقهم وطبائعهم ، وفشا الذم من الزمان ، والأهل والأقارب والأصحاب ، والبلد والقطر والإقليم ، فقالوا كثيراً مما لا يحصيه عد ، حتى كان لهم باب في هجاء المدن والبلاد ، دخله

---

[1] - ابن الفراش : هو القاضي شمس الدين أبو عبد ا محمد بن محمد ، شاعر دمشق عمل في خدمة نور الدين زنكي ومن بعده صلاح الدين الأيوبي توفي سنة 588 هـ . ينظر :العماد الأصفهاني، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 289/1 ،الزركلي،**الأعلام** 26/7.

[2] - العماد الأصفهاني ،**الخريدة (قسم شعراء الشام)** 293/1 .

شـعراؤهم ليحطّـوا مـن قـدر المكـان وسـكانه[1]، ولـم يكـن هـذا اللـون مـن الهجاء وليـد عهـد الـزنكيين والأيـوبيين وإنمـا كـان امتـداداً لمـن تقـدمهم فيـه من الشعراء في عصور سابقة [2] .

ويبـدو لـي أن التطـور الـذي شـمل المـدن والأقـاليم فـي نواحيـه المتعـددة حـضارياً وعمرانيـاً ، ومـا أقامـه الـشعراء مـن علاقـات مـع أمـراء وحكام وسـكان تلـك المنـاطق ، كـان لـه عظـيم الأثـر علـى نفـسية الـشعراء وتوجهـاتهم وسـلوكهم ، ومـن الطبيعـي أن يكـون لـوفرة أسـباب الراحـة ، ورغـد العـيش ، والعلاقـات الجيـدة ، وحـسن المعاملـة ، ومـا يتحقـق مـن طموحـات لـدى الـشعراء فـي تلـك الأمـاكن دور فـي جـذب الـشعراء أو نفـورهم ، فتحقـق الأسـباب الـسابقة مـع غيرهـا مـن الظـروف الأخـرى وفقدانها تحـدد سـلوك الـشعراء فـي نظـم أشـعارهم واسـتخدامها فـي المـدح أو القدح .

***1* هجاء المدن وأهلها :**

تعرض الشعراء خـلال هـذه الفتـرة فـي هجـائهم لمـدن كثيـرة فـي كـل مـن الـشام ومـصر والعـراق وغيرهـا مـن أقـاليم الدولـة الإسـلامية ، ولعـلّ كثرة الهجاء لمـدن الـشام ينـاقض مـدح مـدنها الـذي أفـرده لهـا شـفيق الرقـب في دراسته[3] وهـذا يـدل علـى اخـتلاف دوافـع الـشعراء تجـاه هـذا اللـون مـن

---

[1] - ينظر: الدهان ، سامي ، **الهجاء " سلسلة فنون الأدب العربي** " 87.

[2] - ينظر: حسين ، محمد محمد ، **الهجاء والهجـاؤون فـي صـدر الإسـلام** 34 – 40 ؛ هـدارة مـصطفى : **اتجاهـات الـشعر فـي القـرن الثـاني الهجـري** 430 - 431 ،التميمـي ، **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث** 85 – 91.

[3] - ينظر: **الـشعر العربـي فـي بـلاد الـشام فـي القـرن الـسادس الهجـري** الـصفحات مـن 288 – 291.

الهجـاء ، ويجعلنـا نتفـق مـع مـا ذهـب إليـه قحطـان التميمـي فـي قولـه : " وليس من شـك فـي أن الإنـسان يـأنس بالمكـان حـين يـأنس بأهلـه ، ويـضيق بـه ويـضجر بـه حـين يلقـى مـن أهلـه الإهمـال وسـوء العـشرة "[1] فـالأنس والـضجر والـسعادة والـشقاء عنـد الـشعراء مـؤثرات الحـب والكـره للمكـان ، وما يتحقق منهـا يحـدد شـعور الـشاعر بالرضـى والغـضب فيميـل إمـا للمـدح أو الذم .

وقــد صــب الــشعراء جــم غــضبهم ولهيــب ألــسنتهم علــى مــدن الــشام وأهلهــا ، وكانــت دمــشق – عاصــمة الخلافــة الأمويــة وحاضــرتها الزاهـرة أيـام الأمـويين – أكثـر المـدن تعرضـاً للـذم والانتقـاص سـواء كـان ذلك بذكرها مباشـرة أو مـن خـلال ذكـر أحيائهـا وأمـاكن سـكناها ، ويعـد ابـن عنـين أكثـر الـشعراء حـدة وأشـدهم قـسوةً فـي ذمهـا ، وذم أهلهـا خاصـتهم وعــامتهم ولــه فيهــا قــصيدة تــسمى " مقــراض الأعــراض " زادت أبياتهــا المذكورة عن خمـسين بيتـاً ،هجـا فيهـا كـلّ أهلهـا شـمل القـضاة ، والخطبـاء ، والفقهـاء بـأقبح الألفـاظ وأبـشع الـصور ، خـرج فيهـا عـن حـدود اللياقـة الأدبية وعما يلتزم بـه المـرء مـن عـرف وتقاليـد فـي صـفة الحـديث ، جَعَلَـتْ الباحـث يترفـع عـن ذكرهـا فـي بحثـه ويتـرك للقـارئ حريـة العـودة إليهـا والاكتفاء بذكر مطلعها ،إذ يقول فيها : " المنسرح "

أضـالِع تَنْطـوي علـى كَـرِبِ ومقْلَـــةُ مـــستهلةُ الغَـــرِبِ
شَـوقاً إلـى سـاكِني دِمـشقَ فَـلا عـدتْ رباهـا مـواطِر الـسحبِ[2]

---

[1] - **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري** 86.
[2] - **الديوان** : 179 - 184.

وقـد ذم ابـن دنينيـر دمـشق ووصـفها بأنهـا تخلـو مـن الراحـة بـلا جـاه ولا مـال لمـن يـسكنها ، ولا يرتجـى أي خيـر مـن أهلهـا فهـم لؤمـاء وخصها ا بكل سوء ، فيقول : " السريع "

لا يرتَجـى مِـن جِلّـقٍ راحـةٌ كـلا ولا مـالٌ ولا جـاه
مدينـةٌ لِلّـومِ قَـد شُـيدتْ وبِـالخَنى قَـد خـصها ا
الـصفع .... بِهـا وإِفـر إذ خَـزرجٌ[1] فِيهـا وابنَـاه[2]

وواضـح للقـارئ دافـع الـشاعر للهجـاء ، وهـو دافـع مـادي فلـم يحصل فيها مالاً ولا جاهاً.

أمـا فتيـان الـشاغوري فـلا يخدعـه طيـب نـسيمها ، فظـاهره شـهد سرعان مـا يدركـه المـرء حـين يجربـه ، فيجـده ممزوجـاً بالـسم وكـل نـسمة يتنفسها زائرها سكين تجرح ويظهر ذلك ، في قوله : " الطويل "

تُخادِعنَـا الـدنيا بِطِيـبِ نَـسِيمِها ومـا هـو إلا الـشهد خالطَـه الـسم
وتلذّـذ بالأنْفَـاس جهـلاً نفوسـنا ومـا نَفَـس إلا وفِيهـا لهـا كلْـم[3]

وقـد لجـأ بعـض الـشعراء فـي ذمهـم لمدينـة دمـشق إلـى أسـلوب الحكايـة ، وهـو أسـلوب قصـصي يقـوم علـى الحـوار تـصطنعه براعـة الشاعر لـشد الانتبـاه والتـشويق كمـا فعـل أبـو عبـد ا الأشـتري فـي ذمهـا ، بقوله : " المتقارب "

يقولـون لـي : جلـقٌ جنّـةٌ مزخْرفَـةٌ لِلْـورى مفتنَـه

---

[1] - خزرج : اسم شخص لم أهتد لترجمته ، أما ابناه فكانا كما ذكر فيهما الشاعر الصفع ... .

[2] - **الديوان** : 592 .

[3] - **الديوان** : 465 ، و الكلم : الجرح والجمع كلوم وكلام . ينظـر:ابـن منظـور، **لـسان العـرب**، مادة (كلم).

فقلــتُ ومــا إن بِهــا محــسن يــــرى للغريـــــبِ ولا محـــسِنه
إذا قُطِــع المــاء منهــا غَــدتْ كأربابِهـــــا جِيفـــــةٌ منتنـــــه[1]

فالــصورة التــي اصــطنعها الــشاعر للتعبيــر عــن شــدة بخــل أهلهــا متمثلة بحال مزروعاتهــا ، فــإذا مــا قطــع المــاء عنهــا تعفنــت ونتنــت رائحتهــا فهي كأصحابها جيف ومنتنة .

ورســم ابــن منيــر الطرابلــسي صــورة مزريــة لأهــل دمــشق ، فــشبههم بالحيوانات فهــم بقــر،والحليم فــيهم كــذكر النّعــام فــي طيــشه ، ومــاؤهم قــذر ، والعالِم فــيهم جاهــل ، والمتــدين محتقــر وقلــوبهم قاســية مثــل قــساوة الحجــر ، إذ يقول فيها : " مجزوء الكامل "

وســــكنْتُ جِلّـــــقَ واقتَديـــــــــــتُ بِهــــم وإن كـــانوا بقـــر
بقـــــر تَـــــرى بحلـــــيمهم طَـــــيشَ الظلـــــيمِ إذا نَفـــــر
وهـــــــواؤهم كهـــــــوائهم وخلـــــــيطُ مـــــــائِهم القَـــــذر
وعلـــــــيمهم مـــــستَجهلٌ وأخُـــــو الدِيانـــــةِ محتقـــــر
وخَفـــــــيفهم مـــــستثقلٌ وثقـــــيلهم فيـــــه العِبـــــر
وطِبـــــاعهم كجِبـــــالهم جبلـــت وقُـــدتْ مِـــن حجـــر[2]

والأبيــات الــسابقة مــن قــصيدة مــشهورة لابــن منيــر الطرابلــسي سميت بالقــصيدة " التتريــة " أبياتهــا مئــة بيــت ونيــف ســاق المحقــق مناســبتها لمــن أراد الاســتزادة[3] وقــد أدخلهــا ابــن حجــة الحمــوي فــي " بــاب الهــزل الذي يراد به الجد "[4] .

---

1 - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 6/ 303.
2 - **الديوان** : 211.
3 - ينظر: نفسه: 204 – 212.
4 - **خزانة الأدب** 185/2.

أمـا ابـن مطـروح فقـد شـبه أهـل دمـشق بـاليهود فـي سـلوكهم ، واختيـارهم الـسبت عيـداً لهـم ، وقـد نـزع إلـى التوجيـه فـي هجـاء أهلهـا، بقوله : " المنسرح "

تَخِـذتُم الـسبتَ يـوم عيـدٍ   وهـذه سـنّةُ اليهـودِ
وكـان يكفـيكُم ضـلالاً   شُـربكُم المـاء مـن يزيـدِ[1]

ولم تـسلم أحيـاء دمـشق وأهلهـا مـن التعـريض بهـا ، فنالـت الزبـداني وأهلهـا نـصيبها مـن نقـد الـشاغوري وهجائـه بـسبب بخـل أهلهـا ، وعـدم احتفـالهم بالـضيف وإكرامـه ، فهـم يتـصفون بـاللؤم ، وتمـسكهم بالـدنيا وحفـظ المال ،إذ يقول : " الطويل "

وبالزبـداني الكـروم كثيـرةٌ   ولكنّهـا أضـحتْ بِغَيـر كِـرامِ
ولو حفِظُوا أعراضـهم مِثْـلَ حِفظِهـا   لكـانوا لعمـر ا غيـر لئـامِ[2]

ومعـروف أن مدينـة دمـشق نالـت الحظـوة مـن الوصـف والاهتمـام لكل من زارها رغم مـا تعرضـت لـه مـن ذم ، لكـن نالهـا الكثيـر مـن المـدح وهذا يجعلنا نؤكـد صـحة مـا قالـه عـز الـدين إسـماعيل " إن تطـور أي مدينـة يجعلها تتـضمن فـي وقـت واحـد عوامـل جـذب وعوامـل تنفيـر . وهـذه فـي الحقيقـة صـفة لكـل مدينـة كبيـرة تـستوعب قطاعـات وشـرائح مختلفـة ومتفاوتـة مـن الجميـع ، كمـا تـستوعب كـل وسـائل الثقافـة وألوانهـا ، وكـل أسباب الحضارة والتمدن "[3]

[1] - **الديوان** : 86.
[2] - **الديوان** : 464.
[3] - في الشعر العباسي **(الرؤية والفن)** 344.

وقد طالت ألسنة الشعراء مدناً شامية كثيرة ، فها هي حلب الشهباء تنال نصيبها من الذم والانتقاص ، فقد جعلها ابن عنين دار سوء ، ومأوى للرذيلة ، وتشابهت الأمور في عرصاتها ، فصباح المدينة لا يختلف عن مسائها ، وظلامها كنورها ، وهذا الهجاء المشين المزري الذي يحط من الكرامة وصفه سامي الدهان بقوله: " وهذا هجاء قوي مر يشين البلد وينال منه "[1] ، وقد عبر الشاعر ابن عنين عن ذلك في قوله : " الكامل "

لا عاد في حلبٍ زمان مر لي ما الصبح فيه من المساءِ بأمثل

سِيان في عرصاتِها رأد الضحى عِندي وديجور الظلامِ المسبل[2]

فالشاعر يذم حلب ، ويرى أن الزمان الذي مر له فيها تساوى فيه عنده بين صباحها ومسائها ، فعيشه بين عرصاتها ليلاً ونهاراً ظلام مسبل .

أما مدينة "يافا" في فلسطين فقد نالها وأهلها من الذم ما نال غيرها من المدن الشامية ، فقد أزرى الشاعر خالد بن سنان الإسكندراني بها وبأهلها إذ جعل مقامه بين أهلها كمقام أسد بين كلاب ، لأنهم بخلاء لا يجودون بشيء ولو كان ضيفهم رجلاً عظيماً لهربوا منه ، إذ يقول : " الوافر "

مقامي بين أظهر أهل يافا مقام غضنفرٍ بين الكلابِ

تَصور أنه يعدو عليها فتَنْبحه وتُسرع في الذهابِ

---

[1] - **الهجاء " سلسلة فنون الأدب العربي "** 87 .

[2] - **الديوان** : 230 – 231.

ولـو علمـوا بـأنّي ذو لـسانٍ يغـادر عِرضـهم خَلَـقَ الإهـاب[1]

ومـن المـدن الـشامية التـي تعرضـت للقـدح والتـشهير : مدينـة الـشاغور " فقـد وصـف الـشاغوري أهلهـا ورمـاهم باللـصوصية "[2] ومدينـة " حمـاة " لـم يكـن مـصيرها مـن الهجـو بأحـسن مـن سـابقتها فقـد رماهـا محاسـن الـشواء وسـب أهلهـا بكـلام فـاحش[3] ومدينـة بعلبـك اللبنانيـة جعلهـا الـشاغوري مـن المزابـل وأهلهـا كلهـم أراذل فـلا تـستحق الخيـر[4] وكـذلك "المعرة "[5] نالت نصيبها .

أمـا مـصر ومـدنها وقراهـا وأهلهـا فنـالهم بـالتعريض والإزراء شعراء كثر إمـا بـشكل عـام (أي مـصر بـشكل كامـل) أو طـال القـدح مـدناً بعينها ، وقـد وصـم ابـن الـساعاتي أهـل مـصر عامـة بالبخـل ، وجعلهـا بلـداً لا يقـضى لزائـر فيهـا حاجـة ، ولا يظفـر مظلـوم فيهـا بعـدلٍ يتأملـه ، بـل صـاحب الفـضل يجـف فـضله فيهـا ولـو كـان مثـل نهـر النيـل ويقـول في ذلك : " الطويل "

وها مصر لا يقضى بها حـاج طالـبٍ بغاهـا ولا يمـضي لـذي أمـلٍ حكْـم
لأبحـر مِنْهـا النيـلُ وهـو مجاجـةٌ مـن البخـل لا بـلْ أظْلَـم القمـر الـتم
وكم خاب قِدح طالَ مـن قبـلُ فـوزه وأخْطـأ مـن بعـد الوثـوقَ بـه سـهم[6]

[1] - العماد الأصفهاني، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 118/2.

[2] - الديوان 253 . والشاغور: محله مشهور بالباب الضغير مـن دمـشق. ينظـر:يـاقوت الحمـوي، **معجم البلدان** 310/3.

[3] - ينظر: الصفدي ، **الغيث المسجم في شرح لامية المعجم** : 405/2.

[4] - **الديوان** 361.

[5] - ينظر:العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 53/2.

[6] - **الديوان** : 71/2.

وقد يقف الباحث حائراً أمام ظاهرة يحار فيها كل متذوق للشعر ألا وهي التناقض في شخصية الشاعر ، وموقفه تجاه بلدٍ فتارة يفتتن الشاعر في مظاهره فيمدحه ، ثم ما يلبث أن ينقلب عليه فيقدحه ، ويزري بأهله مستخدماً المقابلات اللفظية ، وسرعان ما تظهر حقيقة أسلوب التكلف في الشعر كما هو الحال عند ظافر الحداد إذ نراه يهجو مدينة الإسكندرية وأهلها في أكثر من موضع بعد مدحها في مواضع عدة ،إذ يقول في ذمها : " مجزوء الكامل "

لَهفي على الإسكندريـ ... يـةِ كَيفَ يسكُنها اللئام

بلدٌ عَدِمتُ بها السرو ... ر كما بها عَدِمَ الكِرام

حَسُنتْ وقُبح أهلُها ... فضياؤُها بِهِم ظَلام

قَومٌ إذا استيقَظْتَهم ... لِمكارمِ الأخْلاق نَاموا

قومٌ إذا قَعد الكِرا ... م على بِساط العِز قَاموا

فَحلالُهم مِن شحهم ... في كل مسألةٍ حرام

قومٌ إذا استَطْعمتَهم ... في يوم عيد الفطر صاموا[1]

وبعض من هجا مصر بين الشعراء لجأ لذم شخص ، وجعله رمزاً للمكان وأهله كما فعل عبد العظيم بن عبد الواحد الطائي فقد ذم الغربية ، ووصم أهلها باللؤم والبخل مستخدماً واليها وحاكمها رمزاً لها ومن الواضح أن الشاعر إذا لم يحصل على شيء من مكان يدخله يصب جام غضبه على أهله وهو ما فعله الشاعر في هجائه ، إذ يقول : " الطويل "

لحا اللهُ بالغربيةِ الآن نَاظِراً ... تَصاب لما أن شكوتُ له العدما

---

[1] - **الديوان** : 293 – 294.

ولا سـقيتْ أرض ِبهــا سـببتْ لــه معــالم ذكــر كُــن مــن قبلِهــا رســما

بــلاد لِئــامٍ لا تَــرى حــق وافــدٍ تُــرى هــل يرينــي ا نَاظرهــا أعمــى[1]

فقـد دعـا الـشاعر عليهـا بـألا ينـزل عليهـا الغيـث ، فهـي أرض لئـام لا حرمــة فيهــا لــضيف ، وتمنــى أن يــصاب واليهــا بــالعمى وقــد اســتعان بالتورية في هجائه لكلمة " ناظر " .

وقــد نالــت بــلاد الرافــدين ، ومــدنها حــصتها مــن الــذم والــدعاء والإزراء ، فهـا هـو أبـو إسـحق الغـزي – شـاعر الـشام فـي القـرن الخـامس الهجري وأكثـر الـشعراء هجـاء للمـدن فـي تلـك الفتـرة -[2] يـرفض المكـوث في مدينـة الـزوراء ، لأن مكوثـه لا طائـل منـه فـلا نـوال يحـصده فيهـا ، ولا جـــو يـــشجعه علـــى الإقامـــة فيهـــا لـــشدة حرارتهـــا ، إذ يقول : " البسيط "

مالي وللمكثِ في الزوراء يجحف بـي من ألِفـح العجـز لـم يفـرح بمـا نَتَجـا

قلبـي أظـن هـو المعـدي مـساكنها بنَــار لوعتِــهِ لمــا ارتقــى درجــا

فالــدور محترقــاتٌ والهجيــر بِهــا يــساعِد الهجــر فيمــا يــسيلُ المهجــا[3]

ومــن المــدن العراقيــة التــي ذمهــا شــعراء مــصر والــشام مدينــة " بغـداد " فقـد وصـف أبـو إسـحق الغـزي أهلهـا بالبخـل[4] وكـذلك مدينـة

---

[1] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 163/3.

[2] - ينظر:عبد المهدي ، عبد الجليل ، **الحيـاة الأدبيـة فـي الـشام فـي القـرن الخـامس الهجـري** . 100

[3] - الصفدي ، **الغيث المسجم** 116/1، ولم ترد الأبيات في ديوانه.

[4] - **الـديوان** : 50 ،وذمهـا جعفـر بـن أبـي زيـد بأبيـات. ينظـر:العمـاد الأصـفهاني، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 67/2.

"إربـل"[1] لـم تـسلم مـن لـسان ابـن المـسجف فقـد وصـفها فـي أكثـر مـن مقطوعـة بأنهـا دار فـسق وظلـم ودار سـوء ودعـا عليهـا[2] ، أمـا مدينـة الموصـل فقـد أزرى ابـن المـسجف بأهلهـا ، ووصـفهم بـالكلاب وحـذر مـن مصاحبة أهلها، ومفَارقُها عده رابحاً ، إذ يقول : " المتقارب "

تَجنَّـب مـصاحبةَ الموصـلي فإنـك مِـن تَركِهـا تَـربح
فلـو قِيـلَ للكلـبِ يـا موصـلي لمـا عـاد مـن بعـدها ينـبح[3]

وذم الـشعراء مـدناً يمنيـةً ، فهـا هـو ابـن قلاقـس الـسكندري يهجـو " دَهلَك "[4] ، وجعـل كـل مـن يـدخلها هالـك ، وغمـز بأمينهـا مالـك فـي قولـه معتمداً على التوجيه : " المتقارب "

ألا افْـسِح بـدهلك مِـن بلْـدة فكـل امـرئٍ حلَّهـا هالـك
كفـاك دليـلٌ علـى أنهـا جحِـيم وخَازِنُهـا مالـك[5]

أما ابـن الحبـاب الأغلبـي الـسعدي فهجـا مدينـة " زَبيـد "[6] وعبـر عـن شـدة حرارتهـا فـلا تطـاق ، ووصـف مـن يتـصدون للقـضاء فيهـا بالجهـل ، فيقول : " الطويل "

---

[1] - إربل : بالكسر وهي مشتقة من الربل نبـات كثيـر ملتـف وهـي مدينـة تقـع شـمال العـراق واسمها حالياً أربيل وتقع إلى الغرب من سفوح جبال كردسـتان قـام بعمارتهـا مظفـر الـدين كوكبري بن زين الدين كوجك. ينظر:ياقوت الحموي، **معجم البلدان** 137/1 - 138 .

[2] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 336/2.

[3] - نفسه : 335/2.

[4] - دَهلَك : هي جزيرة في بحر اليمن ، وهـو مرسـى بـين بـلاد الـيمن والحبـشة ، بلـدة ضـيقة حارة ، كان بنو أمية إذا سخطوا من أحد نفوه إليها ، وهـي التـي نفـي إليهـا عمـر بـن أبـي ربيعة كما قيل في إحدى رواياته . ينظر:ياقوت الحموي، **معجم البلدان** 492/2.

[5] - **الديوان** : 489 .

[6] - زبيد : مدينة أحدثت زمن المأمون ، وحـديثاً تقـع علـى وادي زبيـد قـرب البحـر الأحمـر ، وينسب إليها صاحب تاج العروس . ينظر:ياقوت الحمـوي، **معجـم البلـدان** 184/3، آمنـة أبـو حجر، **موسوعة المدن العربية** 574 – 575 .

وكم في زبيدٍ من فقيهٍ مصدرٍ ... وفي صدرهِ بحر من الجهل مزبد

إذا ذاب جسمي من حرور بلادكم ... علقْتُ على أشْعاركم أتبرد[1]

وقد تجاوز الشعراء في هجائهم المدن حدود البلاد العربية ليصل إلى غيرها من أقاليم الدولة الإسلامية ، فقد هجا الغزي مدينة " مرو " في بلاد فارس ووصف أهلها بما يسلبهم فضائلهم النفسية فهم كما يبدون في أبياته بخلاء ولؤماء ، فيقول : " الكامل "

بخلوا بمرو وعِز مروٍ أصبحتْ ... مأوى اللئامِ ومجمع اللوام

لا الفأس يخْرج من يدٍ فيها وإن ... خرج العروقُ بها عن الأجسامِ[2]

وهذا ابن عنين يعرض بمدينة " بخارى " لما لقيه من أهلها من ضجر وإجحاف وفتور حتى تكاد تخرجه من دينه ومعتقده ، مما دفعه للقسم ألا يعود إليها مرة ثانية ولو كانت جنة الخلود في الأرض ، فيقول : " الكامل "

آليتُ لا آتي بخَارى بعدها ... ولو انّها في الأرض دار خلودِ

فلقد حللتُ بها حنيفاً مسلماً ... ورحلتُ عنْها باعتقادِ يهوديِ[3]

ويبدو أن كثرة التنقل والترحال من بلد إلى آخر ، ومدى إحساس الشاعر بالراحة أو الشقاء في البلد الذي يمر به أثر على مدح ذلك البلد أو قدحه ، ولابن عنين تجربة في هذا الميدان فقد عرف بكثرة

---

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 198/1.

[2] - **الديوان** : 44.

[3] - **الديوان** : 211.

تنقلاته في البلدان ، وليس ثمة ما يدل على أنه حمدها ، أو أنه قد وجد فيها مبتغاه . ومن البلدان التي ذمها في رحلاته " الهند " فقد سخر منها ، ودعا لها بالسقيا ولكن بالصواعق والدماء ، ويظهر ذلك في قوله : " الكامل "

وإذا سقى الله البلاد فلا سقى ... بلد الهنودِ سوى الصواعِقَ والدما[1]

وصب جام غضبه وسخطه على قضاتها ، في قوله : " الكامل "

قاضِي دينَدوز فإنّه ... قاضٍ إذا أسدى أطالَ وأعرضا[2]

ولعل أبرز المدن تعرضاً للنقد والإزراء – خارج نطاق حدود مصر والشام – مدينة نيسابور، فقد نالها نصيب وافر من الهجو الجارح والنعوت اللاذعة من قبل العديد من الشعراء ، فهجاها الحافظ ابن عساكر ، وذم شدة برودتها ، وحمل على أهلها واتهمهم بالغدر وقلة الوفاء رغم وفائه لهم ، وفيها يقول : " البسيط "

لا قدس الله نَيسابور مِن بلدٍ ... ما فيهِ مِن صاحبٍ يسلي ولا سكن
لولا الجحِيم الذي في القلبِ مِن حرقٍ ... لِفُرقةِ الأهل والأحبابِ والوطن
لمت مِن شِدةِ البردِ الذي ظَهرتْ ... آثار شِدتهِ في ظاهِر البدن
يا قوم دوموا على عهدِ الهوى وثِقوا ... أني على العهدِ لم أغدر ولم أخن
ولا تدبرتُ عيشي بعد بعدِكم ... إلا تمثلتُ بيتَاً قِيلَ مِن زمن
فإن أعشْ فلعل الله يجمعنا ... وإن أمتّ فقتِيل الهم والحزن[3]

---

[1] - **الديوان** : 79.

[2] - **الديوان** : 127.

[3] - العماد الأصفهاني، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 274/1، ياقوت الحموي ، **معجم الأدباء** 87/13 .

فالشاعر لا يخفي امتعاضه وغضبه من أهل نيسابور ، كما أن شدة برودة المدينة وما أحدثته في بدنه من ألم دفعته لذمها ، وأخذ يعلن صراحة صعوبة عيشه لفراق أهله وأحبته الذين كلما تذكر بعدهم تمثل لهم بأشعار من السابقين ، ويظهر ذلك في البيت الثاني ، ولعل ما يبديه الشاعر من شكاوى تنم عن معاناة شخصية يعاني منها ربما لا تكون حقيقية .

ويعبر أبو الحسن الأستراباذي عن الفكرة نفسها في هجو تلك المدينة لكنه يدعو عليها بعدم الطهارة وينعت أهلها بأنهم منافقون وبخلاء ، وقد يلقى زائرهم فيها حتفه من شدة بخلهم رغم ما عندهم من أرزاق ، فيقول : " البسيط "

لا قدس ا ُ نَيسابور مِن بلدٍ سوقُ النفاق بمغناها على ساق

يموتُ فيها الفتى جوعاً وبرهم والفضلُ ما شِئتَ مِن خَيرٍ وأرزاق

والحبر في معدن الغرثى[1] وإن برقَتْ أنواره فِي المعاني غَير براق[2]

فأهل نيسابور كأداة الحبر خالية من لمعانه وهم رغم كثرة أرزاقهم خلت أياديهم من الكرم .

ولعل بعض الشعراء ذم مدينته لأسباب شخصية " لأنها لم تبلغه آماله وحملته الهوان ، وإن الحر لا يقبل أن يعيش بين الأذلة "[3] وهذا ما فعله الزمخشري في هجاء " زمخشر "[4] .

---

1 - الغرثى : الجياع. ينظر:ابن منظور،**لسان العرب** مادة (غرث).

2 - ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** 332/3.

3 - عمرو ، علي عبد ا ، **تحقيق ديوان الزمخشري ودراسة شعره** 39.

4 - نفسه : 199.

وقد يظهـر لنـا جليـاً مـن خـلال مطالعاتنـا لتلـك المقطوعـات الهجائيـة الـسابقة ، أن غالبيــة الــشعراء ركّــزوا نقــدهم فــي ذم تلــك المــدن والبلــدان وأهلهـا علـى فكـرة واحـدة ، تتمثـل فـي رمـي تلـك المـدن وأهلهـا بالـشح وحبس اليـد عـن العطـاء ، وربمـا لا يخـرج الـدافع فيهـا عـن ضـيق الحـال ، وأمـل الـشعراء فـي جـود أهلهـا ، وبالتـالي فهـي مـشكلة شخـصية بالدرجـة الأولــى ، لكنهــا لا تخلــو مــن تــشخيص لواقــع الحيــاة فــي المجتمعــات المصرية والشامية ، ونظرة تنتقد ما يدور حولها .

***2* . هجاء المرافق العامة ودور السكن :**

لـم يقتـصر ذم الـشعراء وانتقاصـهم للمـدن والبلـدان بـل تعـداها ليطـال مرافـق المـدن العامـة وبخاصـة الحمامـات ، فقـد تميـزت مـدن الـشام بكثـرة حماماتهـا ، وقـد أحـصى ابـن شـداد ببـاطن مدينـة حلـب واحـداً وسـبعين حماماً[1] وعد ابـن عـساكر فـي دمـشق سـبعة و خمـسين حمامـاً سـوى حمامـات القرى[2] ، وقـد أيـد ذلـك وأكّـده ابـن جبيـر وذكـر أن تلـك الحمامـات انتـشرت خـلال هـذه الفتـرة انتـشاراً واسـعاً وعـد منهـا مائـة حمـام[3] واهـتم الـشّاميون بـالتفنن فـي عمارتهـا والقيـام علـى خـدمتها وقـد تناولهـا ووصـفها فتيـان الــشاغوري فــي صــورتين متقــابلتين ، مــدح بعــضها وذم الآخــر ، وفــي الجانــب الــذي ذم فيــه تلــك الحمامــات قــال يهجــو أهــل الزبــداني ويــذم

---

[1] - ينظر: **الدر المنتخب** : 133.

[2] - ينظر: **تاريخ ابن عساكر** : 389/2.

[3] - ينظر: **رحلة ابن جبير**202.

حمـامهم ، ويـذكر بأسـلوب سـاخر مـا يعانيـه الزائـر مـن عنـاء وبـؤس ومـا يلاقيه فيه من أذى ، فيقول :   " المتقارب "

أرى مـــاء حمـــامِكُم كـــالحميمِ   نُكَابِـــد مِنْـــه عنـــاء وبؤســـا
وعهـدي بكـم تَـسمِطُون[1] الجِـدِي   فمـا بـالُكم تَـسمِطُون التُيوسـا[2]

ويبـدو أن ذم الحمامـات والإزراء بهـا مـن قبـل الـشعراء ؛ كـان نتيجـة افتقارهـا للنظافـة وخلوهـا مـن أبـسط المواصـفات الـصحية ، فاسـتغل الشعراء هـذا الجانـب وجعلـوه مجـالاً للنقـد ، فهـا هـو الـشواء يرسـم صـورة سـاخرة لحمـام تَوقَـعَ نزيلـه أن يجـد فيـه أبـسط أنـواع الـسعادة والراحـة ، فبـددت برودتـه كـل توقعاتـه حتـى جعـل الـشاعر صـورته وهـو يجمـع أعضاءه من برودة مائه كالقنفذ ، فيقول :   " المديد "

زادنـــي حمـــامُكم طبعـــاً[3]   ضـــرني بـــرداً ومـــا نفعـــا
فكـــأني قُنفُـــد حـــذِر   مِقْـــشعِراً فيـــه مجتَمِعـــا
مـــن رآنـــي فيـــهِ مرتعـــداً   خـــالَ بـــي مِـــن بَـــردِهِ رفعـــا[4]

وهـذا ظـافر الحـداد يـنظم أبياتـه سـالكاً الاتجـاه نفـسه لكنـه يـضع لنفـسه خطـة يـصف فيهـا مـا حـدث لـه ، فحـين عـزم أن يـدخل أحـد الحمامات ، أملاً فـي الراحـة بعـد طـول عنـاء وكلـل ، أدهـشت قلبـه المفاجـأة التي لـم يكـن توقعهـا ، فـداخل الحمـام جلـب لـه الـسوء مـن حـره ، وعافتـه

---

[1] - تسمطون : يسمط الجدي : ينتف شعره . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** مادة (سمط) .
[2] - **الديوان** : 238 .
[3] - طبعاً : طبع طبعاً : دنس واتسخ . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** مادة (طبع) .
[4] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 178/8.

نفسه من قذارته ، ولا تطيق نفسه أن يستنشق روائحه العفنة النتنة ، ونراه يبسط ذلك بالدعابة والنكتة فجعل أنفه يطالبه بالتعويض من شدة وقوة رائحته النتنة ، ومما ألحقته به من أذى ، فيقول : " السريع "

دخَلتُ حماماً على غِرة — لما دعاني سوء حظ وحين
تفوراً منّي على راحةٍ — أحظى بها إثر كلالٍ وأين
فنِلتُ مِنْها كل ما ساءني — مِن هم نَفْس ثم إسخان عين
حر أذاب القلب غماً كما — يفْعلُ بالعشاق هجر وبين
وقَرطُ نَتْنٍ كامنٍ خِلتُه — يطالِب الأنْفَ بِثَأرٍ وديْن[1]

وهذا شاعر مصري آخر يدعى الناجي المصري يرسم صورة مزرية لحمام ، ويذكر ما حدث له ، فبعد دخوله غيرت سحنته ، وقلب لونه فغدا كأنه من سلالة أخرى غير الساميين ، فيقول: " الكامل "

حمامنَا هذا أشَد ضرورةً — ممن يحل به إلى حمامِ
تَبيض ألوان الورى في غيرهِ — ويعيرها هذا ثياب سخامِ
قد كُنتُ من سامٍ فحين دخَلْته — لِشقاءِ جدي ردني من حامِ[2]

لا شك أن هذا النموذج وما سبقه ، يدلل على سوء العناية الصحية لتلك الحمامات ، لذا فإن تلك الحالة تجيز للدارس أن يحكم بضعف الرقابة الإدارية على مثل تلك المرافق العامة ، ويمكن أن يضاف إليه فساد إداري للقائمين عليها .

---

[1] - **الديوان** : 301 – 302 ، وللاستزادة ينظر:نفسه في الصفحات : 2 ، 169 ، 202.
[2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 103/2.

ويـدخل – إلـى جانـب ذم المـدن والحمامـات – بيـوت الـسكن سـواء كانـت ملكـاً خاصـاً لأشـخاص معينـين أم غرفـاً وحجـرات ، شُـيدت بغـرض الإجـارة يكتريهـا الزائـرون لليـالٍ معـدودة ، يـأوون إليهـا للراحـة والتخفيـف من عناء الـسفر – أي بمثابـة الفنـادق حاليـاً – وهـا هـو الـشواء يرسـم صـورة مزريـة لغرفـة آوى إليهـا طلبـاً للنـوم والراحـة ، ويبـرز فيهـا صـورة لبيئـة واقعيـة جربهـا ، فـأظهر فـي تـصويره صـدق التجربـة التـي عاشـها بنفـسه ، فبـدأ الـدعاء عليهـا وشـبهها بالغربـال فهـي لا تقـي سـاكنها حـراً ولا قـراً ، وليزيـد مـن انتقـاص حالهـا ، جعلهـا فـي صـورة سـاخرة فقـد غـدت مرتعـاً للبراغيث تنفـر مـن وقـع قطـرات المـاء وكـأن هروبهـا بمثابـة رقـص علـى إيقاع صوت قطرات الماء ، فيقول : " الخفيف "

لعـن اللهُ غرفـةً بـت فيهـا تحـتَ سـقفٍ كأنـه غِربـالُ
كـل قطـرٍ منهـا وقـد أقلـع القطْـر إلـى الفجـر عـارض هطـالُ
فالبراغيـثُ راقـصاتٌ علـى إيـقاع وكْـفٍ[1] أخـف فيـهِ الجبـالُ[2]

ولـم يبتعـد ظـافر الحـداد عـن الـشاعر الـشواء فـي إعطـاء تلـك الصورة عن حال تلـك الغـرف ، التـي قـصدها بنفـسه للراحـة فـي ليلـة ، فقـد جعلهـا فـي عـداد القبـور لظلمتهـا ، شـديدة الحـرارة تطـبخ الجـسم كأنـه فـي تنور ، مطبقـة ومليئـة بـالبعوض ومـن قوتـه ، وشراسـته فـي اللـدغ كالنـسور علـى فرائـسها أو الـصقور وصـور خراطيمهـا حـين تغرزهـا فـي جـسمه كالرمـاح فـي الأعنـاق ، وأصـواتها تـوحي بالتهديـد والوعيـد حمـاه الله منهـا

[1] - الوكف :وكف البيت وكفـاً هطـل وقطـر وكـذلك الـسطح . ينظـر : ابـن منظـور ، **لـسان العرب** ، مادة (وكف) .
[2] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** : 182/8.

بإشراق الصباح وخروجه كيوم النشور ونراه يقول في ذاك : " مشطور السريع "

وحجرةٍ مثلِ عدادِ القبور
بِتُ بها للقدر الضروري
في ليلةٍ مسرقةُ الحرور
كأرؤس الخرفان في التنّور
مطبقٌ مطين مسجور
بعوضها يكثر كالنّسور
أو كالبزاةِ الشهبِ والصقور
تفعلُ في الأوجهِ والظهور
فِعلَ رماحِ الخطِ في النحور
أصواتُها في الحالِكِ الديجور
تُشبه ما صاح من النّاعور
فلم تزل في الويل والثبور
وكلّ أمرٍ خطرٍ محذور
حتى أتانا صبحها بالنور
فذقتُ طعم الموتِ والنّشور[1]

أما النوع الثاني الذي ذمه الشعراء وأبرزوا عيوبه ونواقصه فيتعلق بالدور التي يسكنها أهلها فقط ، ورسموا لها صوراً تظهر معاناة أهلها وفقرهم ، وتبين حالة الفقر المدقعة التي كابدتها تلك الطبقات الفقيرة خلال تلك الفترة ، لكن الشعراء رغم تلك القسوة أظهروا الروح الفكهة الساخرة التي تميزت بها الشخصية المصرية خاصة حتى في

[1] - **الديوان** : 136 – 137.

أحالك الظروف فجاء شعرهم تعبيراً عن واقعهم وممثلاً لشخصياتهم ، وهو ما عبر عنه شوقي ضيف في قوله : " ولعلّ في هذا كله ما يدل على أن الشعر المصري مثّلَ في هذا العصر مزاج المصريين وميلهم إلى الدعابة والنكتة "[1] وممن يميل إلى تلك السخرية والدعابة ابن مكنسة الذي يعبر عن عدم حاله ، وقبح داره ، وشدة معاناته بأسلوب مؤثر ، يثير الشفقة ، ويعبر عن واقع مرير ، لكنّه يظهر بساطة وعفوية ظاهرة ، فيقول : " الخفيف "

لي بيتٌ كأنه بيتُ شَعرٍ لابن حجاجٍ منه قَصد سخيفِ
ضَايَقَتْني بنات وردان حتّى أنا فيهِ كقَأرةٍ في كنيفِ
أين للعنكبوتِ بيتٌ ضعيفٌ مثلُه وهو مثْلُ عقْل الضعيفِ
بقعةٌ صد مطلع الشمس عنْها فأنَا من سكنْتُها في الكُسوفِ[2]

ويبدو لي أن الشعراء لم يكتفوا بالتعبير عن فقرهم وسوء أحوال مساكنهم ودورهم فقط ، بل أظهروا نزعة إنسانية تدل على مشاركتهم لآلام غيرهم وإحساسهم بمعاناتهم ، كما فعل ظافر الحداد الذي عبر بشعره عن ضيق بيت لإنسان شكا له حاله ، فالشاعر رسم صورة تظهر حالة البيت وصاحبه ، فالبيت ضيق كصدر صاحبه كناية عن جسمه الهزيل ، ومن شدة ضيقه يكاد يقتل صاحبه ، ويتابع الشاعر تصويره بتشبيهات متتالية تدال على حاله ، فيقول : " المجتث "

بيتٌ كصدري ورزقي ضيقٌ كخَلْقي وخُلْقي

---

[1] - **الفن ومذاهبه في الشعر العربي** 489.
[2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 211/2.

ملأتُــــه مـــــع هــــزالٍ   معـــــي وســـــفمي ودقـــــي

قلْتَــــز عــــضو بعــــضوٍ   منّــــــي وعِـــــرقٌ بعِــــرق

حتــــى لقَــــد كـــاد فيـــهِ   كَعِيــــــي يــــــصافِح فَرقـــــي

فمـــــا يطيـــــقُ لِـــــساني   يـــدور فـــي وســـطِ شِـــدقي

وأنــــو تَجــــشأتُ فِيــــه   لمـــــا تَجـــــاوز حلقـــــي

أمنـــتُ فِيـــهِ مـــن المـــو   ت وهـــــو يـــــدون خَنْقـــــي

لأن روحـــي لـــم تلْـــقَ   فُـــسحةً للتّرقّـــي[1]

فالـصورة تظهـر مـدى الفقـر المـدقع الـذي يعانيـه صـاحب ذلـك البيـت ، والحالة المزرية له .

[1] - **الديوان** : 224 – 225.

الفصل الثالث

الهجاء السياسي والإداري

أ . المبحث الأول : الهجاء الداخلي :

1. هجاء كبار رجال الدولة .
2. هجاء سياسة الحكام وإدارتهم الداخلية .
3. هجاء المتقاعسين عن الجهاد .
4. هجاء أمراء النزعات الانفصالية .
5. هجاء التنازع على " الوزارة " في نهاية العهد الفاطمي .

ب. المبحث الثاني : الهجاء الخارجي :

هجاء الصليبيين ويشتمل على :

1. عقائدهم وشعائرهم الدينية .
2. قادتهم وملوكهم .
3. ألقابهم وأوصافهم ومسمياتهم .
4. صفاتهم الخلقية .

الهجاء السياسي والإداري :

قبل الحديث عن مظاهر الهجاء السياسي ، وصوره المختلفة التي تبدت للدارس في مجموعة الأشعار المنتقاة لهذا الغرض ، لا بد من التنويه إلى أن الهدف من عرضِها ، لا يقصد به دراسة ملامح الحياة السياسية ، خلال فترة حكم الزنكيين والأيوبيين ، ولا يراد منها إبراز النزاعات والصراعات السياسية حول تلك المراكز الإدارية المختلفة ، وإنما الهدف من دراسة تلك النصوص الشعرية ، هو الوقوف عند تلك النصوص الرافضة ، والناقدة لبعض المواقف السياسية ، وهي مواقف لم يرض عنها الشعراء ، وليست لديهم قدرة على تغييرها ؛ لأنهم لا يمتلكون قوة التغيير ، وكل ما يمتلكونه في رفض تلك المواقف أشعار ينظمونها ، فهي وسيلة الرفض الأولى .

ولعلّ سوء النظام السياسي والإداري ، وتردي أوضاع الناس المعيشية ، وما صاحبها من فساد في بعض الفترات الزمنية ، في ظل حكم الزنكيين والأيوبيين ، بسبب تقصير بعض الحكام ، ومن دونهم في مناصب الإدارة كل ذلك جعلهم عرضة لهجو الشعراء ، ونقد مواقفهم السياسية سواء كان ذلك تصريحاً في مواقف أم تلميحاً في مواقف أخرى ، وفق مقتضيات الحال وظروف الشاعر الخاصة ، يضاف إلى ذلك ما تعرضت له مصر والشام من عدوان صليبي ، وما نتج عنه من تدمير وخراب ، وما أفرزته تلك الحملة الصليبية من مواقف مختلفة اتجاهه ، تراوحت بين التصدي له ودحره وهو الأغلب ، وبين حكام

متخـاذلين ومتقاعـسين عـن مواجهتـه ؛ لمـصالح شخـصية ضـيقة إلـى وجـود مجموعــة مــن الخونــة والمتعــاونين مــع الاحــتلال ، وهــي ليــست ديــدنهم وسنتهم وحدهم فـي هـذه المرحلـة ، بـل سـبيلُ أمثـالهم مـع كـل احـتلالٍ عبـر التاريخ

وقــد حركــت تلــك المواقــف المتخاذلــة ، والتــصرفات المــشينة مــن تلــك الفئــات قــرائح الــشعراء ، وأوغلــت صــدورهم بالحقــد والكراهيــة ، والغضب ، على تلـك الأوضـاع الـسياسية التـي تعرضـت لهـا الأمـة فـي تلـك المرحلــة ، فوجهــوا ألــسنتهم ، وحولــوا كلمــاتهم إلــى شــظايا مــن اللهــب ، تُــصب علــى رؤوس هــؤلاء ، وعلــى رؤوس أســيادهم مــن الفــرنج الغــادرين ، مــستخدمين بحقهــم أقــذع الكلمــات ، وأبــشع النعــوت لفــضحهم وإظهار حقيقتهم أمام الناس .

وبنــاء علــى تلــك الأوضــاع الــسياسية الداخليــة ، وذلــك العــدوان الــصليبي الخــارجي ، والطــارئ علــى ديــار المــسلمين فــي مــصر والــشام ، جعلـت شـعر الهجـاء الـسياسي فـي مبحثـين : هجـاء داخلـي ينتقـد سياسـة الحكـام فـي تلـك الفتـرة الزمنيـة ، ويـذم بعـض أمـراء الـشام ، ومحـاولاتهم نحــو الاســتقلال ، والانفــصال عــن إدارة الدولــة الزنكيــة والأيوبيــة ، إلــى جانــب التعــريض بالــصراعات ، والنزاعــات حــول منــصب الــوزارة فــي أواخــر عهــد الدولــة الفاطميــة ، وهجــاء خــارجي يهجــو الــصليبين و عملاءهـم ، ومـن دار فـي فلكهـم ، ونَـصب العـداوة للمـسلمين مـن أمثـالهم ،

ومـا نـتج عـن تلـك الهجمـة مـن آثـار خطيـرة فـي بـلاد المـسلمين .
وسنعرضها على النحو الآتي :

أ. المبحث الأول : الهجاء الداخلي :

1. هجاء كبار رجال الدولة :

لعـلّ أبـرز مظـاهر الهجـاء الـسياسي فـي عـصر الـزنكيين والأيـوبيين، تلـك الأشـعار التـي تناولـت بالنقـد أولئـك الـذين تولـوا مناصـب هامة كالحكـام والأمـراء والـوزراء ، فلـم يـسلموا مـن ألـسنة الـشعراء ونقـدهم ويمكن تتبع هؤلاء على النحو التالي :

 هجاء الحكّام :

لـم يقتـصر هجـاء الـشعراء فـي أشـعارهم علـى الجانـب الشخصي لهـؤلاء الحكـام ، بـل حملـت أشـعارهم رسـائل اجتماعيـة ، لـذا حرصـوا أن تبـرز أهـاجيهم جوانـب التقـصير والانحـراف مـن قبـل هؤلاء المسؤولين فـي حـق رعيـتهم ،وأبـرز هـؤلاء الـشعراء ابـن عنـين الذي اتخـذ شـعره سـلاحاً لمحاربـة الفـساد ، ونقـد الأوضـاع الاجتماعيـة السائدة في ذلـك العـصر فحمـل هجـاؤه رسـالة سـامية كمـا يقـول عمـر موسى باشا فيـه " لـم يكـن ابـن عنـين فـي هجائـه يبغـي الـشر دائمـاً ، وإنما كـان يتخـذه فـي بعـض الأحيـان طريقـاً لإصـلاح فـساد مجتمعـه ،

أو للتعبير عن شعور إنساني نبيل "[1] وخير مثال على ذلك حين أمر الملك المعظم بنزح ماء خندق القلعة بدمشق ، فأعيا الناس نزحه لكثرة ما فيه من ماء وقد نال الناس من ذلك جهد عظيم[2] قال ابن عنين مخاطباً الملك : " الوافر "

أَرِحْ مِن نَزحِ ماءِ البرجِ يوماً فَقَدْ أَفْضى إلى تَعَبٍ وعِيِّ
مُرِ القاضي بِوضعِ يديهِ فيهِ وقدْ أضحى كرأسِ الدولعيّ[3]

فقد مزج الشاعر بين شعوره الإنساني النبيل ، كما يبدو من هجائه وبين روح الدعابة والسخرية كما هو الحال في البيت الثاني وربما قصد من ذلك تخفيف هجائه للملك حتى يتجنّب شره .

ولم يكتف ابن عنين في هجائه للحكام عند النقد المقبول ، بل تعدى ذلك إلى الهجاء الجارح والقدح المقذع فلم يسلم من لسانه صلاح الدين الأيوبي ، فقد صور دولته وأولي الأمر فيها بأنهم أصحاب مفاسد وعاهات يقول : " المنسرح "

سلطانُنَا أعرجٌ وكاتبه ذو عمشٍ والوزيرُ منحدِبُ
وصاحِبُ الأمرِ خُلْقُه شَرِسٌ وعارضُ الجيشِ داؤه عجبُ

---

1 - **الأدب في بلاد الشام في عصور الزنكيين والأيوبيين** 359 .

2 - ينظر : ابن واصل ، **مفرج الكروب** 45/5.

3 - **الديوان** : 235 . **والدولعي** : هو جمال الدين محمد بن أبي الفضل بن ياسين الدولعي ، تولى خطابة دمشق بعد عمه وهو منسوب إلى الدولعية قرب الموصل توفي سنة 635 هـ ودفن في جيرون بمدرسته. ينظر: أبو شامة المقدسي ، **ذيل الروضتين** 253/5-254 ، وابن العماد لحنبلي ، **شذرات الذهب** 175/5، النعيمي ، **الدارس في تاريخ المدارس** 415/1.

عيـــوب قـــومٍ لـــو أَنهـــا جمِعـــتْ   فـــي فلَـــكٍ مـــا ســـرتْ بهـــا شُـــهب[1]

مثل هذا الهجـاء وغيـره كلّـف ابـن عنـين كثيـراً فقـد نفـاه الأيوبيـون خارج دمشق فدار في بلدان كثيرة .

ولجـأ الـشعراء فـي تـصوير الحكـام ومفاسـدهم إلـى اسـتعمال لغـة العامة وفكرها فـي شـعرهم ، فهـا هـو أسـامة بـن منقـذ يـصور فـساد أجهـزة الحكـم ، وعـدم جـدارة الحكـام لتـولي مناصـبهم بأسـلوب يميـل إلـى الـسخرية والـتهكم ، ويـشير مبينـاً متـى يحكـم للمظلـوم بالعـدل إذا كـان الحـاكم هـو خصمه كما يقول :   " مجزوء الرمل "

ظَلمتْنِـــــي دولـــــةُ العـــــد   ل فمَـــــن يكْـــــشِفُ ظُلمـــــي

ومتَـــى يحكَـــم لـــي بالـــ   ـــــعدل والحـــــاكِم خَـــــصمِي[2]

تعبيـر صـريح للحـاكم واتهامـه بـالظلم فـي الحكـم ، ونقـد يبـين فـساد القـضاء وميلـه إلـى المحـسوبية ، وهـي أمـراض اجتماعيـة يـصرح بهـا الشاعر نيابة عن العامة وتلك رسالة اجتماعية .

وعمـد بعـض الـشعراء إلـى سـلب الحكـام فـضائلهم النفـسية ، فراحوا يحطـون مـن قـدرهم ويرسـمون لهـم صـوراً قبيحـة إلـى الحـد الـذي دفـــع البـــديع الدمـــشقي لتـــصوير أحـــد الحكـــام بالبهيمـــة فيقول :   " مجزوء الرجز "

حـــــــاكِمكُم بهيمـــــــةٌ   ليـــــستْ تَـــــساوي العلفـــــا

---

[1] - **الديوان** : 210 – 211 .
[2] - **الديوان** : 261.

وليس فيه مضغةٌ طيبةٌ إلا القفا[1]

وقد استغل الشعراء ظاهرة الفوضى والفساد الإداري والمالي في مؤسسات الدولة الأيوبية – خاصة بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي – وتنازع أولاده فيما بينهم . وفي خضم هذا الفساد استغل فتيان الشاغوري حادثةً وقعت في عهد الملك الأمجد فحين تسلم السامري وزارة الملك الأمجد " نال من جهته الأموال والنعم شيئاً كثيراً حتى صار المدير لجميع الدولة والأحوال ، حتى كثرت الشكاوى من أهله وأقاربه ، وكثر منهم العسف وأكل الأموال والفساد "[2] أثارت هذه الحادثة حفيظة الشاغوري فجعل يحرض الملك للتخلص من السامريين كما فعل هارون الرشيد بالبرامكة ، وتوجه إليه بنقد ولوم يحمل في طياته رسالة اجتماعية يراد منها تنبيه الملك لما وقع فيه من خطأ ، إذ يقول : " المنسرح "

الملك الأمجد الذي شَهدتْ	**له ملوك الزمان بالفضل**
أصبح في السامري[3] **معتقداً**	**ما اعتقد السامري في العجل**
والسامريون كالبرامك من	**قبلُ فأين الرشيد للقتْل**[4]

[1] - ابن شاكر الكتبي ، **فوات الوفيات** 133/2.

[2] - ابن أبي أصيبعة ، **عيون الأنباء** 721.

[3] - السامري :هو الذي سمع له خوار، قال الزجاج وهم إلى هذه الغاية بالشام يعرفون بالسامريين ، وقيل السامري علج من أهل كرمان . ينظر:ابن منظور ، **لسان العرب** مادة (سمر).

[4] - **الديوان** : 359.

واستغل بعض الشعراء جرأته وقوة شخصيته بإيصال ما كان من تجاوزات في إهدار مال عامة الشعب من قبل القائمين عليها إلى الحكام ، وتبصيرهم بحقيقة ما يقوم به بعض المتنفذين من تبديد للمال العام من الزكاة ، ولا شك أن استغلال مثل هذه المقدرات والعبث بها من قبل فئة قليلة من الناس وبخاصة من مسؤولي مؤسسة الدولة ، ومستخدميها قد أثار غضب الشعراء ورفع أصواتهم في وجوههم وهذا ما فعله ابن عنين حين خاطب الملك المعظم عيسى في شأن القائم على خزانة الدولة قائلاً : " الخفيف "

يا مليك الدنيا الذي أعظم اللـ ـه بتأييده عزه سلطانه
أنا أشكو إليك جور رفيع لقبوه الصفعان تاج الخزانه
عدم العقل والمروءة والإحسـ ـان والدين والحيا والأمانه
وحوى اللؤم والرقاعة[1] والخِسـ ـة والجهل والخنا[2] والخيانه
زعموا أنه حفيظ على الما ل أمين قلت اسكتي يا فلانة[3]

وعلى الرغم من أن الأبيات تدل على موقف شخصي للشاعر إلا أن تناولها بهذه الجرأة ، لا يمكن أن يأتي من قبيل الصدفة ، لولا وجود ما يشير إلى فساد إداري في أجهزة الحكم ، وصمتِ المسؤولين عنهم أو تقصير منهم بعدم متابعة القائمين على

---

[1] - الرقاعة: الرقيع الأحمق الذي يتمزق عليه عقله ،وقيل جاء برقاعة وحمق.ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** مادة (رقع).

[2] - الخنا : الفحش في القول.ينظر: ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة(خنا).

[3] - **الديوان** : 220 – 221.

هذه الأجهزة التي هي ملك لعامة الشعب فجعلت من ابن عنين ممثلاً للمجتمع الذي يدافع فيه عن المال ويكشف فيه العابثين أمام الناس .

وقد لا تكون هذه الجرأة في رفع الصوت ، وتوجيه النقد للحاكم موجودة عند معظم الشعراء ، فقد دفع ظلم الحكام وقسوتهم عدداً من الشعراء إلى المداهنة والمجاملة خوفاً من بطش الحكام لهم ونهب أموالهم ، والتنكيل بأقاربهم وأبنائهم ، حتى وصل الأمر عند هؤلاء الشعراء إلى نزع ثقتهم ويأسهم من أبناء جيلهم في مساعدتهم على دفع ظلم عنهم ، وقد عبر المسجف العسقلاني عن هذه المعاني بقوله : " مجزوء الرمل "

أنا في جيل خسيس وقبيل وزمان
أمدح السلطان كي يصـ ـبح مالي في أمان[1]

فالشاعر لا يخفي نفاقاً ولا رياء في مجاملة الحكام على حساب مصلحة الناس العامة ، ولا غرابة في ذلك فأشباهه يتواجدون في كل عصر عبر التاريخ .

 هجاء الأمراء والولاة :

ومن كبار الدولة ومسؤوليها الذين طالتهم ألسنة الشعراء الأمراء والولاة ، فقد دفع سوء استخدامهم لمناصبهم ، وتضييقهم

[1] - ابن شاكر الكتبي ، **فوات الوفيات**284/2.

علـى النـاس ، وتبديـدهم الأمـوال العامـة فـي مـصالحهم الشخـصية وفـي مجـالس اللهـو والمجـون ، وحبـسها عـن مـستحقيها إلـى نقـد الـشعراء وهجوهم ، كمـا فعـل أبـو إسـحق الغـزي حـين هجـا أميـر بنـي أسـد ، فيقول : " الوافر "

بنـي أَسـدٍ إنـي رأيـتُ أَميـركم نَمـا بـالأذى والمـن مـستطِل يـسمى

إذا سـاورته الكـأس جـاد ولـم يـزلْ على الصحو مِنْـه بـاخلاً ضـجِراً جهمـى[1]

وليس يكـون المـرء فـي الـسكر سَـحمةً إذا لم يكُن في الصحو مِـن لُؤْمِـه عِظمـى[2]

فـالغزي يـزري بمهجـوه ويـصفه بـاللؤم ، ويتهمـه بـالمجون ويرميـه بالبخـل ، ولا تنـدى يـداه إلا فـي مجـالس الـسكر والفـسق ، وهـذه رسالة اجتماعية يعبر فيها الشاعر عن سوء استخدام المال العام .

ونـزع بعـض الـشعراء فـي هجـوهم إلـى الـسخرية والـتهكم المبنيـة على ذكـر نقـيض الـصفة إمعانـاً فـي إزراء الأمـراء ، وإظهـاراً لـشدة قـسوتهم وتجبـرهم وظلمهـم لـرعيتهم ووصـمهم بـالأمراض المعديـة كمـا فعـل عرقلـة الكلبـي فـي هجـاء مبـارك بـن منقـذ[3] وفيـه يقول : " المنسرح "

ضِـد اسـمِهِ المنْقِـذي عـن ثِقَـةٍ فَـلا تَلُومنِّـه علـى اللـؤمِ

---

[1] - جهمى : الجهم من يستقبل الناس بوجه كريه.ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة(جهم).

[2] - **الديوان** : 107 ،وللاستزادة فيمن رمي بالبخل وتبديد المـال العـام ينظـر : القاضـي الفاضـل ، **ديوانه** 427/2-428.

[3] - مبارك بن منقذ : هو المبارك أبو الميمون أحد أمـراء صـلاح الـدين الأيـوبي ومـن آل منقـذ المعروفين في شيزر تـوفي سـنة 589 هــ ينظـر : العمـاد الأصـفهاني، **الخريـدة (قـسم شعراء الشام)** 203/1.

كالجدري الذي يقال لـه	**مبارك وهو ألف مشؤوم**[1]

فاسم الأمير نقيض أفعاله مهلك لمن تولى رعيتهم ، والرسالة التي حملها الشاعر تعبير بلسانه عن العامة عن سوء حظهم في تعيين أمراء لؤماء قلوبهم قاسية ، ومن سخريات القدر أن يجعل الشاعر التهنئة في الأمر المشؤوم فيشبه خبر تعيينه بالجدري ويهنئه به .

ولعلّ ما يلفت انتباه الدارس لشعر هذا الفترة ظهور مجموعة من الشعراء يمكن تسميتهم بالشعراء الشعبيين من أصحاب الحاجات والمعوزين ، وأظن أنّهم يمثلون شريحة كبيرة من المجتمع أخذوا على عاتقهم رفع شكاوى الناس من استبداد أمرائهم ، فما يكاد أمير يمضي حتى يحل أسوأ منه ، وتكون النتيجة تعاسة حظهم وزيادة فقرهم ، ومن ذلك قول ابن مقدام المحلي في هجاء أحدهم: " الخفيف "

أيها المخلص المكين ومن كفّاه	**في كل أزمةٍ يكفّان**
بان عنّا أهلُ المحبةِ واعتضـ	**ـنا بأهل البغضاءِ والشنآن**
نحن أشقى بختاً وأتعس حظّاً	**إذْ قضانا بصفقةِ الخُسران**
وأخس الورى وأهونُهم بيـ	**ـن الرعايا قدراً على السلطان**
إذْ رعانا بأبغض الخلق مذْ كا	**ن وكانوا لكل قاصٍ ودان**
ما ظننّا من قبلهِ أننَا نلـ	**ـقى جميع السوءاتِ في إنسان**
يتلقاك كالحاً عابس الوجـ	**ـهِ بقلبٍ خالٍ من الإيمان**
ولـه إخْوةٌ وأفعالهم في الـ	**ـمال فِعلَ الذئابِ بالحِملان**
أيها الألمعِي أعوزك الرعـ	**ـيان حتى استَرعيتَ بالذؤبان**

---

[1] - **الديوان** : 95.

أي شيءٍ غـال الكفـاةِ[1] مِـن الكتْـ ـ ـ ـتّاب لـ ـولا عوائِـ ـقُ الحِرمـ ـان[2]

فالـشاعر فـي أبياتـه راوح بأسـلوب نقـده بـين النبـرة الهادئـة المهادنـة الدالـة علـى الـولاء للـسلطان ، واللائمـة لـه علـى الأميـر المعـين ، وبـين ارتفـاع الـصوت بعاطفـة غاضـبة ثـائرةٍ تقـذف حممـاً ملتهبـة صـبها علـى مهجـوه فـسلبه فـضائله النفـسية ، فاتهمـه وأخـوة لـه بالجـشع ، واغتـصاب المـال العـام وسـوء المعاملـة للمعـوزين ، ومقـابلتهم بوجـوه كالحـة ، وقلـوب قاسـية تخلـو مـن الـشفقة والرحمـة علـى مـن وقفـوا ببابـه ، دفعـتهم الحاجـة لهذا الموقف المهين ، لكن حالهم معه كحال الحِملان مع الذئبان .

أما ابـن عنـين فرسـم لأميـر البيـرة[3] صـورة تثيـر الـسخرية والـضحك فحول الأمير وصـوره بحيـوان لـه قـرن يعقـر بـه مـن يقابلـه ، وهـو تـشبيه قـائم علـى القـسوة لقلـب لا يحمـل فـي داخلـه إلا شـراً ، والمهجـو لا يحمـل فضيلة حسنة ، فـلا يبـدو منـه عطـاء ولا وظيفـة لـه سـوى إصـدار الأوامـر، فهـو فـي قلعتـه كـصياد الـسمك يعلـق بـسنّارته مـن تعـس حظـه فيقول : " مجزوء الرجز "

لنَـا أمِيـرٌ قَرنُـه	**يـنْطَح فِـي الأفُـق القلَـك**
عطـاؤه وطَعنُـه	**مـا غيـر دق الحنَـك**
فَهـو الـذنابى[4] أبـداً	**فـي أيمـا جـيش سـلك**

- [1] - الكفاة :جمع كافٍ وهم الخدم الذين يقومون بالخدمة.ينظر:ابن منظور،**لسان العرب**، مادة(كفي).
- [2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** : 49/2 – 50.
- [3] - البيرة : بلد قرب سمياط بين حلب والثغور الرومية،وهي قلعـة حـصينة ولهـا رسـتاق واسـع . ينظر:ياقوت الحموي، **معجم البلدان** 526/1.
- [4] - الـذّنابى : الأتبـاع جمـع ذنـب وأذنـاب النـاس تبعـتهم وسـفلتهم دون الرؤسـاء . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (ذنب) .

كأنّــه فــي قلعــةِ الـــــ ـــــسِيرةِ صــــياد ســــمك[1]

ولـم يـسلم الـولاة مـن نقمـة الـشعراء وغـضبهم ، وإبـراز مـساوئهم والتـشهير بـسيرتهم ، وكـادت تلـك النقمـة أن تطـال مـن ولاهـم ذلـك المنصب، وهذا مـا عبـر عنـه ابـن النقـاش الرحبـي حـين صـور تبـرم النـاس وغـضبهم مـن والـي الرحبـة[2] الـذي عينـه أسـد الـدين شـيركوه إذ يقول : " السريع "

كَـم لَـك فـي الرحبـةِ مِـن لائـمٍ يـا أسـد الـدين ومِـن لاحِ
دمرتَهـا مِـن حيـثُ دبرتَهـا بِـرأيِ فَـلاحٍ ومـلاحِ[3]

وقد دعاه إلـى تخلـيص النـاس فـي الرحبـة مـن جـوره ، إلـى أن جعـل عمله غزواً في تنحيته يقول : " السريع "

يـا أسـد الـدين اغْتَـنِم أجرنـا وخَلِّـص الرحبـةَ مِـن يوسـفِ[4]
تَغْزو إلى الكُفـر، وتَغْـزو بِـه الـإسـلام ، مـا ذاك بهـذا يفـي[5]

أما مبـارز الـدين[6] والـي دمـشق فقـد عـرض بـه ابـن عنـين بـصورة فكاهيـة سـاخرة واتهمـه بالبخـل ، فقـد نـزل عنـده يومـاً ضـيفاً وقـضى ليلتـه

---

1 - **الديوان** : 203.

2 - الرحبة : قرية من قرى دمشق خَربت وهي قرية بينها وبين دمشق مسيرة يوم كما قال أبو أسماء الرحبي وهو منها . ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان** 33/3- 34.

3 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 246/2.

4 - يوسف بن الملاح : والي الرحبة على ما يبدو ، لم أعثر لـه علـى ترجمـة ممـا تـوافر لـدي من مصادر و مراجع .

5 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 246/2.

6 - مبارز الدين : هو المعتمد الوالي شـحنة دمـشق مبـارز الـدين إبـراهيم بـن موسـى . سـبق ترجمته.

عنـــده ولـــم يقْـــره بـــل جعلـــه ومـــن معـــه قـــرى للبراغيـــث

إذ يقول :   " المتقارب "

حـــدِيثَ المبـــارز مِنّـــي اســـألوا   أُنَبِّـــــــــــئُكُم بأحاديثِـــــــــــهِ

نَزلنَـــا عليـــه فَلَـــم يقْرِنَـــا   وبِتْنَـــــا قِـــــــرًى لِبراغيثِـــــهِ[1]

فـالأمير بخيـل ، وداره مرتـع للبراغيـث ، وفـي ذلـك إشـارة مـن الشاعر إلى قذارته .

❖ هجاء الوزراء :

يحتـل الـوزير مرتبـة مرموقـةً فـي جهـاز الدولـة الإداري ، غيـر أن بعـض الـوزراء اسـتغل منـصبه فـي تحقيـق مـصالحه الشخـصية ، مخالفـاً بذلك المهمـة التـي أوكلـت إليـه ، وانحـرف عـن الهـدف الـذي اسـتُوزر مـن أجلـه ممـا جعلـه عرضـة للـشعراء ، وموضـع نقـد لاذع ، فـصبوا سـياط ألـسنتهم علـى رؤوسـهم ملـصقين بهـم الفـساد الـذي استـشرى إلـى أجهـزة الحكـم ، وكـان الـوزير ابـن العجمـي[2] واحـداً مـن ضـحايا الـشاعر علـم الشاتاني الـذي وصـفه بالجهـل ، وعـدم الكفايـة ووضـعه فـي صـورة حيوانيـة بشعة حين شبهه بالتيس ، وفي ذلك يقول :   " السريع "

وزارةُ التـــيس أبـــي فالِـــحٍ   قَـــد عـــم أَهـــلَ الأرض منهـــا الفَـــساد

---

[1] - **الديوان** : 222.

[2] - ابن العجمي : سليمان بن عبد المجيد بن حسن بن عبـد ا بـن الـسن ، الأديـب البـارع ولـي الأوقاف بحلب وكان متأهلاً للوزارة تـوفي سـنة 650 هـ ـ بدمـشق. ينظـر:الكتبـي، **فـوات الوفيات** 2/ 66 – 67 .

عانَــد عِلمَــي جهلُــه مثلمــا هــد قُــوى الفــضل بقَــصدِ العِمــاد[1]

ولعلّ المدقق فـي شـعر الهجـاء خـلال هـذه الفتـرة يلمـح فـي هجـائهم لفئـة الـوزراء نظـرة ناقـدة لأحـوال المجتمـع تناولهـا فـي لهجـة سـاخرة ، فالـشاعر يـرى أن الـوزارة أصـبحت لا تنـال إلا بالتمويـه ، مـع أن صـاحبها غير جدير بهـا ، وهـا هـو ابـن دنينيـر يـسلك هـذا الاتجـاه فـي هجـاء أبـي يعلـى[2] الـوزير بحلـب ، إذ يـصفه بـاللؤم والجهـل والحمـق وضـيق الأخـلاق وخفة العقل فيقول : " الكامل "

ما إن سـمعتُ ولا رأيـتُ ولـن أرى لؤمــاً يماثِــلُ لُــؤم عبــدِ البــاقِي

هو جاهِـلٌ واهـي العزيمـةِ أحمـقٌ صـعب العريكـةِ ضـيقُ الأخْـلاق

فلـو ان رجليـهِ بخفـةِ رأسِـهِ لغَـدا يفُـوقُ نَـواظِر الأحـداق[3]

أما أبـو اسـحق الغـزي فـذهب إلـى أن الـوزير فـي عـصره لا سـلطة له ، ولا قرار بيـده ، يمـلأ فراغـاً فـي منـصبه لـيس إلا ، لأنـه لا يمثـل أكثـر مـن صـورة كاريكاتوريـة تثيـر الـتهكم والـسخرية يـدركها ويلمـسها مـن يشاهده لحظة إصدار القرار كما يبدو في قوله : " البسيط "

من آلةِ الدستِ[4] لم يعطَ الوزير سِوى تَحريــكِ لِحيتِــهِ فــي وقْــتِ إيمــاءِ

---

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 372/2.

[2] - أبي يعلى : شمس الدين عبد الباقي بـن أبـي يعلـى وزيـر الـسلطان الملـك الظـاهر ، كـان مستولياً على الأمور كلها في الأيام الظاهرية تولى الوزارة بعد وفـاة نظـام الـدين محمـد بـن الحسين ، سافر إلى دمشق وتوفي فيها . ينظر: ابـن العـديم ، **زبـدة الحلـب** 2 / 632 ،ابـن واصل ،**مفرج الكروب** : 3/ 251 .

[3] - **الديوان** : 516 ،وللاستزادة ينظر نفسه:594 ، 595 .

[4] - الدست : معرب دشت وهي الصحراء، والدست من الثيـاب. ينظـر: الخفـاجي ،شـفاء الغليـل فيما في كلام العرب من الدخيل 148 ، الفيروزابادي ، **القاموس المحيط** ، مادة (دست) .

إن الـوزير بـلا أزر يـشدّ بـه مثـلُ العـروض لـه بحـرٌ بـلا مـاءِ[1]

وأكثـر الـوزراءِ نـال سـخريةً مـن الـشعراء وزيـر الملـك الأفـضل " ابـن الجـزري "[2] ، فقـد كـان ذا سـيرة سـيئة " كـان ينتقـد الفاضـل والعمـاد وسائر الكتـاب ويـسخر بالنـاس ، ويتوقـف فـي قـضاء الحـوائج "[3] فوجـه إليـه فتيـان الـشاغوري نقـداً لاذعـاً ، وهجـاه بـسخرية مريـرة ، فلـيس إلا أن يـراه مقلوعاً من منصبه كما يقلع الجزر ، وفي ذلك يقول : " مجزوء الرجز "

متـى أرى وزيـركم ومـا لـه مـن وزر[4]
يقلعـه اُ فـذا أوان قلـع الجـزر[5]

ولـم يـسلم حجـاب الـوزراء مـن الهجـو ، فقـد شـكلوا حـاجزاً فـي منـع النـاس مـن الوصـول إلـى الـوزراء فقـد وصـف الـشاغوري دار الـوزير بالجنـة لكنهـا مـسيجة بحاجـب فـي شـدته وحمايتـه كعوسـجة[6] ، فيقول : " مجزوء الرجز "

دار الـوزير جنّـةٌ لكِنّهـا مـسيجه

---

1 - **الديوان** : 43.

2 - ابن الجزري : هو أبو الفتح نصر ا ضياء الدين بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير ، الجـزري ، الموصلي وسمي بالجزري نسبة إلى جزيرة ابن عمر بالموصل، وله مؤلفات عدة عمل في خدمـة صلاح الدين وولده نور الدين ، توفي سنة 637 هـ . ينظر:ابن خلكان، **وفيات الأعيان** 65/3، ابن قاضي شهبة ، **طبقات الشافعية** 80/2 – 81 ، ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** : 122/6 .

3 - ابن فضل ا العمري ، **مسالك الأبصار**: 2/8.

4 - وزر : ملجأ ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** مادة (وزر) .

5 - **الديوان** : 203.

6 - عوسـجة : اسـم حاجـب للـوزير وسـمي كـذلك تـشبيهاً لـه فـي شـدة أذاه بالعوسـجة ، والعوسجة : جمعهـا عواسـج شـجر مـن شـجر الـشوك ولـه ثمـر أحمـر مـدور كخـرز العقيق ، ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (عوسج).

سِـيـاجها إذا جِئـتَ الـ ــبواب فيهـا عوسـجه[1]

2. هجاء سياسة الحكام وإدارتهم الداخلية :

سلك الشعراء في نقدهم للحكام ، وإدارييهم ، ورؤساء الأقاليم في تلك الفترة الزمنية طريقين : أحدهما يقوم على التلميح ، والآخر يلجأ إلى التصريح ، سواء بذكر الواقعة نفسها أم بذكر صاحبها ونقده نقداً لاذعاً لا لبس فيه . وقد سلك فتيان الشاغوري في سخريته من رؤساء مصر الطريق الأول ، فأزرى بهم دون أن يسمهم ، وعرض بجورهم وظلمهم لرعيتهم ، معتمداً على الرمز ، فشبههم بفرعون ، رمز الظلم والطغيان والاستعلاء ، وسلبهم فضائلهم النفسية وألحق بهم الخبث ، واللؤم ، والنفاق ، وفي ذلك يقول : " الطويل "

لئِن كان وافى مِصر فِرعون وحده | مِن الشامِ فاستعلى وأظهر نَاموسا
فقد قَذَفَتْنَا مِصر منها بِواحِدٍ | يرى ألفَ فِرعون وليس لنا موسى
فَعِثْنُونُه[2] لِلؤْمِ والخُبثِ معدنٌ | فَصب عليه عاجلاً ربنا موسى[3]
حوى كِبر نَمرود بن كَنْعان[4] أنفُه | فليتَ بِه مِن نَقْمَةِ ا نَاموسا [5]

[1] - الديوان : 80.
[2] - العثنون : طرف اللحية ومقدمها ، ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**،مادة (عثن) .
[3] - موسى: الأولى النبي موسى عليه السلام ، وموسى الثانية : آلة الحلاقة المعروفة .
[4] - نمرود :اسم ملك معروف عاصر إبراهيم عليه السلام .ينظر:ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (نمرد).
[5] - الناموس في البيتين : الأولى : القوة ، أما الثانية فهي الحشرة المعروفة التي دخلت أنف النمرود فمات منها ، أما الناموس الثالثة : شرك ، أو قطعة اللحم التي يضعها الصياد للصيد أو قترة الصياد . ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نمس) ،الخفاجي، **شفاء الغليل** 294 .

تَطأطأَ حتى الطيلسان مرائياً فكانَ لِما يبغيهِ فخاً وناموسا[1]

فالشاعر ينتقد ظلم الرؤساء لمرؤوسيهم بأسلوب غير مباشر ، ويحذرهم من ظلمهم ، ويؤكد لهم أن ظلم الظالم لا يدوم مهما علا وتجبر ، وساق لهم مثلاً من التاريخ أن يأخذوا منه العبرة والعظة لما حدث للنمرود بن كنعان تخويفاً لهم .

وانتقد الشعراء الأوضاع السياسية ، في الشام عقب مقتل نور الدين زنكي سنة 541 هـ[2] ، وما آلت إليه أوضاعها الداخلية ، من الأمن والاستقرار ، إلى الخوف والاضطراب ، التي أعادوا أسبابها إلى سوء الإدارة الجديدة ، ومن الشعراء الذين عرضوا بتلك الأحداث ، وانتقدها ابن القلانسي ، الذي صور بأبياته ما تعرضت له مؤسسات الدولة العامة والخاصة إلى السلب والنهب المالي ، لضعف البلاد وتفككها ، وتفرق كلمة أمرائها ، وفي ذلك يقول : " الطويل "

وأضحتْ بيوتُ المالِ نَهبى لِغيرهِ يمزقُها أبناؤه ومظالمه

فلما تولّى فام كل مخالفٍ وشَامَ[3] حساماً لم يجد وهو شائمه

وأُطلِقَ من في أسرهِ وحبوسِه وفُكَّت عن الأقْدامِ منه أداهمه[4]

وعاد إلى أوطانِهِ بعد خوفِهِ وطابتْ له بعد السغوب[5] مطاعمه[6]

---

[1] - **الديوان** : 237.

[2] - ينظر : أبو شامة ، **كتاب الروضتين** : 188/1.

[3] - شام الحسام : شام السيف شيماً : سلّه . ينظر:ابن منظور،**لسان العرب**، مادة (شيم) .

[4] - أداهمه : مفرده أدهم ، ومعناه القيد لسواده ، وأصل الأداهم صفة فكسرت لغلبة الاسم عليها . ينظر:ابن منظور،**لسان العرب**، مادة (دهم) .

[5] - السغوب : الجوع ومنه السغبة وقيل : هي الجوع مع العطش . ينظر:ابن منظور،**لسان العرب**، مادة (سغب) .

[6] - ابن القلانسي ، **ذيل تاريخ دمشق** : 287 .

فالشاعر ينتقد أحوال البلاد وتغيرها من عهد كان يرتكز على العدل والحزم والجهاد ورد العدوان في ظل المغدور بأبيات سبقتها ، إلى وضع جديد سادته الفوضى وتسلّلت إليه " أيدي التركمان والحرامية في فساد الأطراف ، والعبث في سائر النواحي والأكناف "[1] لاختلاف آراء الأمراء وتباين مآربهم وأهدافهم .

أما في مصر فقد هجا الشعراء المتمكنين في حكمها ، ووصفوهم بأنهم غير جديرين بإدارتها ، فقد أساؤوا وجاروا ، ولم تر الرعية منهم إلا الأخلاق الشائنة ، والأفعال السيئة ، التي تقود البلاد إلى الانحلال ، والانهيار ، ويعرض فتيان الشاغوري بطريقة ساخرة موريًا بأحدهم دون أن يذكره ، فيجعل أخلاقه تشبه لفظ نهر (بردى) بحروفه ، أما خِلقته فجعلها ، تحاكي خلقة الثور ، فلا يغتر برأيه ، ولا ينخدع بمن يحيط به ، فهو كالدفْلى ظاهرها جميل زاهٍ ، وطعمها مر المذاق ، وفيه يقول : " مجزوء الوافر "

حكتْ ألفاظُه بردى	**وأشْبه خَلْقُه ثَورا**
كسر النقص وهو يزيد	**د في أفعاله جورا**
فلا تَعجب لدولته	**سيرجع كورها حورا[2]**

[1] - أبو شامة ، **كتاب الروضتين** : 1 / 188 .

[2] - الكور : الزيادة والحور : النقصان وقيل إن الرسول عليه السلام كان يتعوذ من الحور بعد الكور أي النقصان بعد الزيادة . ينظر :ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (كور) ومادة (حور)

وإن راقتْـــــــــك بزتـــــــــه فكالـــدفْلى[1] اكتَـــسى نُـــورا[2]

فالـشاعر يـدعو الحـاكم إلـى التوقـف عـن ظلـم الرعيـة ؛ لأن مـآل الظـالمين إلـى النقـصان عقـب الزيـادة ، ويبـدون للنـاس بحـسن المظهـر ، ولكنهم كالدفلى في سوء المخبر ، وهذا هو حال المتغطرسين الظالمين .

وأبـدى الـشعراء فـي نقـدهم الـسياسي ، لأوضـاع الـشام الداخليـة قلقـاً ، وامتعاضـاً ممـا يـدور حـولهم ؛ لـسيطرة بعـض العناصـر ، وتحكمهـم بحياة الناس ، وممن عبـر عـن الواقـع الـسياسي المتـردي فـي بـلاد الـشام فـي تلك الفترة ، الشاعر أبو المجد المعري ، في قوله : " الوافر "

زمـانٌ غـاض أهـلُ الفـضل فيـه فَـسقيا لِلْحِمـام بـهِ ورعيـا
أُسـارى بـين أتـراكٍ ورومٍ وفَقْـدِ أحبـةٍ ورفـاق شَـعيا[3]

فالشاعر يظهر شـكواه ممـا آلـت إليـه أوضـاع النـاس الـسياسية فقـل أهـل الإحـسان ، وأصـبح مـصيرهم بأيـد متـسلطةٍ ظالمـة لا تهـتم بـأمر رعيتهـا ، فغدا واقعهم مريـراً ، يتـأرجح بـين نـارين يكتـوون بهمـا ، ظلـم تُـركٍ وغَـدر روم متـسلطين ، أو نقـد وشـكوى ممـا يجـري ، والـثمن غـالٍ فَقْـد للأحبـة والرفقـاء كالمـصير الـذي ذهـب ضـحيته غـلام الـشاعر بفعـل تلـك الأوضاع .

---

[1] - الدفلى : شجر أخضر حسن المنظر يكون في الأدويـة وهـو مـن الـسموم . ينظـر ، **اللـسان** مادة (دفل)

[2] - **الديوان** : 202 .

[3] - العماد الأصفهاني : **الخريدة (قسم شـعراء الـشام)** : 11/2. و شـعياً : هـو غـلام للـشاعر أبي المجد . ينظر: العماد الأصفهاني،**الخريدة (قسم شعراء الشام)** 11/2 الحاشية .

ولعـل الخـوف والرهبـة مـن بطـش الحكـام ، وسياسـتهم الظالمـة ، دفعـت أسـامة بـن منقـذ ، إلـى التحـذير مـن الحكـام ، وعـدم المجازفـة إلـى الاقتراب مـنهم ، فالـسلامة تتـأتى مـن البعـد عـنهم ، لأنهـم لا يـؤمن جـانبهم ، وفي ذلك يقول : " الكامل "

إيـاك والـسلطان لا يـدنيك مـن أبوابـه متكـسبٌ ومعـاشُ

واعلـم بـأنهم علـى مـا كـان مـن أحـوالهم نـارٌ ونحـن فَـراشُ[1]

وينتقـد الـشعراء سياسـة بعـض حكـام الـشام ، بـسبب تقليـدهم أشخاصاً في مناصـب ليـسوا أهـلاً لهـا ، وخـروجهم عـن المعهـود فـي سياسـة الدولـة الإسـلامية ، التـي تعتمـد العـدل أساسـاً ، لمـن يتربـع علـى إدارات الدولـة الحـساسة ، ويـستهجن فتيـان الـشاغوري هـذه الـسياسة الـشائنة للحكام ، ويسخر متمنياً أن يراه مشنوقاً ، حيث يقول : "السريع "

بالعـدل تـزدان الملـوك ومـا شَـان[2] ابـن أيـوبٍ سِـوى العـدل

هـو دلـو دولتـه بـلا سـببٍ متـى يـرى ذا الـدلو فـي حبـل

صِفـرٌ خَـلا مـن كـل مكرمـةٍ مـع صيـته فـي النّـاس كالطبـل[3]

فالـشاعر يـصف مـن عـين بـلا أحقيـة بأنـه خـالٍ مـن المكـارم ، وأزرى بـسمعته بـين النّـاس ، فهـو كالطبـل شـكله جميـل لكنّـه خـال مـن المضمون .

---

1 - **الديوان** : 238.

2 - شان : الشّين خلاف الزين ، وشانه عابه، والشين العيـب، ينظـر:ان منظـور ، **لـسان العـرب**، مادة (شَين) .

3 - **الديوان** : 359.

وقد حملت بعض المقطوعات الشعرية بعداً سياسياً ، واجتماعياً في آن واحد ، وليس هناك ما يفصل السياسة عن المجتمع ، فقد قيل : " إن الاجتماع كل والسياسة فرع ، وما أكثر ما يتداخل الاثنان ، ويختلطان اختلاط الخمر بالماء "[1] وقد أظهر الشعراء من خلالها فساد أمور الحكم ؛ لتولي مناصبه عناصر قضائية لا تستحقه ، ويعبر ابن المهنا المعري ، على أن مثل هذه السياسة ، هي السبب في خراب الشام ، وتقويض أركان استقرارها ، حيث يقول : "السريع"

لا عجبٌ أن خَربَ الشام أَو أَقْوتَ مغانيه ولا غَرو...
قد أصبح المجد به حاكِماً وأصبح المنشى[2] لَه ضَوٌ...[3]
مولاي محيي الدين[4] غيرهما عنّا فتحوى شُكْرنا أَو...[5]

فالشاعر يصور حال الشام ، وما آل إليه أمرها من خراب في ظل حكامها ، وسوء سياستهم الإدارية ، كما أن الأبيات تحمل في مضمونها دعوة صريحة ، من الشاعر إلى الحكام نحو الإصلاح ، وتغيير عناصر الفساد ، ومنهم هذا القاضي الذي يمثل سياسة الحاكم الذي عينه ، فأطلق لنفسه العنان لتعيين الفاسدين على إدارة شؤون الناس.

---

1 - الأيوبي ، ياسين ، **آفاق الشعر في العصر المملوكي** : 251 .
2 - المجد والمنشى يبدو لي – كما في البيت الثاني - أن الأول حاكم والآخر مساعد له ،غير أني لم أهتد لترجمتهما .
3 - ضو : ضويت إلى فلان أي ملت . أي انضم إليه وسار في طريقه ، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (ضوي) .
4 - محيي الدين : هو محيي الدين ابن القاضي كمال الدين محمد الشهرزوري قاضي حلب ، ينظر: العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** : 329/2 .
5 - نفسه : 98/2 .

وانتقـل نقـد الـشعراء ؛ لأوضـاع الـشام ومـصر ، وسياسـة الحكـام فيهمـا ، مـن التلمـيح إلـى التـصريح ، فأخـذوا يـذكرون أحـداثاً بعينهـا ، ويعرضـون بشخـصيات سياسـية معروفـة ، ومـا بـدر منهـا مـن تـصرفات خاطئـة اتجـاه الرعيـة ، ويـشهرون بهـم مـن خـلال مواقـف أسـاءت لهـم ، ولكيـان الدولـة الإسـلامية ، ودلّـت علـى تـضييعهم للأمانـة ، وتلـك التـصرفات أثـارت غـضب الـشعراء ، إلـى درجـة اتهـامهم بالخيانـة ، ومـن تلـك الأحـداث ، مـا حـدث سـنة 594 هـ ، حـين قـصد الـصليبيون مدينـة بيـروت فـي جمـع كبيـر مـن جنـودهم[1] ، وكـان عـز الـدين أسـامة[2] عـاملاً عليهـا ، فحـين أحـس بخطـرهم تركهـا ، وولـى هاربـاً ، فأصـبح هـذا الأميـر رمزاً لكل خـائن يـذكره الـشعراء تهكمـاً بـه ، وسـخرية منـه ، كمـا قـال أحـد الشعراء المجهولين : " الخفيف "

سـلِمِ الحِصن مـا عليـك ملامـه ... مـا يـلام الـذي يـروم الـسلامه
فَعطـاء الحـصون مِـن غَيـر حـربٍ ... سـنةٌ سـنها ببيـروتَ سـامه[3]

فالـشاعر قـصد مـن هـذا التنـدر الـساخر ، أن يجعـل كـل مـن يـسمع بهما يجود بنفسه ، دفاعـاً عـن الـديار خـشيةً مـن ألـسنة الـشعراء ، ممـا يـدال على أثر الشعر الهجائي في الناس .

[1] - ينظر : ابن واصل ، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب** : 74/3.

[2] - عز الدين أسامة : من أمراء الدولة الأيوبيـة ، كـان بيـده قلعـة عجلـون وكوكـب ، اعتقلـه الملك المعظم ومات في المعتقل سنة 608 هـ وقيـل سـنة 609 هـ . ينظـر: ابـن تغـري بردي ، **النجوم الزاهرة** 6/ 205 – 206 ، الصفدي ، **الوافي بالوفيات** : 97/15 .

[3] - ابن واصل ، **مفرج الكروب** : 74/3.

وحـــين خـــرب الملـــك المعظـــم بيـــت المقـــدس وهـــدم ســـوره ســـنة 616 هـــ[1] ، معلـــلاً ســـبب فعلتـــه لمنـــع الفـــرنج مـــن الاســـتيلاء عليـــه ، ثارت ثـائرة النـاس علـى هـذا العمـل المـشين ، الـذي أدى إلـى ضـياع أهـل القــدس وتــشريدهم ، وتعــرض لــذمهم ، كمــا فــي هــذين البيتــين لــشاعر مجهول ، يقول فيهما : " مخلع البسيط "

فـــي رجـــبٍ حلـــلُ الحميـــا	**وأُخْـــرب القُـــدس فـــي المحـــرم**
واســـتَخْدم القـــبطَ والنـــصارى	**وبعـــــد ذا وزر المكــــــرم[2]**

فالـشاعر يعـرض بالملـك ويتهمـه بـالتواطؤ مـع القـبط والنـصارى ، ويظهر غضبه الشديد لما حل ببيت المقدس وأهله .

أمـا قاضـي الطـور ، مجـد الـدين محمـد عبـد ا الحنفـي ، فقـد ذم الملك المعظـم عيـسى ، ونعتـه بـاللئيم ورمـاه بالخـسة واتهمـه بـالكفر ، ودعـا عليـــه أن تُـــصاب يمينـــه بالـــشلل ، جـــزاء مـــا اقترفـــه ، حيـــث يقول : " الطويل "

مـررتُ علـى القـدس الـشّريفِ مـسلماً	**علـى مـا تَبقّـى مِـن ربـوعٍ كـأنْجمِ**
ففاضــتْ دمــوع العــين منــي صــبابةً	**علـى مـا مـضى مِـن عـصرِنَا المتَقَـدِمِ**
وقـــد رام عِلْـــجٌ أن يعفـــي رســـومه	**وشـــمر عـــن كفـــي لئـــيمٍ مـــذممِ**
فقلـــتُ لـــه شُـــلّتْ يمينُـــك خَلهـــا	**لمعتَبِـــــرٍ أو ســـــائلٍ أو مـــــسلمِ**

---

[1] - ينظر : أبو شامة ، **ذيل الروضتين** : 5/ 174 – 175 .

[2] - البيت الأول ، ينظر: ابن كثير ، **البداية والنهاية** :591/8 والبيتـان معـاً فـي شـذرات الـذهب لابن العماد الحنبلي 119/7 ، **والبيت الأول في نهاية الأرب للنويري** 94/29 .

فلــو كــان يفْــدى بــالنفُوس فَديتُــه بِنَفْــسِي وهــذا الظــن فــي كــل مــسلمِ[1]

فالـشاعر يعـرض بـه ، ويظهـر غـضبه مـن فعلتـه ، ومـا أظهـره الـشاعر وغيـره مـن النـاس ردةِ فعـلٍ طبيعيـة ، نظـراً لتلـك المكانـة العظيمـة لبيت المقدس فـي نفوسـهم ، لدرجـة أن تلـك الفعلـة أحـدثت " ضـجةً مثـل يـوم القيامة ، وإن كانـت الأبيـات الـشعرية التـي عبـرت عـن الحادثـة قليلـة "[2] لكـن الناس من ردة فعلهم لا يجدون للملك عذراً في فعلته .

وهنـاك حادثـة أخـرى وجـدت صـداها عنـد كثيـر مـن الـشعراء ، فـسلّوا ألـسنتهم وصـبوا جـام غـضبهم علـى مـن فعلهـا ، تلـك الحادثـة هـي تنازل الملـك الكامـل سـنة 616 هــ عـن بيـت المقـدس ، وتـسليمه للفـرنج[3] ، ومعظم المقطوعات الـشعرية التـي عبـرت عـن تلـك الحادثـة ، تـأتي فـي بـاب " البكـاء والتّحـسر والألـم "[4] . ومـن الأشـعار التـي عرضـت بأولئـك الحكـام ، الـذين تنـازلوا عـن بيـت المقـدس ونـددت بهـم ، ووصـمتهم بالعـار ، قـول شاعر مجهول :   " الخفيف "

إن يكُــن بالــشامِ قــل نــصيري وتَهــدمتُ ثــم دام هلُــوكي

فلقَــد أصــبح الغَــداةَ خرابــي سِــمةَ العــارِ فــي حيــاةِ الملُــوكِ[5]

---

[1] - أبو شامة المقدسـي ، **ذيـل الروضـتين** :175/5 ، ابـن العمـاد الحنبلـي ، **شـذرات الـذهب** 119/7 .

[2] - عبد المهدي ، عبد الجليل حسن ، **بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية** : 177.

[3] - ينظر: أبـو شـامة المقدسـي ، **ذيـل الروضـتين** : 233/5 – 234 ، المقريـزي ، **الـسلوك** : 321/1 ، الذهبي ، **تاريخ الإسلام من سنة 611-620** .

[4] - ينظر: عبد المهدي ، عبـد الجليـل حـسن ، **بيـت المقـدس فـي أدب الحـروب الـصليبية** : 240 – 246 .

[5] - الحنبلي ، أحمد بن إبراهيم ، **شفاء القلوب في مناقب بني أيوب** : 312 – 313.

فالشاعر يضع خراب بيت المقدس ، وتسليمه للفرنجة من جانب الحكام ، في إطار السمات الشائنة ، التي حولت هذا الموقف البشع - فيما بعد - إلى وصمة عار ، ولعنة تطارد الحكام في حياتهم ، ولم تعد مستساغة من قبل المسلمين لا طبعاً ولا عقلاً لبشاعتها .

3. هجاء المتقاعسين عن الجهاد :

اعتمد الشعراء في مصر والشام في تعريضهم ، ونقدهم السياسي لأولئك الحكام المتخاذلين عن واجبهم ، في صد الهجمات الصليبية على الشام خاصة ، على أسلوب المقابلة والمقارنة بين نموذجين من الحكام ، أحدهما : ناهض لا يتوانى عن أداء واجبه في صد المهاجمين ، وبين عاجز متخاذل انكفأ عن أداء واجبه خوفاً وجبناً، مؤثراً ملذاته وشهواته ، وحياة اللهو على أداء الواجب ، ويمكن أن تُلمح تلك الصورتان المتناقضتان – الناهضة والمتقاعسة لهذين النموذجين – في الشواهد الشعرية الخاصة بأشعار الجهاد ، ولا شك أن إجادة الشعراء ، وتمكنهم في إبراز محاسن الحاكم الناهض ، وإنجازاته هي التي تكشف مساوئ المتقاعس والمتخاذل ، وتزري بسياسته ، وتفضح أفعاله أمام الناس .

ويعد ذم الشعراء غير المباشر لهؤلاء المتقاعسين دون ذكرهم ، كما يقول أحد الدارسين أسلوباً حاذقاً من أساليب العربية ، ولعلّه أبلغ أثراً في نفس السامع من الذم المباشر [1] .

---

[1] - ينظر : أبو الخير ، محمود عبد ا ، **الشعر الشامي في مواجهة الصليبيين** : 433/1.

وكان الشاعر ابن منير الطرابلسي أبرز الشعراء الذين استخدموا هذا الأسلوب بأبيات يهنئ فيها عماد الدين زنكي ، بالعافية من مرضٍ ألم به ، ويعرض بأولئك المتقاعسين من الملوك ، فيقول : "الرجز "

ملوك أطرافٍ حمى أطْرافَها — عزمك هذا اللاحقُ السباقُ
لو لم تَرقْ ماء كرى العين لما — ساغَتْ بِأفواهِهم الأرياقُ[1]
شقَقْتَ مِن دونهم موج الردى — وشَق أكبادهم الشقاقُ
أقسم لو كلفتَهم أن يسمعوا — حديثَ أيامك ما أطاقوا
لما اشتكيتَ دب في أهوائهم — تجسٌ للسمع واستراقُ
تطاولوا ، لا عدِمتْ آمالُهم — قصراً ولا جانَبها الإخْفَاقُ
توهموها غَسقاً ثم انجلتْ — والصفْو من شرْبهم غساقُ[2]

فالشاعر في الأبيات السابقة ، يظهر مدى التّمايز بين عماد الدين زنكي ، وما يظهره من قوة وشجاعة اتجاه الفرنجة – وقد عبر عنها في أبيات سابقة لهذه الأبيات – وبين أولئك المتخاذلين المرجفين ، الذين أمضوا وقتهم في نزاعاتهم وخلافاتهم الشخصية ، ويشن عليهم هجوماً لاذعاً ، بما أظهروه من أطماع دنيئة ، وأمنيات حقيرة تتمثل في حبهم الضر له ، وتناسوا همته وجرأته التي وفرت لهم الحماية من الصليبيين .

---

[1] - الأرياق : جمع ريق ، وهو اللعاب . ينظر:ابن منظور ،**لسان العرب**، مادة (ريقَ) .

[2] - **الديوان** : 230-231 ، والغساق : ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (غَسقَ) .

ولابن منير الطرابلسي قصيدة في السياق نفسه ، تظهر المفارقة بين نموذجي الحاكم ، فبينما الأول انفرد في التصدي والدفاع ، ظهر الثاني منهزماً متوارياً ، ومنها هذان البيتان ، يقول فيهما : " البسيط "

أصبحتَ دون ملوكِ الأرض منفرداً   بلا شبيهٍ إذِ الأملاكُ أشباه

مشمراً وبنو الإسلامِ في شُغُلٍ   عن بدء غَرسٍ لهم أثمار عقباه[1]

فالشاعر ينعت المتخاذلين بالجبن والانهزامية حين احتدمت المعركة ، وهم انتهازيون فما أن ينجلي غبار المعركة يظهروا فجأة بعد اختفائهم ، فكانوا أول المستفيدين من ثمار هذا النصر .

أما ابن القيسراني ، فيذم أولئك المتخاذلين ، ويندد بهم بكلام قاسٍ يميل إلى التجريح ، ويشكك في تأخرهم ، إذ ليس الهدف منه سوى الحصول على مكاسب دنيوية وهمية ، ويمكن أن يلحظ ذلك من خلال المقارنة الشعرية بين الانتصارات العسكرية ، التي حققها نور الدين زنكي ، والخلال الحميدة التي كان يتحلى بها[2] ، وهي مقارنة عبر عنها الشاعر في قصيدة منها ، قوله : " البسيط "

يا ساهِدَ الطّرفِ والأجفانُ هاجعةٌ   وثابتَ القلبِ والأحشاء تَضطرِب

من كان يغزو بلاد الشركِ مكْتَسباً   مِن الملوكِ فنور الدين محتَسِب

هذا ، وهلْ كان في الإسلامِ مأثُرةٌ   إلا شَهِدتَ وعبادُ الهوى غُيَب[3]

---

[1] - **الديوان** : 226.

[2] - ينظر : السرطاوي ، محمود فايز إبراهيم ، **نور الدين زنكي في الأدب العربي (صفاته)** : 60- 74 .

[3] - محمد ، عادل جابر صالح ، **شعر ابن القيسراني** : 70 – 75 .

فالشاعر يغمز بأولئك المتخاذلين الذين لا مأثرةً حسنة لهم ، فهم عبيد أهوائهم ونزواتهم ولا يستجيبون إلا لدواعي الفسق والفجور .

ويعاود ابن منير الطرابلسي نعت المتقاعسين " بالثعالب " ، لأن هؤلاء المتخاذلين ، انزووا في قصورهم العاجية ، حين سمعوا زئير الأسد (نور الدين زنكي) وكأن الأمر لا يعنيهم ، فيقول : " الكامل "

خَنَس[1] الثعالب حين زمجر مصحرٌ ملأ البلاد هماهماً وزئيرا
تركوا مشاجرةَ الرماح لحاذقٍ جعلتْ مخافتُه القُصور قُبورا[2]

فالشاعر يشبههم بالثعالب في جبنهم ، فحين احتدمت المعركة ، اختفوا في قصورهم هرباً من بطشه وقوة بأسه .

وفي سياق وصف المتخاذلين من الحكام ، توالت النعوت السيئة لهم من قبل الشعراء ، وكان أكثر الشعراء تعريضاً بالمتقاعسين عن الجهاد أسامة بن منقذ الذي رسم لهم صورة مزرية ، لا تليق بهم كحكام فقد فرغوا أنفسهم ، وجعلوا أوقاتهم محصورة على سماع الأغاني ، ومعاقرة الخمور ، ومجالسة الجواري الحسان ، بينما نقيضهم نور الدين صرف جل وقته في مقارعة الصليبيين ، والنيل منهم وفي ذلك يقول : " الطويل "

جعلنا الجهاد همنا واشتِغَالَنَا ولم يلْهنا عنْه السماع ولا الخَمر
دماء العِدا أشْهى مِن الراح[3] عندنَا ووقع المواضي فيهم الناي والوتْر

---

1 - خنس : تأخر . ينظر:ابن منظور ، **لسان العرب**، مادة (خَنَسَ) .
2 - **الديوان** : 241.
3 - الراح : هي الخمر اسم لها . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (روح) .

وثير[1] حشايانا السروج وقمصنا الدروع، ومنصوب الخيام لنا قصر
وهم الملوك البيض والسمر كالدمى[2] وهمتنا البيض الصوارم والسمر[3]

فالشاعر يقارن بين مناقبهم ، ومناقب نور الدين زنكي ، وهي مقارنة تُظهر التباين الكبير بين العاملين الجادين وبين المتقاعسين المتخاذلين ، الذين مالوا إلى الراحة ، وفضلوها على المواجهة ، وأداء الواجب ، والجري وراء الغواني البيض والسمر ، يقابلهم هم نور الدين في إعداد السيوف الحادة ، والرماح الطاعنة ، وشتان ما بين تلك الصورتين المتناقضتين ، إحداهما لحاكم عامل جاد ، والأخرى إلى خسيس متخاذل .

وكثُر هجو المتقاعسين عن الجهاد زمن صلاح الدين ، فقد عمد الشّعراء إلى فضح نواياهم الخبيثة ، وأطماعهم الشخصية ، ونددوا بادعاءاتهم الكاذبة ، وجهودهم الحثيثة لعرقلة جهود صلاح الدين مع الصليبيين ، وكان " سعادة الحِمصِي الضرير " أبرز الشعراء الذين تَصدوا لهؤلاء المتخاذلين ،و نعتهم بالذئاب ، ويقول فيها : " البسيط "

لا يقعدنك ما حالوا وما عقَدوا هم الذئاب وأَنْتَ الضيغم الأسد
كم يخطِفُون بروقاً ما بها مطَر ويقصِفُون رعوداً ما بها بَرد

---

1 - وثير : الفراش الوطيء . ينظر: ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (وثَر) .

2 - الدمى : جمع دمية وهي الصورة المنقّشة من الرخام والتمثال . ينظر:ابن منظور،**لسان العرب**، مادة (دمي) .

3 - **الديوان** : 201 – 203. والبيض والسمر في الشطر الأول : الغواني ، أما البيض والسمر في البيت الثاني فهي السيوف الحادة والرماح .

والقـوم قـد قعـدوا عمـا نَهـضتَ بِـهِ   مِـن الـسدادِ فـلا قـاموا ولا قعـدوا
فـــلا ثِيــــاب المعــــالي فَــــوقَهم جــــددٌ   ولا طريــقُ الأمــاني نحــوهم جــدد[1]
إيــاك تَغفَــلُ عــنْهم مِثْــل مــا غفِلــوا   إياك ترقُــد عــنهم مِثْــلَ مــا رقَــدوا[2]

فالـشاعر هجـا المتقاعـسين معتمـداً فـي ذلـك علـى أسـلوب المفارقـة ، فـشبههم بالـذئاب وشـبه نقيـضهم بالأسـد ، وشـتان مـا بـين النقيـضين ، وهـم كـسالى لا طمـوح لـديهم نحـو المعـالي ، غفلـوا فتقاعـسوا عـن دورهـم ، ولا يـسمع لهـم سـوى أصـوات تُرعـد بـلا مطـر ، فهـم ممـن ينطبـق عليهم مثَـلُ العربـي " أسـمع جعجعـةً ، ولا أرى طحنـا "[3]، وكـل مـا يملكونه أماني لا يعملون شيئاً لتحقيقها .

ولا يكـاد فتيـان الـشاغوري يخـرج فـي ذمـه للمتقاعـسين ، عـن المعاني التي عبـر عنهـا الـشعراء الـسابقون ، حـين يقـارن بـين صـلاح الـدين الأيـوبي الـذي تميـز بالعفـة ، وأشـغل وقتـه فـي مقارعـة الـصليبيين ، وبـين ملـوك أمـضوا أوقـاتهم فـي رشـف ثغـور الحـسان مـن الجـواري ، وأهـدروا حيـاتهم فـي اللهـو وتـشييد القـصور ، وبنـاء الخيـام ، فيمـا انـصرف هـم نقيـضهم فـي هـدم ثغـور الفـرنج ، وتقـويض ملكهـم ، وفـي ذلـك يقول :   " الطويل "

أبـى لـك لَـثْم الـسمر إعمالَـك الـسمرا   ورشْفُ ثغور البيض أن تملِـك الثغْـرا
وضم الحصان البكْـر ركْـضك فـي الـوغى   حِـصاناً عليـهِ تَفتِـك القَتْكـةَ البِكْـرا

---

[1] - جد : الجدد : الأرض المستوية. ينظر: ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (جدد) .
[2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** : 412/1 .
[3] - الميداني ، **مجمع الأمثال** 491/1 ، القالي ، **الأمالي** 431/1 .

وحبك تطنيب الخيام مقوضاً   خيام العدا بالقسر أن تألف القصرا[1]

وفي إطار التعريض بالمتخاذلين زمن نور الدين ، قارن ابن منير الطرابلسي بين حياة هؤلاء المتقاعسين ، وبين حياته ، فنعتهم بأنهم ملوك فسق ، يتلذذون بسماع مقارعة كؤوس الخمر ، ولا يشفي غلة قلوبهم إلا شربها ، ولا يطفئ ظمأهم إلا رؤيتها ، بينما نقيضهم تطربه قعقعة السيوف المدمية ، ويروي ظمأه رؤية الغبار ، يعلو سماء المعركة ، وشتان ما بين الحاكمين فهم غير مؤتمنين ، ولا يرجى منهم خيراً ، وفي ذلك يقول :   " الوافر "

وخير سماعه ضربٌ مدامٌ   إذا طرب الملوك إلى المدام

تطير به إلى العلياء نفسٌ   غروبٌ عن ملاعمة الملامِ

سقى ا ُ العوامل من جبالٍ   سقين النقع عن نقع الأدامِ[2]

فالأبيات تظهر تمايزاً واضحاً بين من يحمل هم رعيته ، والدفاع عن أرضه وهذا شغله الشاغل ، وبين من لا هم له سوى ملذاته وشهواته ، فماذا تنتظر الرعية من هؤلاء المتقاعسين ؟ .

أما ابن جبير فيرسم لنا في أبياته صورة ، تظهر التمايز بين صلاح الدين الأيوبي في عيشه ، وبين أولئك المتخاذلين من الملوك الذين يحيون حياة هانئة ، منعمين بكل ما تشتهيه النفس من طيب الفراش ، ورغد المعاش ، في فترة كان المسلمون فيها ، بأمس الحاجة للتقشف ،

---

[1] - **الديوان** : 151 .

[2] - **الديوان** : 277.

لتحريـــر الـــبلاد والعبـــاد ، وفـــي هـــاتين الـــصورتين المتناقـــضتين ، يقول : " المتقارب "

تَبيــــتُ الملُــــوكُ علــــى فُرشِــــهم   وتَرفُــــلُ فــــي الــــزرد[1] الــــسابِري[2]

وتــــؤْثِر جاهِــــد عــــيش الجِهــــادِ   علــــى طِيــــبِ عيــــشِهم الناضــــر

وتَــــسهر ليلُــــك فــــي حــــق مــــن   سيرضــــيك فــــي جفْنِــــك الــــساهِرِ[3]

فحيـاتهم يتخللهـا دعـةٌ ، وعـيشٌ نـضر ، فكيـف لمثـل هـؤلاء الـذين تعودوا علـى رغـادة العـيش ، أن يقـاوموا المحتلـين ؟ فلـيس لهـا إلا مـن حمـل هم البلاد والعباد .

ووصـل الـشعراء فـي ذمهـم للمتقاعـسين عـن الجهـاد إلـى إنكـار وجـودهم ، واعتبـار مراكـزهم شـاغرة ، فمـن يـدير شـؤون الـبلاد لا رأي له ، فهم بين حـاكم بعقـل خـصي ، وآخـر بعقـل صـبي ، وتلـك الـصفات لـيس فيهـا مـن الرجولـة شـيئاً ، فالقيـادة تحتـاج إلـى رجـل فطـن ، قـادر علـى إصلاح الفساد ، وهـي تتـوافر فـي قائـد كـصلاح الـدين الأيـوبي ، وقـد صـور ابـن سـناء الملـك هـؤلاء الحكـام المنغمـسين فـي غـيهم ، وضـلالهم ، حيـث يقول : " البسيط "

وأَصــبحوا مِنْــه فــي هــم وصــبحهم   وهم سـكارى بِكَـأْس اللهـو والطـربِ

تفرغــوا لِنَعــيم العــيش واشــتَغَلوا   عــن الثغــور بِلَــثْم الثغْــر والــشنَبِ

---

[1] - الزرد : الدرع المزرودة . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (زرد) .

[2] - السابري : فارسية تعني: الرقاق مـن الثيـاب .ينظـر : ضـنّاوي، سـعدي ، **المعجـم المفـصل** 256 .

[3] - أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** : 241/3 .

أرض الجزيـرةِ لـم تَظْفَـر ممالكُهـا	**بِمالِـكٍ فَطِـنٍ أو سـائِسٍ دربِ**
ممالِـكٌ لـم يـدبرها مـدبرها	**إلا بـرأي خَـصِيٍ أو بِعقْـل صـبي**
حتـى أتاهـا صـلاح الـدين فانـصلَحتْ	**مِن الفَسادِ كما صحتْ مـن الوصـبِ[1]**
وقـد حواهـا وأعطـى بعـضها هبـةً	**فهـو الّـذي يَهـب الـدنيا ولا يهـبِ[2]**

فالشاعر يصور أولئك الحكام المتقاعسين المشغولين بالبحث عن ملذاتهم ، وقد تناسوا ما كان يجب عليهم القيام به ، في تلك الأوقات العصيبة ، معتمداً على أسلوب المقارنة بينهم ، وبين صلاح الدين ، وظهر ذلك التمايز من خلال التضاد ، بين كلمة " الثغور " التي تعني الحدود ، وتوحي بضرورة الدفاع عنها ، وبذل النفس في سبيلها ، وبين كلمة " الثغر " التي تحمل دلالات عاطفية ، وجنسية ، وشتان ما بين " ثغور صلاح الدين ، وثَغْر بعض الحكام المتخاذلين ، ولعل ذكر الشاعر لكلمة " عقل خصي " أراد منه الإزراء بهم وإظهار عجزهم ، أما قوله " عقل صبي " فهي تحمل حقيقة تاريخية ، تشير، كما يقول أحد الدارسين " إلى الملك الطفل الصالح إسماعيل بن نور الدين ، الذي لم يبلغ إحدى عشرة سنة عندما اعتلى عرش الإمارة بعد وفاة والده نور الدين محمود ، فكفله أمراء الدولة النورية ، الذين ساسوا البلاد سياسات خاطئة "[3] ويبدو أن مثل تلك السياسات ، دفعت الحكام المتخاذلين ، إلى الصلح مع الفرنجة ومهادنتهم .

1 - الوصب : التعب والمرض . ينظر: ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (وصب) .

2 - **الديوان** : 3/2.

3 - موسى ، إبراهيم نمر ، **شعر الحرب في العصر الأيوبي** : 63 .

أما ابن الساعاتي ، فقد جرد المتقاعسين من الحكام زمن صلاح الدين الأيوبي من فضائلهم النفسية ، فاتهمهم بالكذب ، والنّفاق ، وفضح خباياهم دون أن يصرح بأحدهم ، وإنما دلّل عليهم من خلال أسلوب المقارنة المتبع في هجاء المتقاعسين ، وذهب في هجوه إلى تنبيه الناس بالقول : إن رفعهم لراية الجهاد ، لا ينم عن حقيقة دخائلهم فما رفعهم لها إلا رياء للرعية ، ورغبة في خطف الأضواء أملاً في إطفاء نجم نقيضهم – صلاح الدين – الذي حجب نورهم ،وحارب نصرةً للدين ،وغيره حارب لأجل الدنيا ، وفي ذلك يقول : " الوافر "

يقاتِلُ كُلُّ ذي مُلْكٍ رياءً وأنتَ تُقاتِلُ الأعداءَ دِينَا

قَضيتَ فَريضةَ الإسلامِ مِنْها وصدقتَ الأماني والظّنُونا[1]

فالتمايز بين الطرفين جلي واضح ، فَشتان ما بين من يجاهد لأداء فريضة ا ، وبين مراءٍ رفعها لغرض الشّهرة ، والسمعة ، ونيل مكاسب دنيوية زائلة .

ولعل تلك النماذج الشعرية السابقة ، تعطي صورة واضحة لموقف الشعراء في ظل الدولتين الزنكية والأيوبية ، من الحكام والأمراء المتقاعسين عن مواجهة الصليبيين ، ملمحين إليهم من خلال مقارنتهم مع نقيضهم ، غير أن تلك النماذج المطروحة ، لم تكن مستقلة بذاتها ، وإنما جاءت في سياق شعر المواجهة ، تَمكن الشّعراء من إظهار تلك الصورة السلبية لأولئك الحكام ،بعد تمكنهم من إبراز صفات وإنجازات نقيضهم ،

---

[1] - **الديوان** : 406/2 .

لكن يظل الفضل لأولئك الشعراء في إثارة الناس ، على أولئك الحكام المتخاذلين ، وفضح سياساتهم المشينة .

وهذا أسامة بن منقذ يتحدث في المعنى نفسه ، حين يمايز بين عمل صلاح الدين في الجهاد ، وبين الحكام المتخاذلين ، فيقول : " الكامل "

يا ناصر الإسلامِ حين تَخَاذَلَتْ عنْه الملوك ومظهر الإيمان

لما رأيتَ الناس قد أغْواهم الشْـشَيطان بالإلحادِ والعصيان

جردتَ سيفَك في العِدا ، لا رغْبةً في الملْكِ بلْ في طاعةِ الرحمن[1]

4. هجاء أمراء النزعات الانفصالية :

وقف بعض أمراء الشام – وخاصة حكام دمشق – مواقف خيانية ذات نزعات انفصالية ، وباتت تلك المواقف تشكل عقبة كأداء في وجه سياسة نور الدين زنكي ، ونزعته الوحدوية لتلك الإمارات ، وقد سعى أولئك الأمراء من منطلق مصالحهم الشخصية ، وأهدافهم الرخيصة إلى منع تلك الوحدة ، ولتحقيق غايتهم ، اتصلوا بالصليبيين ، وعقدوا معهم المعاهدات " يدفعهم إلى ذلك رغبة جامحة في الحكم ، والاحتفاظ بها مهما كان الثمن المدفوع في سبيل ذلك "[2] وسرعت تلك المواقف نور الدين إلى حصار دمشق أكثر من مرة ، وضمها إليه " وبالتالي توحيد

---

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** : 531/1 .

[2] - الهرفي ، محمد علي ، **شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام** : 175 .

الإمارات الـشامية فـي ظـل دولـة زنكيـة موحـدة ، تقـف متماسـكة فـي وجـه الصليبيين "[1] .

وضـرب نـور الـدين زنكـي سـنة 546 هـ ـ حـصاراً محكمـاً علـى دمـشق " لمعاضـدة أهلهـا الفـرنج ، واستنـصارهم بهـم "[2] ، وقـد أثـار هـذا الموقـف غـضب الـشعراء وحـرك مـشاعرهم الغاضـبة ، اتجـاه تلـك الأفعـال الـشائنة ، فراحـوا يعبـرون عـن اسـتهجانهم لهـم ، وينعتـونهم بأبـشع الـصفات ، ويتهمـونهم لـيس بتقـويض الوحـدة فحـسب ، بـل بالخيانـة للمـسلمين ، ومـن أبـرز هـؤلاء " مجيـر الـدين أبـق "[3] الـذي تحـالف مـع الفـرنج ، ووقّـع معهـم معاهـدة صـلح ، وقـد تـصدى لـه ابـن منيـر الطرابلـسي ، ونعتـه بـأقبح النعـوت ، التـي تحـطّ مـن قـدره ، فيـصفه بأنـه مبيـر للـدين ، ومـارق وكـافر ، ويـذهب فـي تهكمـه ، وسـخريته منـه إلـى وصـفه بـالأدرد ، ويخرجـه مـن الإسـلام ، ويجعلـه تـارة مـع النـصارى ، وتـارة أخـرى مـع اليهـود ، ويـشَهر بأعمالـه المـشينة ، فهـو محـارب للمـسلمين ومـوالٍ للـصليبيين ، ومجـرم ظـالم لرعيتـه ، وفيـه يقول : " الطويل "

وقُـلْ لِمبيـر الـدين وهـو مجيـره يـزعمُ لـه وجـه الحقيقـةِ أَزبـد

- [1] - إبراهيم ، محمود ، **صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني** : 118 .
- [2] - أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** : 254/1 .
- [3] - مجير الدين : هو مجير الدين أبق بن محمد بن بوري بن طغتكين ، ولي دمشق بعد أبيه وأخذ هامته نور الدين سنة 549 هـ أو 565 هـ . ينظر:ابن العماد الحنبلي ، **شذرات الذهب** 351/6،ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** : 381/5،وقيل بقي إلى سنة 572 هـ ينظر : ابن يعلـى ، **ذيـل تـاريخ دمشق** : 328 الحاشية .

حملْـــتَ الـــصليب باغِيـــاً ونَبذْتَـــه ونَغْـــرك مطْـــووس النَّبـــاتِ وأدرد[1]

وحاربـــتَ حِـــزب ا ِ ، وا ُ ناصـــرٌ لناصـــرِهِ ، وديـــن أحمـــد أحمـــد[2]

تنـــصرتَ حينـــاً ، والـــبلاء موكـــلٌ ولا بـــد مـــن يـــومٍ بـــهِ تتَهـــود[3]

ويحـــط الـــشاعر مـــن قـــدر مجيـــر الـــدين ، ويـــصفه بأنـــه ُألعوبـــة ، وأحمـق وإمعانـاً فـي تحقيـره ، جعلـه أنثـى ، فنفـى عنـه صـفة الرجولـة ، ورمـــاه بـــالعجز بحيـــث لا يـــستطيع أن يـــأتي بأعمـــالٍ جليلـــة ذات قيمة .

" الطويل "

رمـــاك ببـــاقلاً دِمـــشقَ ، فلـــم تكُـــن سوى بقْلَـةَ حمقـاء بـالحمق تحـصد

وجالَـــدتَ جـــلاَّداً ، وأنْـــتَ مؤَنَّـــثُ تَـــذكَّرتَ ، والجـــلاد أدهـــى وأجلَـــد

تطاولْـــتَ لا نفـــسٌ تُـــسمى ولا أبٌ وراءك زحفَـــاً ، إنمـــا أنْـــتَ مقْعـــد

وزاد الـــشاعر فـــي امتهـــان كرامتـــه ، فألـــصق بـــه صـــفة الكفـــر ، ولا غرابة في ذلك كمـا يقـول ؛ لأنـه مـن بيـت حاضـنٍ للكفـر ، فأمـه نـصرانية ، وأبـوه وعمـه مجوسـيان ، فهـي سـلالة عـشَّش الكفـر فـي ديـارهم ، ويـضيف الـشاعر قولـه : إن سـوء أحوالـه سـببتها تلـك البطانـة الـسيئة المنحرفـة التـي استعان بها في أموره ، لـذا لـم يكـن مـصير تلـك الحاشـية ، أقـل نقـداً وزرايـة منه فعرض به ، وبوزيره ابن الصوفي ، وفي ذلك يقول : " الطويل "

تنـــصرتَ ُأمـــاً ، بـــل تمجـــستَ والـــداً وعمـــاً ، فَعِـــرقُ الكُفْـــر فيـــك مـــردد

---

[1] - الأدرد : الرجل الذي ليس في فمه سن ، بين الدرد . ينظر:ابـن منظـور، **لـسان العـرب**، مـادة (درد).

[2] - أحمد الأولى : هو محمد عليه السلام وأحمد الثانية : أشكر وأثني .

[3] - **الديوان** : 251 – 252.

تَخــذْتَ بنــي الــصوفي[1]أســراً[2] وأُســرةً　　لِكَي يصلِحوا مــا فــي يــديك فَأفْــسدوا
لعمــري لـــنِعم العبـــد أنـــتَ ، تُجيعـــه　　لِـــوالٍ وتُولِيـــهِ هوانـــاً فَيحمـــد[3]

وقـال مـن شـأنه مقارنـة بنـور الـدين ، فخـرج بنتيجـة مؤداهـا أن الفارق بينهما كبير :　　" الطويل "

أمسعاةَ نـور الـدين تبغِـي ودونَهـا الـ　　أســنةُ بثْــرٌ والعواهِــلُ تُعــضد
وهـــلْ يـــستوي ســـارٍ تأســـد طاويـــاً　　ونَـــشوان يعلـــى معـــصماً ويؤيـــد[4]

وفـي سـياق ذم الـشعراء لأمـراء الـشام الـذين سـعوا لعرقلـة جهـود نور الدين ، وأعلنـوا العـداوة علـى بنـي جلـدتهم ، بـل تعـدت عـداوتهم وأذاهـم الـصليبيين ، شـن ابـن منيـر الطرابلـسي هجومـاً علـى أولئـك الأمـراء الـذين عرقلـوا جهـوده ، ووصـفهم بـأنهم منـافقون ، ومـن دعـاة الفـتن فـلا عهـد لهم ، وذهـب إلـى حـد إلـصاقهم بتهمـة الـردة عـن الإسـلام ، فـراح يحـرض نـور الـدين علـى قتـالهم ، واستئـصال جـذورهم ، وكـسر شـوكتهم وتفريـق شملهم ، حيث يقول :　　" الكامل "

صـــفر بحـــد الـــسيفِ دار أشَـــائِبٍ[5]　　عقلــوا جيــادك عــن بنَــاتِ الأصــفر
هـــم شـــيدوا صـــرح النفَـــاق وأوقَـــدوا　　ناراً تُحش[6] بِهـم غَـداً فـي المحـشَرِ

---

[1] - بني الصوفي : من الأسر التي كان له دور فـي واقـع دمـشق الـسياسي ومـنهم الـوزير مؤيـد الدين بن المسبب بن علي . ينظر: أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** : 227/1 .
[2] - أسراً : الأسر : القوة . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (أسر) .
[3] - **الديوان** : 252 .
[4] - **الديوان** : 252 .
[5] - أشائب : أخلاط الناس والشوب :الخلط . ينظر: ابن منظور، **لسان العرب** ،مادة (شوب) .
[6] - تحشّ : تُوقد ينظر:ابن منظور،**لسان العرب** ، مادة (حشَشَ) .

أذكَـوا بِجلّـقَ حربهـا واستَـشْعرت	لفحاتُهـا بـين الـصفا و المـشْعر
شـردِبهم[1] مـن خَلْفَهـم مـستَنْجِداً	مـا ظـاهر الكُفـار مـن لـم يكْفُـر
لا تَعفُ ، بل شَـق الهـدى نَفـس الّـذي اد	درع الـضلالَ علـى أغَـر مـشَهر
قَلـده مـا أهـدى علـي لِمرحـبٍ[2]	فَلقَـد تَهكـم فـي الخِـداع الخيبـري
مـا الغِـش ممـن أمـه نَـصرانَةٌ	لـم تَخْتَـتِن كـالغِش مـن متَنَـصر[3]

فالـشاعر يـضخم مـن خطـرهم ، لحـث نـور الـدين علـى قتـالهم ، ويذكّره بأن خطـرهم أشـد مـن النـصارى ، فالعـدو ظـاهر معـروف ، أمـا هـم فمنـافقون يعملـون فـي الخفـاء ، لـذا فـإن عقـاب أمـراء دمـشق ، وحكامهـا يجب أن يكون أقوى وأشد قسوة .

ومـن أمـراء الـشام الـذين تعرضـوا لنقـد الـشعراء ، بـسبب سياسـتهم أمير دمـشق " معـين الـدين أُنـر "[4] ، فقـد جعـل أسـامة بـن منقـذ يعـرض بـه ويقَرعه ، إذ لم يكتـف بالتقـاعس عـن حمايـة ملكـه ، بـل عمـد إلـى الاتـصال بالصليبيين ، ومـسالمتهم ؛ ليحـول بـين نـور الـدين وبـين طموحـه فـي تحقيـق الوحـدة الـشامية ، فأخـذ الـشاعر يـذم سياسـته الجـائرة ، ويحقـره ، ويعلـن اسـتهجانه فعلتـه الـشائنة ، لاسـتعانته بالـصليبيين ، والاسـتقواء بهـم علـى بنـي

---

1 - في الديوان : شردتهم ، وهذا تصحيف ، إذ أنني أرى شردبهم أقرب مـن شـرد تهـم مـن حيـث المعنى ، لأن شردبهم اقتباس من قوله تعالى (فإما تثقفنهم فـي الحـرب فـشردبهم مـن خلفهـم لعلهم يذكرون) : الأنفال 57 .

2 - مرحب : هو اليهودي الذي قتله علي بن أبي طالب في خيبر سـنة 7 هـ ، وقيـل إن الـذي قتلـه محمد بن مسلمة . ينظر:ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ** : 218/2 – 219 .

3 - **الديوان** : 249 – 250.

4 - معين الدين أُنر: هو معين الدين أنر الطغتكي وهو مقـدم جـيش دمـشق ، ومـدير الدولـة كـان عاملاً سائساً ، حسن الديانة توفي سـنة 543 هـ . ينظـر:ابـن العمـاد الحنبلـي ، **شـذرات الذهب** 138/4 .

جلدته ، وعد تصرفه منكراً ينبغي على فاعله أن يخجل من نفسه ، إن كان في وجهه بقية من ذرة حياء ، وفي ذلك يقول :   " البسيط "

أسلمتَنَا وسيوفُ الهنْدِ مغمدةٌ   ولم يروِ سِنَانَ السمهري دم[1]

وكنْتُ أحسب من والاك في حرمٍ   لا يعتَريهِ به شَيبٌ ولا هرم

هبنَا جنَينَا ذُنُوباً لا يكفّرها   عذْرٌ فما اذا جنَى الأطفالُ والحرم

ألْقيتَهم في رضى الإفرنج متبعاً   رضى عِداً يسخِطُ الرحمن فِعلُهم

هلا أَنِفْتَ حياءً أو محافظةً   مِن فِعل ما أنكرته العرب والعجم[2]

فالشاعر أزرى بمهجوه ، وعراه من الحياء ، أخص فضائل المرء النفسية ، لِشَين فعلته لما أسلم مدينته إلى الفرنج ؛ سعياً لإرضائهم ، وينكر الشّاعر عليه إرضاءه لأهل الكفر والعدوان ، غير مبالٍ بسخط وغضب الرحمن .

وواصل الشّاعر ذمه للانفصاليين ، ومنهم بعض الأسر في دمشق كبني صوفي[3] وكشف أسامة بن منقذ خطرهم على سياسة الحكام ، وحذّر من سوء سريرتهم ، فهم أعداء وأشرار ، ينبغي ألا يتّخَذَ منهم الأعوان والمساعدون ؛ لأنهم بطانةٌ فاسدة ، وفيهم يقول :   " البسيط "

هم الأعادي ، وقاك الله شَرهم   وهم بزعمِهم الأعوان والخَدم

إذا نَهضتَ إلى مجدٍ تُؤثّلُه[4]   تقاعدوا ، فإذا شيدتَه هدموا

---

[1] - السمهري : الرمح الصلب القوي .ينظر :ابن منظور ، **لسان العرب** ،مادة(سمهر).

[2] - **الديوان** : 147 .

[3] - بنو صوفي : سبقت ترجمتهم .

[4] - تؤثله : أثله يعني أصله. ينظر: ابن منظور،**لسان العرب** ، مادة (أثل) .

وإن عرتْـــك مـــن الأيـــامِ نائِبـــةٌ   فكُلهـــم للـــذي يبكِيـــك مبتَـــسِم[1]

فالـشّاعر ينعـتهم بـأنهم متقاعـسون عـن أداء الواجـب ، وعوامـل هـدم وتخريـب يظهـرون خـلاف مـا يبطنـون ، يبنـون سـعادتهم علـى مـصائب الناس بل ويتمنّونَها لهم .

وقـد تـابع الـشعراء دورهـم فـي نقـد أمـراء الـشام ذوي التوجهـات الانفصالية ، بعـد استـشهاد نـور الـدين زنكـي ، وشـجعوا صـلاح الـدين علـى مواصـلة الجهـود الوحدويـة بـين مـصر والـشام ، لكـن الهجـائين سـلكوا فـي هجـوهم للأمـراء اتجاهـاً تعميميـاً ، فلـم يتنـاولوا شخـصاً بعينـه ، بـل طـال – ربما – أهـل الإمـارة جميعهـا ، وكـان لموقـف أهـل حلـب المنـاوئ لجهـود صـلاح الـدين الوحدويـة ، صـدى واضـحاً فـي سـير شـعر الهجـاء الـسياسي في هذا الاتجـاه التعميمـي ، فقـد وجـد الـشعراء فـي مـوقفهم المنـاوئ فرصـة ، لهجو الحلبيين ، والنيل منهم جميعاً .

ومن الـشواهد الـشعرية التـي تمثـل هـذا الاتجـاه ، مـا عبـر عنـه ابـن الفـراش الدمـشقي ، فقـد سـجل بـشعره سـيرة الحلبيـين الـسيئة ، وموقـف حكامها المشين ، حـين اسـتغلوا صـغر سـن ابـن نـور الـدين زنكـي ، لإعاقـة الجهـود الوحدويـــة لحكـــام مـــصر ، وقتـــالهم لأغـــراض شخـــصية ، وفيـــه يقول :   " الوافر "

عـــصتْ حلَـــبٌ وقاتَـــلَ ســـاكنُوها   ولَـــيس قِتـــالُهم لَـــك بالعجيـــبِ

لأنّـــك ناصـــر الإســـلامِ حقـــاً   وهـــم رهـــطُ المغيـــرةِ أو شَـــبيبِ

---

[1] - **الديوان** : 147 .

جهـادك إن طلبـتَ الغَـزو فـيهم **أهـمّ إليـك مِـن غَـزو الـصليبِ**

أنـاسٌ دبـتِ الأعـلالُ فـيهم **ولـيس لهـم كـسيفك مـن طبيـبِ**

ولـم يـذْخَرك نـور الـدين إلا **لتَـدفَعَ عنْـه نائبـة الخُطـوبِ**

فخَالـص ابنـه بالـسيف مـنْهم **فقـد حبـسوه فـي بلَـدٍ جـديبِ**

يبيـتُ وقلبـه المحـزون أشْـهى **إلـى لُقيـاك مِـن ضـم الحبيـبِ**

صـغيرٌ بيـنهم ، لا بـلْ أسـيرٌ **غضيض الطّـرفِ مبخـوس النَـصيبِ**[1]

تـذكّر عهـده واحـنُن عليـهِ **ونَفـس عنْـه تَـضييقَ الكُـروبِ**

ولا يغـررك مـن يوليـك وداً **ويلْـوي عنْـك أجفـان المريـبِ**[2]

فالـشاعر يـصفهم بـأنهم انتهـازيون ، يـستغلّون الظـروف فـي تحقيـق مصالحهم الشخـصية ، ويـشير إلـى التمـايز بـين صـلاح الـدين ،وأهـل حلـب ، وشبه مـوقفهم منـه بموقـف كفـار مكـة علـى رأسـهم المغيـرة بـن شـعبة مـن دعوة الرسول عليـه الـسلام ، ملـصقاً بهـم صـفة الكفـر ، وهـل هنـاك صـورة أبشع من تلـك الـصورة التـي نعـتهم بهـا وزاد عليهـا، حـين جعـلَ عـصيانهم ، ومعارضتهم داء ليس له علاج إلا السيف .

وإمعانـاً فـي ذم أهـل حلـب ، والانتقـاص مـن شـأنهم ، والإزراء بهـم وفضح نوايـاهم ، فقـد نعـتهم الـشاعر ابـن الفـراش ، بـأنهم عـصاة مـارقون لا يـدينون بالطاعـة لـولاة الأمـر ، لكـن خـروجهم عـن طاعـة صـلاح الـدين الأيـوبي يعـد حماقـة ، فهـم فـي فعلـتهم المتخاذلـة ، وصـورتهم الـسيئة

---

[1] - مبخوس النصيب : منقوص الحقّ مشتقة من بخِـس . ينظـر: ابـن منظـور، **لـسان العـرب** ، مادة (بخَس) .

[2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** : 302/1-303 .

كـالفراش المتهالـك يتجمعـون حـول شـعلة النـار بـصورة عفويـة ، لكـنهم لا يـدرون أنهـا تحـرقهم ، لجهلهـم بعواقـب تـصرفاتهم ، وفـي ذلـك يقول : " الوافر "

رأيـتُ المـارقين ومـن يليهم — جميعـاً مـن عـصي أو مجيـبِ
إذا غنـتْ صـواهلهم وأبـدى — لهـا الخَطـي أخـلاقَ الطّـروبِ
فَراشـاً عاينَـتْ نَـاراً فأبـدتْ — تهالُكهـا علـى جمـر اللهيـبِ[1]

وحـين اسـتولى صـلاح الـدين علـى مدينـة دمـشق سـنة 570 هــ[2] هنأه الشعراء بتلـك المناسـبة ، معبـرين عـن الحالـة الـسيئة لتلـك المدينـة ، فـي ظـل حكامهـا المتقاعـسين ، ومـا أصـابها مـن خـراب ، ومـن الـشعراء الـذين سـجلت أشـعارهم تلـك الفرحـة الـشاعر وحـيش الأسـدي ، إذ يقول : " البسيط "

أَنْـتَ صـلاح الـدين مـن أسـدٍ — أدنـى فَريـستَه الأيـام إن وثبـا
رأيـتُ جلـقَ ثُغْـراً لا نظيـر لـه — فجئْتَهـا عـامِراً مِنْهـا الـذي خَربـا
نادتْـك بالـذل لمـا قـل ناصِـرها — وأزمـع الخُلُـقُ مِـن أوطانِهـا هربـا
أحييتَهـا مِثْـلَ مـا أحييـتَ مـصر فقـد — أعدت من عدلها مـا كـان قـد ذهبـا[3]

فالـشاعر يهنـئُ صـلاح الـدين بتلـك المناسـبة ، ويـصور الـضر والتخريـب الـذي حـل بهـا ، بـسبب سياسـة حكامهـا المنحـرفين ، وحاجتهـا

---

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** : 304/1 .
[2] - ينظـر : أبـو شـامة المقدسـي ، **الروضـتين** : 2/ 222 ومـا بعـدها،ابن شـداد ، **النـوادر السلطانية** : 50 .
[3] - العماد الأصفهاني، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 242/1 ، أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** 225/2 .

إلى أيادٍ كأيدي صلاح الدين لتعميرها ، وكل ذلك يدلل على الدور الذي أداه الشعر للوحدة ، وهجو سياسة الأمراء المتقاعسين ، المفسدين لديارهم بغرض مصالحهم الشخصية .

وانتقد الشعراء المنازعات السياسية التي وقعت بين أبناء البيت الأيوبي عقب وفاة صلاح الدين ، ووصلت تلك النزاعات إلى درجة استعانة أحدهما على الآخر بالصليبيين ، وربما كان القاضي الفاضل مصيباً حين صور واقعهم في قوله : " أما هذا البيت فإن الآباء فيه اتفقوا ، فملكوا ، والأبناء اختلفوا فهلكوا ، وإذا غرب نجم فما هي الحيلة إلى تشريقه ، وإذا بدا خرق ثوب فما يليه إلا تمزيقه "[1] .

وينبغي أن يشار إلى أن النماذج الشعرية التي قيلت في تلك النزاعات ، هي أقرب إلى الشكوى وإسداء النصح ، لكن بعض تلك النماذج تشير إلى مواقف رافضة ، لما كان يحدث بينهم ، وإن خفت حدتها اتجاه المنتقدين ، لأن أمثال هؤلاء المتخاصمين من الحكام يجب أن يكون الشاعر معهم لطيفاً ، حتى لا يتعرض للأذى ، فبدا الشاعر في نقده وسيطاً ومصلحاً ، ومن أبرز تلك الشواهد ، أبياتٌ لفتيان الشاغوري يعرض فيها بالنزاع الذي حدث بين الملك الأفضل[2] من جهة ، وأخيه الملك عثمان ، وعمهما العادل من جهة أخرى ، وكان لذلك الخلاف آثار

[1] - ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** : 420/3 .

[2] - الملك الأفضل : علي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ملك الشام في حياة أبيه ، ثم من بعده كان فاضلاً وشاعراً حسن الخط . ينظر : أبو شامة ، **ذيل الروضتين** : 219/5 – 220 .

الخلاف آثـار سـيئة علـى دمـشق ، إذ عانـت مـن الجـدب والغـلاء ،والحـصار الذي فرضه جند الملك العزيز[1] ، وفيها يقول : " الكامل "

وعــساكِر المِــصري محدِقــةٌ بنَــا أطْلابهــا كـأجيج نــار الموقِــدِ[2]
نــارٌ أتَــتْ مــن مِــصر أذكتْهــا لنــا إحـنٌ أُثيــر كمينهــا مــن صــرخَدِ[3]
هــم أطلقــوا طِــرف الغــلاءِ فجاءنــا عــن طِــرفِ رخــص بــالفلاةِ مقيــدِ
مــا بــين جــدبٍ نحــن فيــه ورخــصهم إلا كغلــــوةِ ســــهمٍ رام جيــــدِ
لمــا رأيــتُ النــاس هــروا فِتنــة ضــبثَتْ براثِنُهــا بِكــل موحــدِ[4]
وتفَرقــوا صِــنفين : ســنّياً وشِيــ ـــعياً وكــل قائــلٌ : أنــا مهتَــدِ
هــذا يميــلُ إلــى أبــي بكْــرٍ وذَا يبغــي عِليــاً مخْلِــصاً بِتَــوددِ
وســقتْهم الأهــواء كأســاً لــم تَــدع ذا مسكةٍ[5] فـي النـاسِ غيـر معربِـدِ[6]

فالـشاعر لا يخفـي رفـضه لـذلك الواقـع ، الـذي خلـف آثـاراً سـيئة علـى أهـل دمـشق ، بـسبب ذلـك النـزاع الـذي قـسم النـاس إلـى شـيع ، وأتبـاع فتعـددت المعانـاة ، مـا بـين حـصار ، وجـدب وغـلاء ، وهـذا مـا دفـع الشاعر إلى ذم ذلك الصراع .

---

1 - هو الملك العزيز عماد الـدين أبـو الفـتح ، ابـن الـسلطان صـلاح الـدين ، سـلطان الـديار المصرية وليها في عهد والده ثم استقل بهـا ـ تـوفي سـنة 595 هــ. ينظـر: ابـن تغـرى بردى : **النجوم الزاهرة** 120/6 .

2 - أطلابها : جمع طلب ، وهو الخاطب .ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة(طلب).

3 - صرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهي قلعـة حـصينة ينـسب إليهـا الخمـر . ينظر : الحموي ، **معجم البلدان** : 401/3 .

4 - ضبثت : قبضت . هر : هرهراً : ساء خلقه وهر في وجهـه : صـوت . ينظـر ابـن منظـور، **لسان العرب**، مادة (قبض) ومادة(هرر) .

5 - مسكة : حصة من عقل . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (مسك) .

6 - **الديوان** : 131– 133 .

ومن المواقـف التـي عـرض بهـا الـشعراء ، وعبـروا مـن خلالهـا عـن رفضهم لسياسة حكـام بنـي أيـوب مـا فعلـه الملـك الأفـضل ، والملـك الظـاهر من حصار لمدينـة دمـشق عقـب وفـاة الملـك العزيـز سـنة 597 هـ ـ[1] وأبـرز الشعراء في أبيـاتهم موقـف الـوزير ابـن شـكر[2] فـي إنهـاء ذلـك النـزاع ، دون صدام دموي ، وفي ذلك يقول ابن عنين : " البسيط "

حتـى إذا أَشْـرقَتْ مِـنْهم دِمـشقُ علـى حربٍ لها الويلُ مِـن عقبـاه والحـرب[3]

فكــان رأيــك فيهــا رايــةً طَلعــتْ بالنّـصر فانجابـتِ الـلأواء[4] والكُـرب

وبــاتَ أنْبــتُهم جأشــاً وأحــزمهم رأياً وأمـضى سِـلاحاً عزمـه الهـرب

وكــان ظَــنهم أَن تَلْتَقــي بهــم مصر البـوار وتَغْـشى النوبـةَ النّـوب

فــأَجفَلوا وزعــيم القــوم غايــةُ مــا يرجـو مـن ا ِ أن تَبقَـى لـه حلَـب

عــزمٌ بــه أخْمــد ا ُ الــشقاقَ ولا هـزتْ رمـاحٌ ولا سـاتْ لـه قُـضب[5]

فالـشاعر يعــرض بالمحاصِــرين للمدينــة ويــسخر مــنهم ، لأنهم لم يتمكنوا من بلـوغ أهـدافهم فقـد كـان لابـن شـكر عزيمـة أطفـأت نـار ذلـك الـشقاق ، وحقنـت دمـاء الطـرفين ، وعبـر الـشاعر عـن رفـضه لـذلك الموقف .

---

[1] - ينظر : ابن واصل ، **مفرج الكروب** : 123/3 – 125 .

[2] - ابن شكر : هو صفي الدين أبو محمد عبد ا بن علي بن الحسين بـن عبـد الخـالق بـن شـكر من وزراء الدولة الأيوبية بمصر ولـد بالـدميرة سـنة 548 هـ ـ وتـوفي بالقـاهرة سـنة 622 هـ ، صنف كتاباً في فروع المالكية . ينظـر: أبـو شـامة ، **ذيـل الروضـتين** 221/5 – 222، ابن العماد الحنبلي ، **شذرات الذهب** : 177/7 .

[3] - الحرب : الهلال . ينظر ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (حرب) .

[4] - اللأواء : المشقة والشدة . ينظر ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (لأي) .

[5] - **الديوان** : 48 – 49 .

4. هجاء التنازع على " الوزارة " في نهاية العهد الفاطمي :

استشرى الفساد والاضطراب في شؤون الحكم في مصر نهاية عهد الفاطميين ، ولم يعد للحكام دور سياسي في إدارة شؤون البلاد ، وحل محلّ الخلفاء الوزراء في حكمها وإدارتها ، ووصف أحد الدارسين حالة البلاد وحكامها في تلك الفترة قائلاً : " لم يكن لهم من الخلافة سوى الاسم ، لاستيلاء وزرائهم على الأمور ، وحجرهم عليهم ، وقد تلقّب هؤلاء الوزراء بألقاب الملوك ، فكانوا معهم لخلفاء بغداد مع بني بويه "[1] ولتعاظم سلطة الوزارة ، زاد عدد الطامعين فيها ، مما أدى إلى حدوث اضطرابات مدمرة في مصر ، كان من آثارها الغزو الصليبي لمصر والشام .

وقد عبر الشعراء عن آرائهم ، اتجاه ذلك التنازع السياسي حول الوزارة خاصة ، وأحداث السياسة بصورة عامة ، فحين غدر عباس الصنهاجي[2] وابنه بالخليفة الظافر[3] وعملا على قتله سنة 549 هـ [4] ، راح طلائع بن رزيك يعرب عن تنديده بتلك الفعلة الشائنة ، ويهجو ذلك

---

1 - مصطفى ، محمود ، **الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبي** : 199 .

2 - عباس الصنهاجي : هو أبو الفضل عباس بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ، قدم إلى مصر مع أمه وأبيه فلما مات والده تزوج أمه العادل بن السلار والي الاسكندرية ، وقد قتل عباس سنة 549 هـ . ينظر: ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** : 418/3 ، ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ** : 389/9 ، ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** : 310/5 .

3 - الظافر : هو أبو منصور إسماعيل بن الحافظ ، تاسع الخلفاء الفاطميين ، قتل سنة 549 هـ . ينظر: ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** : 288/5 ، ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ** 394/9 – 395 .

4 - ينظر : أبو شامة ، **الروضتين** : 289/2 – 290 ، أسامة بن منقذ ، **الاعتبار** : 43 .

ويهجو ذلك الوزير ، وينعته باللؤم والغدر ، ويشبهه بالكلب المسعور ، وذهب إلى أبعد من ذلك في تحقيره ، والإزراء به ، حين جعل الكلب أرفع شأناً منه ، فالكلب وفي لصاحبه بينما عباس ليس لديه وفاء ، حين قتل خليفته طمعاً في منصبه ، وفي ذلك يقول : " الطويل "

ولو أننا كنّا ظنَنّاه لم نكن ... نُظاهِر دون الناس عباس بالحربِ

على أنّه قد نالَ بالغَدِ من بني ... نَبي الهدى ما لم تَنَلْه بنو حربِ

وهلْ نالَ منهم آلَ حربٍ وغيرهم ... من الناس فَوقَ القتل والسبي والنهبِ

غدا والغاً[1] كالكلبِ ظُلماً وجِزيةً ... دماءهم لا حاطَه اللهُ من حِزبِ

ويا ليتَه لو كان فيه من الوفا ... لِمالِكِهِ بعض الذي هو في الكلْبِ

وحاشَاكُم ما خُنْتم العهد مثْلَه ... ولا لكُم فيما جرى منه من ذنْبِ

ومن مثلُ ما قد نَالكم من دنُوه ... يحاذر أن تدنو الصحاح من الجربِ[2]

فالشاعر يدعو على عباس بعد تلك النعوت السيئة التي نعته إياها، ويشير من خلال تلك الأبيات ، إلى الفساد السياسي الذي يظهر فساد الحكم ، وأن الحكم للقوة ، وإلا لما تطاول الوزير على خليفته ، وينصح ألا يقترب أحد منه ، فهو كالأجرب يعدي من حوله .

ومن الشعراء الذين نددوا بتلك الفعلة ، ووصفوا صاحبها بالغدر ، وعدد ما قام به ظلما ،الشاعر" ثقة الملك بن جرادة "، وفيه يقول : " الرمل "

---

[1] - والغاً : ولغ الكلب في الإناء : شرب ما فيه بأطراف لسانه . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (ولَغَ) .

[2] - **الديوان** :60 .

مـن عـصابةٍ أضـمروا الغـدر فهـم   أهـلُ نُـصبٍ ونفـاقٍ وعنـادِ

قتَلُـوا الظّـافِر ظُلمـاً وانتَحـوا   لِبنـي الحـافظ[1] بـالبِيض الحِـدادِ

واعتَـدى عبـاس فـيهم وابنَـه   فَـوق عـدوان يزيـدٍ وزيـادِ

مثـلَ سـفْرٍ[2] قتلـوا هـاديهم   ثم ضـلّوا مـا لهـم مـن بعـد هـادِ[3]

فالشاعر يظهر في هجوه تشيعاً ، وانحيازاً للفاطميين ، والألفاظ الدالة على ذلك واضحة وبينة ، وبقتاله له فقدوا من يرشدهم إلى الطريق الصحيح .

واستغلّ الشعراء تلك الحادثة في تحريض ابن رزيك ، للثأر من قتلة الظافر ، وهجاء الصنهاجي ، كما فعل الجليس بن الحباب ، في قوله :   " الطويل "

أُصـادِقُهم قَـولاً وغَيبـاً ومَـشْهداً   نَحـوهم علـى عمـدٍ بِفعـل أعـادي

تـدارك مـن الإيمـان قبـلَ دثـورة   حـشاشةَ نَفـس آذنَـت بنفـادِ

فَلـو عاينَـتْ عينَـاك بالقـصر يـومهم   ومـصرعهم لـم تكتحـل بِرقـادِ

فَمـزقْ جمـوع المـارقين فإنّهـا   بقايـا زروعٍ آذنَـتْ بحـصادِ[4]

فالشاعر يحرض طلائع بن رزيك على الأخذ بثأر الظافر من جهة،ويهجو الصنهاجي ويصفه وجنوده بالمارقين ، ويشبههم بالزروع ، التي حان وقت حصادها وليس لها إلا هو من جهة ثانية .

---

1 - الحافظ هو أبو الميمون عبد المجيد ، وقد سبق الظافر في الخلافة وتوفي سنة 544 هـ . ينظر : ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** : 335/3 ، ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** : 287/5 .

2 - سفر : جمع سافر ، وهو المسافر ، والسفر والمسافرون بمعنى واحد . ينظر ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (سفر) .

3 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** : 190/1 .

4 - أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** : 5/2 .

واستمر الصراع على الوزارة ، فلم يكد ابن رزيك يستقر في وزارته ، حتى ثار عليه طرخان من الإسكندرية يطلبها[1] ، لكن ثورته خمدت ، وقُضي عليها ، وانتقد الشعراء تلك الثورة ، ووصفوا صاحبها بالخائن ، ولتحقيره صوروه بالحمار ، وفي ذلك يقول القاضي الجليس ابن حباب : " الوافر "

لقد طَمحتْ بِطَرخانٍ أمانٍ — لـه ولمثلِهِ فِيها بَوار

وحاولَ خُطةً فيها شِماسٌ — على أمثالِهِ وبها نِفار

أتَتْك بخائنٍ قَدماه سعياً — كما يسعى إلى الأسدِ الحِمار[2]

فالشاعر يشير إلى تَبدد طموح طرخان وزواله ، ويرسم له صورة قبيحة ويشيد بطلائع وشجاعته .

ولم تتوقف الاضطرابات داخل مصر ، فثار بهرام الغُزي[3] محاولاً الاستقلال بالصعيد ، وانتهت ثورته بالفشل أيضاً ، وصور عمارة اليمني عاقبة بهرام معرضاً به ، وبمصيره ، في قوله : " البسيط "

لما تمرد بهرامٌ وأُسرتُه — جهلاً ورامُوا فِراع النَبعِ بالغَرَبِ

صدعتُ بالنّاصِر المحيي زجاجتَهم — وللزجاجةِ صدعٌ غيرُ منْشَعِبِ

ظنّوا الشّجاعةَ تُنْجيهم فَقارعِهم — أبو شجاعٍ قريعُ المجدِ والحسبِ

سُقُوا بِأسكر سكراً لا انقضاء له — من قهوةِ الموتِ لا مِن قهوةِ العنبِ[4]

---

[1] - ينظر :اليمني ، عمارة ، **النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية** : 113 .

[2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** : 192/1 .

[3] - ينظر : اليمني ، عمارة ، **النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية** : 46 .

[4] - اليمني ، عمارة ، المختار من ديوانه (ضمن كتاب النكت العصرية) : 165 .

وظلت لعنة الوزارة تطارد طلائع بن رزيك ، حتى تمكنت عمة العاضد من قتله سنة 556 هـ .[1] وأنشد عمارة اليمني أبياتاً يعرض فيها بقتله، يقول فيها : " الكامل "

غَضِبَ الإلـه علـى رجـالٍ أقْدموا	**جهلاً عليه وآخَرين أشَاروا**
لا تَعجبن لِقُدارِ نَاقةِ صالحٍ	**فلكل عصرٍ صالحٌ وقُدار**
أحلَلْتَ دار كرامةٍ لا تنقضي	**أبداً وحل بقاتِليك بوار**
وقَع القَصاص بِهِم وليسوا مقْنعاً	**يرضى وأين من السماءِ غُبار**
ضاقتْ بِهِم سعةُ الفِجاجِ وربما	**نام الولي ولا ينام الثار**[2]

فالشاعر يعرض بقتلته ، مستمداً بشاعة جريمتهم ، وعاقبتهم السيئة من قصة عقْر " ناقة صالح " وجعل مآلهم كمآل عقّار الناقة ؛ لغضب الإله عليهم .

ولعل شاور السعدي[3] أبرز وزراء الدولة الفاطمية ، وأكثرهم عرضة لألسنة الشعراء ، فقد ناله من هجوهم ما لم ينله أحد ، في تلك الفترة الزمنية بسبب تنكره لعسكر نور الدين الذين أعادوه إلى منصب الوزارة[4] بعد هزيمته من ضرغام اللخمي[5] من جهة ، وبسبب تخاذله ،

---

1 - أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** : 345/1 .

2 - ينظر : اليمني ، عمارة ، **النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية** : 64 .

3 - شاور السعدي : هو شاور بن مجير السعدي الهوازني ، الملك أبو شجاع وزير الديار المصرية فرج عليه ضرغام ففر إلى نور الدين فأعانه على العودة إلى وزارته ، استعان بالفرنج. ينظر: ابن خلدون ، **تاريخه** : 246/5 ، الذهبي ، **سير أعلام النبلاء** : 514/20 ، ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** : 339/2 – 348 .

4 - ينظر : أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** : 356/1 – 357 .

5 - ضرغام اللخمي : هو الملك المنصور أبو الأشبال ضرغام بن سوار اللخمي تنازع مع شاور على وزارة مصر قُتل سنة 559 هـ عند مشهد السيدة نفيسة في القاهرة . ينظر: ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** : 442/2 .

، واستعانته بالـصليبيين لـدخول مـصر ، حـين عـاد أسـد الـدين شـيركوه إليهـا سـنة 562 هـ ـ[1] مـن جهـة ثانيـة ، يـضاف إليهـا ظلـم شـاور ، واسـتبداده بالرعيـة ، وقـد نـدد الـشعراء بـسياساته المنحرفـة ، ومواقفـه الخيانيـة مـع أعـداء الأمـة والـدين ، فراحـوا يذمونـه ، ويقذفونـه بأبـشع النعـوت ، ومـن الـشواهد الـشعرية علـى نعتـه بالغـدر ، ووصـفه بالكلـب العقـور ، قـول العرقلة الكلبي : " الطويل "

لقَـد فَـاز بالملـكِ العقـيمِ خَليفـةٌ ... لـه شِـيركُوه العاضِـدي وزيــر
كـأن ابـن شـاذي والـصلاح وسـيفَه ... علـي لديـه شَـبرٌ وشَـبير[2]
هـو الأسـد الـضاري الـذي جـل خَطبـه ... وشـاور كلـبٌ للرجـال عقـور
بغَـى وطَغَـى حتّـى لقَـد قَـالَ قائِـلٌ ... علـى مِثْلهـا كـان اللّعـين يـدور
فـلا رحِـم الـرحمن تُربـة قبـرِه ... ولا زال فِيهـا منكـرٌ ونَكيـر[3]

فالشاعر يدعو له بسوء الخاتمة لظلمه وطغيانه .

وقـد واصـل عرقلـة هجـوه لـشاور ، فـشبهه فـي ظلمـه وطغيانـه بفرعون، بينما شبه شيركوه بموسى ، في قوله : " السريع "

إن أميـــر المـــؤمنين الّـــذي ... مِـصر حِمـاه ، وعلـي أبـوه
نَـص علـى شَـاور فِرعونَهـا ... ونَـص موسـاها علـى شِـيركوه[4]

أمـا أسـامة بـن منقـذ فقـد هجـاه بـالمعنى نفـسه ، إذ قـال مخاطبـاً صلاح الدين الأيوبي: " الطويل "

---

[1] - ينظر : أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** : 7/2 – 8 .
[2] - شبر وشبير : هما أولاد هارون عليه السلام ومعناهما حـسن وحـسين ومحـسن وبهمـا سـمى علي أولاده تشبر وشبيراً ومشبراً. ينظر:ابن منظور ،**لسان العرب** ، مادة (شَبر) .
[3] - **الديوان** : 53 .
[4] - **الديوان** : 108 ، وللاستزادة ينظر: الكتبي ، **فوات الوفيـات** ، أبيـات لـصفي الـدين بـن شـكر 195/2 .

أقمـــتَ عمـــود الـــدين حـــين أمالَـــه | لِطاغي الفِرنْج الغُتْمِ طاغي بنـي سـعدِ[1]
وجاهـدتَ حِـزب الكُفْـر حتّـى رددتَهـم | خزايـا علَـيهم خيبـةُ الـذل والـرد[2]

ويبـدو أن الدولـة الفاطميـة لقيـت معارضـة شـديدة مـن الـشعراء ، حتى تم إسقاطها علـى يـد صـلاح الـدين الأيـوبي سـنة 567 هـ ، بـأمر مـن نـور الـدين[3] ، ويلحـظ مـن الأشـعار التـي قيلـت فـي هجائهـا ، أنـه هجـاء مـذهبي ، فقـد وصـف أتباعهـا بـأنهم مجـوس ، وزنادقـة ، وكفـار كمـا قـال شـاعر مجهـول[4] ، ويلاحـظ كـذلك تقلّـب الـشعراء فـي هجـوهم ، فقـد بـدا علـيهم النفـاق فـي هجـوهم الـسياسي ، فهـم مـع القـوي ضـد الـضعيف ، ويمكـن معرفـة ذلـك مـن تتبـع أقـوال الـشعراء فـي وزراء الدولـة الفاطميـة ، ثـم مقارنتهـا بـأقوالهم بعـد انهيارهـا ، ومـنهم عمـارة اليمنـي ، وعرقلة الكلبي .

---

[1] - الغتمة : عجمة في المنطق مفردها أغتم وجمعها غتم . ينظـر: ابـن منظـور، **لـسان العـرب** ، مادة (غتم) .
[2] - أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** : 37/2 ولم ترد الأبيات في ديوانه .
[3] - ينظر : نفسه : 132/2 .
[4] - ينظر : أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** 145/2 ، ابن إياس ، **بدائع الزهور** : 135/1 .

ب. المبحث الثاني : الهجاء الخارجي :

** هجاء الصليبيين :

كان للهجمة الصليبية على المشرق العربي ، وخاصة بلاد الشام ، وما ارتكبه الفرنج من جرائم بحقّ البلاد والعباد ، وما خلّفوه من مآس للمدن الشامية وأهلها ، أثر بارز على الحركة الشعرية في تلك الحقبة الزمنية ، من حكم الزنكيين والأيوبيين ، فقد أذكت تلك الأحداث مشاعر الشعراء العدائية ، وولدت في نفوسهم خاصة ، والمسلمين عامة الأحقاد والضغائن ، اتجاه أولئك الغزاة المعتدين ، وشاركوا بألسنتهم في التصدي لتلك الهجمة ، فأكثروا من ذم الصليبيين في أشعارهم ، بهدف تحريك مشاعر المسلمين " إما إلى تحذيرهم من أخطاء معاملتهم للصليبيين ، وإما إلى التقليل من شأنهم ، وتهوينهم في أعينهم ، وإظهارهم بمظهر الضعف والذلة والهوان ؛ بتحميس المسلمين ، وإذكاء روح الجهاد في نفوسهم "[1] .

ورغم كثرة الدراسات التي تحدثت عن الغزو الصليبي لبلاد الشام ، إلا أنّها تناولت في حديثها عن الصليبيين موضوعات مختلفة ، ولم تكن تقصد الهجاء لذاته ، وإنما جاء في ثنايا تلك الدراسات ، وفي إطار أغراض عدة تتعلق بالغزو ، وما دار حوله ومن شارك فيه ، - عكس الدراسة التي نتحدث عنها في تركيزها على الهجاء خاصة – كما ينبغي للدارس أن يشير إلى أن الأشعار المنتقاة لهذه الغاية ، لم تكن

---

[1] - الهرفي ، محمد علي ، **شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام** : 171 .

مستقلة بذاتها ، وإنما وردت في إطار قصائد تحمل في مضامينها أغراضاً عدة ، كالمديح والرثاء وغيرها ، ومن خلال أشعار اصطُلح عليها " شعر الجهاد "[1] ، وقد رسم الشعراء فيها صوراً للمغيرين وللمقاومين لهم على حد سواء .

ولعلّ ما يهم في هذه الدراسة إبراز الجوانب السلبية التي ظهرت في تلك النماذج ، كالنعوت والألقاب والمسميات التي أطلقها الشعراء عليهم من باب الازدراء والتحقير ، وصفاتهم الخلقية كالغدر والخداع والخيانة ، وغيرها من الفضائل النفسية ، والسخرية من عقائدهم الباطلة وشعاراتهم ، وصولاً إلى النيل من قادتهم وملوكهم وأمرائهم ، وسنعرضها على النحو الآتي :

1. عقائدهم وشعائرهم الدينية :

وقد بلغ الشعراء في هجوهم للصليبيين حداً ، طالت به ألسنتهم ديانتهم ، ووصموا عقائدهم بأنها باطلة ، ومنحرفة فهم عباد صليب ، كما يبدو في قول فتيان الشاغوري ، من قصيدة في مدح الملك الأفضل : " الطويل "

وسلْ عنْه عبّادَ الصليبِ وخَيلُه سِواهم ومِن تَحتِ العجاجِ لها نَحطُ[2]

---

[1] - ينظر: على سبيل المثال حول الموضوع ، الرقب ، شفيق ، **الشعر العربي في بلاد الشام** : 54 - 108 .

[2] - **الديوان** : 257 ، و نَحطٌ : زخَر وصات من الإعياء ينظر :ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نَحطَ) .

أمـا ابـن القيـسراني فـشن حملـة شـديدة علـى عقائـد الـصليبيين ، وسـخر مـنهم ، وطـالتهم حِـراب لـسانه بالتـشهير ، والتجـريح وبأسـلوب ساخر ، كما في قوله : " الطويل "

لقَـد كـان فـي فَـتْح الرهـاءِ دِلالَـةٌ على غَيـر مـا عنَـد العلـوج اعتِقـاده
يرجـون مِـيلاد ابـن مـريم نُـصرةً ولـم يغْـن عِنْـد القَـومِ عنْـه ولاده[1]

فالـشاعر يـسخر مـن اعتقـادهم الـساذج ، بـأن عيـسى المـسيح عليـه الـسلام سـيعود لنـصرتهم ، ويؤكـد الـشاعر دعـواه ، بأنـه لـو صـح زعـم الصليبيين ، لما حلت بهم الهزيمة في فتح الرها .

ويـتهكم ابـن سـناء الملـك مـن ادعـاءات الـصليبيين ومـزاعمهم واعتقـاداتهم الباطلـة ، فـي صـلب الـسيد المـسيح مخـالفين بـذلك ، قـول الله تعالى **وقـولهم إنّـا قتلنـا المـسيح عيـسى بـن مـريم رسـول الله ومـا قتلـوه وما صـلبوه ولكـن شـبه لهـم**[2] ، ويتخـذ مـن هـذا الاعتقـاد مـادة لتكـذيبهم والسخرية من أوهامهم ، في قوله : " الخفيف "

ظـل معبـودهم لـديك أسـيراً مستـضاماً فاجعـلْ لـه النـار سِـجناً
صـلبوا ربهـم فلَـم يغـن عـنهم من رأى بعـد صـلبِه قَـط أغنَـى[3]

ولم يتوقـف الـشعراء فـي هجـوهم للغـزاة عنـد عقائـدهم ، بـل هـاجموا الصليب شـعارهم ورمـز قـوتهم ، وعـدوا تمـسكهم بـه ، وتقديـسهم لـه عبـادة وثنية ، وسخروا مـن مقـولتهم " بالتثليـث " فـشتّان مـا بـين مقـولتهم ومـا بـين

---

[1] - محمد ، عادل جابر صالح ، **شعر ابن القيسراني** : 148 .
[2] - **النساء** : 157 .
[3] - **الديوان** : 342/2 .

الإسلام الداعي إلى التوحيد ، وإمعاناً في ذمهم جردهم فتيان الشاغوري وأفراد جندهم من معاني الرجولة حين تمنوا أن يخلُقُوا إناثاً هرباً بأرواحهم ، وفي ذلك يقول : " الكامل "

يوسفَ كَمْ أغَاثَ وغَاثَا وأَبَاد مِن عبد الصليب وعاثَا

لما سبيتَ نِساءهم وقَتَلْتَهم ود الذُّكور بأن تكون إناثاً

أهداهم التَثلِيثُ لِلتوحيدِ يو م لِقيتهم فقَسمتَهم أثلاثا[1]

وعد ابن الساعاتي الهزائم التي لحقت بالصليبيين بأنها هزيمةٌ لصلبانهم وبيعهم ، ونصرة للمسلمين وقرآنهم ، وفي ذلك يقول : " الطويل "

كبا من أعاليه صليبٌ وبيعةٌ وسادَ به دينٌ حنيفٌ ومصحفُ

صليبه عبادِ الصليبِ ومنزلٌ النـ ـزال لقد غادرتُه وهو صفصفُ[2]

فالشاعر يزري بهم ، ويرى أن إذلال شعائر الصليبيين هو إذلال لهم ولعقائدهم .

ورغم الهجوم العنيف الذي شنّه الشعراء على عقائد الصليبيين وشعائرهم ، لكنّهم فرقوا بين قوانين الديانة المسيحية المتمثلة في رسالة المسيح عليه السلام ، وبين ما ألصقوه لتلك الرسالة السامية من تحريف وتغيير ، كما عبر عن ذلك طلائع بن رزيك في قوله : " الخفيف "

لو رآه المسيح لم يرض فِعلاً زعموا أنه له منسوب

---

[1] - **الديوان** : 69 .

[2] - **الديوان** : 409/2 ، وصفصف : أرض صفصف : ملساء مستوية وجمعه صفاصف ، ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (صفف)

أبعــد النـــاس عـــن عبـــادةِ رب النْـــ ـ ـ ـ ــنَاس قـــومٌ إلهـــم مـــصلوب[1]

وتنـاول الـشعراء فـي هجـوهم للـصليبيين رمـوزهم الدينيـة ، فـسخروا مـن قـساوستهم ورهبـانهم وأسـاقفتهم وغيـرهم مـن زعمـاء الكنيـسة وعرضـوا بـاليهود معهـم ؛ لوقـوفهم فـي صـفهم ضـد المـسلمين ، ومـن الشواهد الـشعرية الدالـة علـى تلـك المعـاني ، مـا قالـه فتيـان الـشاغوري مـن قـصيدة لـه هجـا فيهـا جـرجيس القُنَيـاط النـصراني وولـده الحكـيم يوحنـا وأفحـش فـي هجـوه لهمـا حـين رمـى أم جـرجيس بالزنـا ، ثـم طـال بهجـوه الرهبان واليهود ، حيث قال : " الخفيف "

يـــا يوحنّـــا يـــا ابـــن التـــي .... جـــذْ عٌ ويحكـــي قوامهـــا مِخباطـــا[2]
..... لحيـــــةٌ كلحيـــــةٍ قِـــــس وقفَاهـــا ثـــط بيـــين سِــنَاطا[3]
فهـــي أبغـــى مـــن قطـــةٍ وتَـــرى كُـــل زمـــان يـــأتي عليهـــا شُـــباطا
يـــا .... اليهـــودِ فـــي يـــومِ ســـبتٍ خَالَطـــوا فـــيهم فيـــأهم و المخاطـــا
بـــلْ ..... الرهبـــان لمـــا تَعـــشّوا عدســـاً كـــان قتّـــه[4] بقْـــسماطا[5]

فالـشاعر أفحـش فـي هجـوه لرمـوز النـصارى إلـى حـد الـسباب ، وذكر ألفاظـاً يتقـزز الطبـع مـن سـماعها ، وفـرغ الـدارس بعـضها لفحـشها ،

---

[1] - **الديوان** : 63 .
[2] - المخباط : خشبة تخبط بها الثياب حـين الغـسل . ينظـر:ابـن منظـور،**لـسان العـرب**، مـادة (خَبط) .
[3] - ثطّ : قليل الشّعر.ينظر : ابن منظـور، **لـسان العـرب**، مـادة (ثطـط) ، والـسناط : الكوسـج والرجل الذي لا لحية له ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (سنَطَ) .
[4] - بقسماط : أصله فارسي : " بكشماط " وهو نوع مـن الخبـز اليـابس. ينظـر: الخفـاجي ،**شـهاب الدين ،شفاء الغليل** 88 ، ضنّاوي ، سعدي ، **المعجم المفصل** 93.
[5] - **الديوان** : 259 - 260 .

وكان الهدف من إيرادها إبراز حجم المعاناة وشدة الفاجعة التي حركت مشاعر الشعراء اتجاه أولئك المجرمين ، فسلّوا ألسنتهم ينعتونهم فيها بأقذع الصفات تعبيراً عن العداوة الشديدة بين المسلمين والصليبيين في تلك الحقبة .

وينبغي أن يشير الدارس إلى أن هذه القصيدة لها أهميتها دون غيرها من النماذج المنتقاة لهذا الغرض ، إذ مثّلت النموذج الوحيد والخالص لغرض هجاء الصليبيين ، عكس ما سبقها من نماذج تخللها أغراض عدة وجاءت في ثنايا قصائد المدح وغيرها .

2. قادتهم وملوكهم :

وقد صور الشعراء في هجوهم ملوك الصليبيين وقادتهم المنهزمين في المعارك صوراً تعكس مدى السخرية والازدراء بهم ، وتحمل في طياتها معاني الحقد والتّشفي لنهاية بعض قادتهم المؤلمة ، ولعل الشعراء أرادوا من تلك الصور الساخرة الغض من قدر الفرنجة ، وتقليل شأنهم من خلال تحقير قادتهم ورموزهم ، لمواقفهم العدائية التي برزت لهم إبان تلك الحروب الصليبية ، وتنوع الهجاؤون في أساليب سخريتهم ، فعمدوا في تحقيرهم لقادتهم " إلى رسم أوضاع طبيعية في صور معكوسة "[1] ، وهذا ما عبر عنه الشاعر ابن القيسراني في تشفّيه بمقتل الإبرنس صاحب أنطاكية سنة 544 هـ ، فرسم له صورة تعكس

---

[1] - اللبدي ، نزار وصفي ، **الصورة الساخرة في شعر الحرب عند شعراء الدولتين الزنكية والأيوبية** ، **مجلة جامعة النجاح للأبحاث** ، مجلد (17) عدد (1) 2003 م : 124 .

شعور المسلمين بالمرارة والانتقام من مقتله ، وفي ذلك يقول : " الوافر "

وللإبرنْز[1] فَوقَ الرمح رأسٌ ... تَوسّد والسنان له وساد
تَرجّلَ للسلام فقَرسوه ... وليس سوى القناةِ له جواد
غَضيض المقْلتين ولا نُعاسٌ ... وغَائِرها وليس بِهِ سهاد[2]

فالسخرية منه تتبدى حين جعل السنان وساد رأسه ، وعصا الرمح جواداً يمتطيه ، أما مقلتاه فغائرتان لا سهاد بهما .

وجمع الشعراء في سخريتهم وشماتتهم بقادة الفرنج ومملوكهم بين القتل والأسر ، فهم يرون أن في قتلهم شفاء لصدورهم وتشفياً لمآلهم المأسور من كبار قادتهم كجوسلين[3] الذي كان بالأمس ظالماً غادراً ، وأصبح اليوم أسيراً ذليلاً ، وقد صور ابن القيسراني تلك الواقعتين في لوحة بدت فيها روح الشماتة والانتقام ، حيث يقول : " الطويل "

أتى رأسه ركْضاً وغُودر شِلْوه ... وليس سوى عافي النّسور له قبر
وقد كان في استِبقائِه لك منةٌ ... هي القَتْك لو لم تَغْضبِ البيض والسمر
كما أهدتِ الأقدار لِلقُمص[4] أسره ... وأسعد قِرنٍ من حواه لك الأسر

---

[1] - الإبرنز : هو صاحب أنطاكية كان عاتية من عتاة الفرنج ، وعظيماً من عظمائهم. ينظر : ابن الأثير ، **الكامل في التاريخ** : 144/11 .

[2] - محمد ، عادل جابر ، **شعر ابن القيسراني** : 158 .

[3] - ينظر :أبو شامة المقدسي ، الروضتين : 244/1 وما بعدها في صفة أسر جوسلين،ابن واصل ، **مفرج الكروب** : 123/1 .

[4] - القُمص : تعريف اللفظة اللاتينية (**comes**) وتعني الأمير . ينظر:ابن شداد ، **النوادر السلطانية** : 77 (حاشية رقم 1) .

طَغَـى وبغَـى عـدواً علـى غُلوائِـهِ[1] فأوبقَـه[2] الكُفـران عـدواه والكُفـر[3]

فالـشاعر يهـزأ بـرأس القتيـل الـذي تناوشـته جـوارح الطيـر وكواسـر الوحوش ، ويـسخر مـن القمـص المأسـور ، ويـرى أنّـه مـصير يـستحقه لبغيـه وطغيانه .

وعـن حادثـة الأسـر نفـسها ، سـخر ابـن منيـر الطرابلـسي مـن " القمـص " الأسـير ، وأظهـر شـماتته بـه حـين تخلّـى عنـه أصـحابه ولـم يعملـوا علـى حمايتـه ، وتركـوه يلقـى مـصيره وحـده ، وفـي ذلـك يقول : " الكامل "

لمـا بـدا مـسود رأيـك ، فوقـه مبـيض نـصرك ، نُكـستْ راياتُـه

ورأى سـيوفك كالـصوالج[4] طاوحـتْ مِثْـلَ الكُـرين فقلـصتْ كراتُـه

ولّـى وقـد شَـربتْ ظُبـاك كُماتَـه تَحـتَ العجـاج وأسـلمتْه حماتُـه

لِلـوحش ملَقّـى بـالعرا يقتَاتُـه مـا كـان قبـلُ بِـصيدِهِ يقتاتُـه[5]

وقـد صـور الـشعراء خيبـة آمـال ، وتوقعـات ملـوك الفـرنج ، وقـادتهم ، فـي مغـامراتهم العـسكرية علـى بـلاد المـسلمين ، فقـد دفعهـم غـرورهم وصـلفهم الـسعي إلـى تحقيـق تطلعـات أكبـر مـن قـدراتهم ، فكانـت النتائج عكـس مـا كـانوا يحلمـون بـه ، ومـن الـشواهد الـشعرية التـي تـصور

[1] - الغلواء : ممدود ، وهو سرعة الشباب . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (غلا) .
[2] - أوبقه : أهلكه . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (وبق) .
[3] - محمد ، عادل جابر ، **شعر ابن القيسراني** : 196.
[4] - الصوالج : مفردها صولج ، وهي العود المعوج . ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (صلج) .
[5] - **الديوان** : 238 .

هذه المعاني ، ما عبر عنـه ابـن مطـروح فـي حادثـة أسـر لـويس التاسـع ملـك فرنـسا فـي معركـة المنـصورة بعـد هزيمتـه ، فاسـتغل الـشاعر حادثـة سـجنه في دار ابن لقمـان ؛ ليعبـر عـن سـخريته مـن خيبـة آمـال ذلـك الملـك ، لأنـه أسـاء تقـدير العواقـب المترتبـة علـى حملتـه ، فبـاء بالذلـة والخـسران ، وفيـه يقول :   " السريع "

قُـلْ للفَرنـسيس إذا جِئتَـه ... مقـالَ صِـدقٍ مِـن قـؤولٍ فـصيح

قَـد جِئْـت مِـصر تَبتَغـي أخْـذَها ... تَحسب أن الزمـر - يـا طبـلُ - ريـح

فـساقَكَ الحـين إلـى أدهـمٍ ... ضـاقَ بِـه عـن نَاظريـك الفَـسيح

أرحـتَ أصحابكَ أودعـتَهم ... " بِقُـبح أفْعالِـك " بطْـن الـضريح

خَمـسون ألفَـاً لا يـرى مِـنْهم ... إلا قَتيـلٌ أو أسـيرٌ جـريح

فَـردك ا إلـى مثلهـا ... لعـل عيـسى مـنكم يـستَريح

وقُـلْ لهـم إن أضمروا عـودةً ... لِأخـذ ثـأرٍ أو لِقَـصدٍ صحيح

دار ابـن لُقمـان علـى عهـدِها ... والقيـد بـاقٍ ، والطّواشـي[1] صـبيح[2]

فالـشاعر يظهـر فـي تلـك الأبيـات سـخرية مـؤثرة ، كتهكمـه مـن الملـك فـي قولـه " أودعـتهم بقـبح أفعالـك " وتكمـن قـوة الـسخرية فـي ألفـاظ القـصيدة ؛ لاقترابهـا مـن اللغـة المحكيـة المتداولـة بـين الأشـخاص العـاديين ، فبدت للقـارئ " ذات طـابع شـعبي كـان يحفظهـا كـل مـصري لعـصره ، ومـا زال يرددهـا المـصريون إلـى اليـوم "[3] ، كمـا أن الـدعاء فـي القـصيدة لا يقـل سـخرية عـن سـابقه ؛ لخروجـه عـن مقـصده ؛ لاسـتعماله بـصورة

---

[1] - الطواشي : هو صبيح المعظمي ، أحد خدم الملك الـصالح أيـوب ، عهـد إليـه بحراسـة ملـك فرنسا لويس التاسع حين أسـر وأودع الـسجن فـي دار القاضـي ابـن لقمـان . ينظـر : ابـن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** : 366/6 .

[2] - **الديوان** : 48 .

[3] - ضيف شوقي ، **الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور** : 164 .

مقلوبــة ، وختمــت الأبيــات ســخريتها بالفرنــسيس بــاللجوء إلــى المفارقــة التهكمية بين مـا جـاء لأجلـه ، ومـا آلـت إليـه نهايتـه المؤلمـة ، وتـصوير مـا حل به وبجيشه .

أمـا نجـم الـدين بـن المجـاور، فقـد هجـا ملـك إنجلتـرا أحـد قـادة الحملات الـصليبية بأسـلوب سـاخر ، ومغـاير لـسابقه حـين لجـأ إلـى الـصورة التقريريــة المباشــرة فــي ازدرائــه ، فقــد توعــده وشــبهه بالكلــب ، ووصــف نفسه بالخبث ، حيث يقول : " الكامل "

يــا صــاحِ قُــلْ للإنْكِلِتْــرِ الكلْــبِ دع — عنْــكَ الجنُــون وخُــذْ مقالــة منــصفِ
القــدس مــا فيــه لِــسرجِك مطْمــعٌ — كــلاّ ولا نُــورِ الإلــه بِمنْطَفِــي
والمــسجِد الأقْــصى فَعنْــه تَقَــص مِــن — وقْــع الــدبابيس الأليمــة تَعــرِفِ
واســتفتِ نَفْــسك فَهــي أَخْبــثُ ناصــحٍ — واتــرك متابعــةَ اللّجــاج[1] المتلِــف[2]

فالشاعر لجـأ فـي هجـوه لهـذا الملـك ، معتمـداً أسـلوب الـسب والـشتم ، تعبيراً عن عاطفة ثائرة ، تحمل الحقد والكراهية لأولئك الغزاة .

ولـم يقـف الـشعراء فـي هجـوهم وازدرائهـم بالـصليبيين عنـد ملـوكهم وقـادتهم ، بـل تعـدوا ذلـك لتطـال ألـسنتهم أبنـاءهم وزوجـاتهم ، فقـد اتخـذ الـشعراء مـن حادثــة أســر نــور الــدين لابــن ملــك الفــرنج " الفُــنش "[3] ،

---

[1] - اللجاج : اللجلجة : أن يتكلم الرجل بلسان غير بين . ينظر:ابن منظور،**لسان العرب**،مادة (لجج) .

[2] - أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** : 192/4، وللاسـتزادة بـالمعنى نفـسه، ينظـر : **ديـوان ابـن الساعاتي** : 411/2 .

[3] - الفُنش : ملك من ملوك الفرنج ، وقد أطلقه العـرب علـى " الفونـسو جـوردان كونـت تولـوز " وكان حصن العريمة مع ابن الفُنش ، فحاصـره المـسلمون واسـتولوا عليـه سـنة 543 هـ ، وأخذوا كل ما فيه ، ومنهم ابن الفُنش وأمه إلـى الأسـر . ينظـر : ابـن الأثيـر ، **الكامـل فـي التاريخ** 131/11 – 132 ،أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** : 283/1 .

وزوجتـه ؛ وأخـذهما أسـيرين إلـى حلـب[1] فـي حـرب حـصن " العريمـة " مناسـبة للتَعـريض بهـم ، والـسخرية مـنهم ، وإظهـارهم فـي صـور مذلـة ومهينـة ، كمـا عبـر ابـن منيـر الطرابلـسي مـصوراً تلـك الحادثـة ، وسـاخراً من الفرنجة ، ومستخفاً بقوتهم ، إذ يقول : " المتقارب "

وقَــــوقَ العريمـــــةِ غَـــــشّاهم عـــرام جيوشِـــك ســـيلُ العـــرم[2]
وأُبــــتَ يكلُــــبهم فــــي الكُبــــول مبـــاح الحـــريم مـــذالَ[3] الحـــرم[4]

فالـشاعر يرسـم صـورة قبيحـة لابـن الفُـنش الأسـير ، فيـشبهه بالكلـب ومقيـد للحـط مـن قـدره ، ويمعـن فـي إذلال قـادة الفـرنج وملـوكهم عنـدما أصـبحوا عـاجزين عـن حمايـة حرمـاتهم المـستباحة مـن النـساء وغيرهـا ، بسبب ضعفهم وقلة حيلتهم .

ويؤكد أسامة بـن منقـذ حادثـة الأسـر نَفْـسها ، لكنـه يزيـد مـن تهكمـه وسـخريته فـي هجـو ملـوك الـصليبيين وقـادتهم ، حـين جعـل مـصير القـادة وأبنـائهم، إمـا إلـى القتـل ،أو الأسـر ، ولا شـيء سـواهما ، وفـي ذلـك يقول : " الطويل "

بِنَــا أُيــد الإســلام ، وازداد عِــزةً وذَل لنـــا مـــن بعـــد عِزتِـــه الكُفْـــر
قَتَلْنــا البِــرنْس ، حــين ســار بِجهلِــه تَحِـف بـه الفُرسـان والعـسكر المجـر
وفي سِجننا ابـن الفُـنُش خَيـر ملـوكهم وإن لــم يكُــن خَيــرٌ لــديهم ولا بــر

[1] - ينظر : ابن القلانسي ، **ذيل تاريخ دمشق** : 300 - 301 .
[2] - سيل العرم : السيل الذي لا يطاق . ينظر : المصدر نفسه مادة (عرم) .
[3] - مذال الحرم : مهان ومستخف به. ينظر:ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ذَيل) .
[4] - **الديوان** : 273.

أسـرناه مـن حِـصن العريمـةِ راغمـاً **وقـد قُتِلـت فِرسـانُه فَهـم جـزر**[1]

ونَحـن أَسـرنا الجوسـلِين ، ولَـم يكُـن **ليخـشى مـن الأيـامِ نائبـةً تَعـرو**[2]

فالـشاعر يحقـر الـصليبيين مـن خـلال الحـط مـن قـدر قـادتهم ، وقيمـة ملـوكهم ، ويـشن علـيهم حربـاً نفـسية تظهـر وهـنهم وعجـزهم ، ولا درب لهـم غيـر القتـل والأسـر ، ومـن خلالهـا يرفـع مـن معنويـات المـسلمين ويغريهم بقتالهم طالما كانت النتيجة محسومة .

ويـذهب الـشعراء فـي هجـوهم لقـادة الفـرنج وملـوكهم ، إلـى وصـمهم وجنـودهم بـالجبن والعجـز ، وضـعف قـدرتهم فـي الـدفاع عـن حـصونهم ، فهم في حصن طبرية نـساء ارتـدين حلّـة الحـرب ، وقـد عبـر عـن ذلـك ابـن الـساعاتي مزريـاً بحمـاة طبريـة ، ومحقـراً مـن شـأنهم ، وفـي ذلـك يقول :   " الوافر "

جعلْـتَ صـباح آهلهـا ظلامـاً **وأبـدلْتَ الزئيـر بِهـا أَنينَـا**

تَخَـالُ حمـاةَ حوزتِهـا نِـساءً **يموضـون الحديـدِ مقَنّعينـا**[3]

لِبيـضك فـي جمـاجِمِهم غِنَـاءٌ **لذيـذٌ علـم الطيـر الحنينَـا**

تَميـلُ إلـى المثقفـةِ العـوالي **فَهـلْ أمـستْ رماحـاً أم غُـصونا**[4]

فالـشاعر يـصور المـدافعين فـي ضـعفهم بالنـساءِ ، والرمـاح الـصلبة فـي أيديهم أغصان أشجار لا قوة فيها .

---

[1] - جزر : مفردها جزور وهي الناقة المذبوحة أو الذبيحة ، ينظـر:ابـن منظـور ، **لـسان العـرب**، مادة(جزر) .

[2] - **الديوان** : 202 - 203 .

[3] - موضون الحديد : وضن الشيء وضناً أي ثنـى بعـضه علـى بعـض وضـاعفه . ينظـر:ابـن منظور، **لسان العرب**،مادة (وضن) .

[4] - **الديوان** : 407 .

ولـم يتـرك شـعراء العـصرين الزنكـي والأيـوبي أيـة فرصـة أو حادثـة فـي صـراع المـسلمين مـع الـصليبيين ، تمـر دون أن يـستغلوها لتحقيـرهم والازدراء بهـم ، وإظهـارهم بأبـشع صـورة ، فكـان العـداء المـستفحل بـين الطـرفين دافعـا لألـسنة الـشعراء لـذمهم ، والـسخرية مـنهم ، والزرايـة بهـم ، إلى الحد الـذي وصـلت فيـه معـاني الهجـاء إلـى الفحـش والإسـفاف . وكانـت نبـرة التـشفي بـارزةً فـي أشـعارهم ، ويمكـن أن نلحـظ صـور الإذلال ، والتشفي فيمـا رسـمه الـشعراء للأسـرى الـصليبيين وسـباياهم ، منهـا مـا عبـر عنـه ابـن رواحـة الحمـوي فـي رسـم صـورة مذلـة ومهينـة لـسبايا ثغـري دميـاط والإسـكندرية سـنة 572 هـ[1] فـي قـصيدة ، منهـا قوله : " الوافر "

لقـد جلـب الجـواري بـالجواري يهـدن بكـل قـد مـرجحن[2]
يزيـدهم اجتمـاع الـشّمل بؤسـاً فمِرنَـانٌ تَنُـوح علـى مـرن
زهـتْ اسـكندريةُ يـوم سِـيقُوا ودِميـاطٌ فَمـا مِنيـا بِغَـبن[3]

فالـشاعر يرسـم صـورة مذلـة للـسبايا ، حـين حـول اللقـاء بالأحبـة والأهـل والـذي عـادة مـا يكـون رمـزاً للفرحـة والـسعادة ، إلـى موقـف فـي منتهـى الألـم والـذل والتـشفي بمـآل سـبايا الـصليبيين ، وهـي مـن الـصور المقلوبة للواقع .

---

[1] - ينظر : العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** : 491/1 - 496 .
[2] - المرجحن : المائل. ينظر :ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (رجح).
[3] - الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** : 495/1 ، أبو شامة المقدسي ،**الروضتين** : 297/2 .

أمـا فتيـان الـشاغوري فتبـرز سـخريته وتهكمـه بالـصليبيين وأسراهم ، حـين جعـل سـباياهم تبـاع بـأبخس الأثمـان ، رغـم مـا يتمـتعن بـه مـن جمـال ، وتلـك مـن المفارقـات الهجائيـة أن يـذكر الـشاعر الـصورة المعكوسة للمهجو ، وفيها يقول : " الكامل "

حتـى لقـد بِيعـتْ عقائِـلُ أُرهِقَـتْ بالـسبي بـالثمن الأخَـس الأحقَـر

مِـن كـل حـوري ضـئيل موشـحٍ[1] كالغُـصن ميـاداً ثقيـل مـؤزر[2]

وأوانِـس مثـلَ الـشموس سـوافِراً مِـن كاعِـبٍ مِثْـل الغَـزال ومعـصِر[3]

ولـم تـسلم المـدن الإسـلامية الواقعـة تحـت الاحـتلال الـصليبي مـن ألسنة الـشعراء ، إلا أن هجـو المـدن هنـا يختلـف عـن النمـاذج التـي عرضـها الـدارس فـي هجـو المـدن سـابقاً ، فـالتعريض هنـا تطـرق إلـى المقاومـة العنيفـة التـي أظهرهـا المـدافعون الـصليبيون فـي وجـه الجيـوش المجاهـدة التي سـعت إلـى تخليـصها مـن أيـدي الغـزاة ، ومـن الـشواهد الـشعرية علـى ذلـك ، مـا عبـر عنـه ابـن القيـسراني فـي حديثـه عـن مدينـة الرهـا ، حـين وصفها بمدينة إفـك تعبيـراً عـن الغـضب اتجـاه أهلهـا فـي قـصيدة منهـا هـذه الأبيات ، حيث يقول : " الطويل "

مدِينَـةُ إفْـكٍ منْـذُ خمـسين حِجـةً يفُـل حديـد الهنـدِ عنْهـا حِـداده

وجامِحـةٍ عـز الملـوك قيادهـا إلـى أن ثناهـا مـن يعـز قِيـاده

فأضـرمها نـارين : حربـاً وخِدعـةً فمـا راع إلا سـورها وانهـداده[4]

---

[1] - الموشح : الملتف . ينظر:ابن منظور،**لسان العرب**، مادة (وشح) .

[2] - المؤزر : الشديد . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (أزر) .

[3] - **الديوان** : 144 .

[4] - محمد ، عادل جابر ، **شعر ابن القيسراني** : 148 - 149.

ولعل النماذج الشعرية التي عرضت في هجو الصليبيين والتعريض بهم ، تظهر للدارس ظاهرتين إحداهما ، عكست مقدار العداوة والكراهية الشديدتين للغزاة الصليبيين ، لما ارتكبوه من جرائم ضد المسلمين ، وجاءت تلك الأشعار معبرة عنهما ، والثانية : أظهرت الدور المساند الذي أداه الشعراء في التحريض على الغزاة والحث على الجهاد ، ويكون الهجاء بذلك قد أدى دوراً إيجابياً في تصحيح بعض الأوضاع السياسية في تلك الفترة الزمنية من حكم الزنكيين والأيوبيين .

3. ألقابهم وأوصافهم ومسمياتهم :

من المعاني التي رمى الشعراء بها أعداءهم الصليبيين وصفَهم بالكفر، وهي تهمة ترددت على ألسنة الشعراء إلى نهاية المواجهة مع الصليبيين ، وقد عبر عن ذلك ابن عنين ، في قوله : " الكامل "

أَجليتَ ليلَ الكُفْرِ عنها فانْطوى — وأَنَرتَ في عرصاتِها فَجر الهدى
والكُفْرُ معتَصِمٌ بِسورِ مشرق الـ — أَبراجِ أَحكِم بالصفيحِ وشُيدا[1]

وجمع ابن القيسراني في ذمه للصليبيين بين صفتين امتهاناً لهم وزيادة في ازدرائهم ، فوصفهم بأنهم أهل باطل وضلال ، في قصيدة يشيد فيها بفتح الرها ، منها قوله : " المتقارب "

أَما آن أَن يزهقَ الباطلُ — وأَن ينْجِزَ العِدةَ الماطِلُ[2]

---

[1] - **الديوان** : 61 ، وللاستزادة ينظر : نفسه 33.

[2] - العِده : الوعد ، والمطل : الذي يسوف . ينظر :ابن منظور، **لسان العرب** ، مادتي (وعد ، ومطل) .

إلـى كـم يغـب ملـوك الـضلال سـيفٌ بأعناقهـا كافِـلُ[1]

وقـد يلجـأ الـشعراء فـي هجـوهم للـصليبيين ، إلـى أوصـاف ذميمـة ، تـدلل علـى أن الحـرب التـي دارت بيـنهم وبـين المـسلمين ، أفـسدت العلاقـة بـين الطـرفين ، فـدفعت الـشعراء إلـى اسـتعمال تلـك الألفـاظ القبيحـة ، كمـا فعـل ابـن منيـر الطرابلـسي ، حـين وصـفهم بـأنهم أهـل صـليب ، وكفـار ونجس في قصيدة يمدح فيها نور الدين ، ومنها قوله : " الكامل "

يـا هـضبةَ الإسـلامِ مـن يعـصم بهـا يـؤْمِن ومـن يتـول عنهـا يكفُـر
كـانوا علـى صـلب الـصليب سـرادقاً أتـبـتْ بنيتَـهُ بكـل مـذكر
آثـارهم نجـسٌ أذالَ المـسجد الـ أقـصى قـصن مـا دنـسوه وطهـر[2]

وينعـتهم فتيـان الـشاغوري بـآل الأصـفر ، ويقـرن صـفرتهم بـصفرة رايـات صـلاح الـدين الأيـوبي ، التـي لا تنثنـي ، إلا وقـد غـدت حمـراء لمـا نهلت من دمائهم ، فيقول : " الكامل "

راياتُـه صـفْراً تَـردن وتَنْثنـي حمـراً تمـج نجيـع آل الأصـفَر[3]

وتفـنن الـشعراء بابتكـار التـسميات ، والألقـاب للـصليبيين زيـادةً فـي تحقيـرهم وإهـانتهم ، وكلهـا ألقـاب تـوحي بـالبغض لهـم ، فهـذا ابـن منيـر الطرابلـسي يطلـق علـيهم تـسمية جديـدة ، فيـسميهم بـ (بنـي القُلْـفِ) فيقول : " الرمل "

---

[1] - محمد ، عادل صالح ، **شعر ابن القيسراني** : 333 .
[2] - **الديوان** : 250.
[3] - **الديوان** : 141 .

يــا لهــا همــةُ ثغــرٍ أضــحكتْ   من بنــي القُلْــفِ[1] ثغـور الـشامتين[2]

فالـشاعر يـستهزئ بهـم ، ويغمـز بهـم ملمحـاً مـن خـلال لقـبهم إلـى عدم اختتانهم .

وربمـا انحـدر الـشعراء فـي هجـوهم للـصليبيين ، إلـى درجـة الـسب والشتم زيادة في تحقيـرهم ، كمـا فعـل ابـن قـسيم الحمـوي حـين وصـف ملـك الـروم بوصـف قبـيح ، فهـو كالكلـب ، حيـث يقـول فـي مـدح صـلاح الـدين العمادي صاحب حماة :   "الطويل"

ومــا جــاء كلْــب الــروم إلا ليحتــوي   حماة ، وما يسطو على الأسـدِ الكلْـب

أراد بهــا أن يملِــك الــشام عنْــوةً   وقد غُلبـتْ عنـه الـضراغمةُ الغلْـب[3]

فالــشاعر يــصف أميــر حمــاة بالأســد ، أمــا ملــك الــروم فيــشبهه بالكلب ، ويبين أن الكلب لا يمكن أن ينتصر على الأسد .

ويبدو أن الشعر ردةُ فِعـل علـى المجـازر التـي ارتكبهـا الـصليبيون ضـد المسلمين ، وهي التي دفعتهم إلى إطـلاق الأوصـاف القبيحـة بحقهـم ، فقـد وصـف فتيان الشاغوري قائد الفرنجة بصفات تثير السخرية ، فهـو جبـان لا يملـك الـشجاعة لمواجهة قائد المسلمين ، ونعته بالكلـب ، واللئـيم وهـي صـفات تحـط مـن قـدره ، وتجعله في موضع السخرية والتهكم ، وفيه يقول :   "الطويل"

رجـا الكلْـب ملـك الـرومِ إذْ ذاك فتْحهـا   فخـاب فـأمُّ الملـكِ والـرومِ هابِـلُ[4]

---

[1] - القُلف : هم الروم الصليبيون وسموا بـذلك لأنهـم لـم يختنـوا .ينظـر: ابـن منظـور ، **لـسان العرب** ، مادة (قلف).

[2] - **الديوان** : 228.

[3] - **الديوان** : 26 .

[4] - هابل : الثاكل ، وقيل هبلته أمه ثكلته . ينظر :ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (هبل) .

فعـادوا علـى الأعقـابِ مِنهـا هزيمــةً كـأنّهم ذُلاً نَعـامٌ حوافِـلُ[1]

وقـد تنوعـت المـسميات والألقـاب ، التـي أطلقهـا الـشعراء علـى الـصليبيين بهجـوهم لهـم ، ويبـدو أن تلـك المـسميات بـسبب كـره المـسلمين الشديد لأولئـك الغـزاة الـذين ارتكبـوا مجـازر كثيـرة ، وسـبب قـدومهم ويـلات لتلك المجتمعـات الآمنـة ، وتظهـر تلـك المـسميات فـي قـصيدة واحـدة للـشاعر الرشيد النابلسي ، حيث يقول : " البسيط "

هـذا الـذي كانَـتْ الآمـالُ تَنْتَظِـر فَلْيـوفِ أقـوامٌ بمـا نَـذَروا
يـومٌ يِـهِ التـأم الكفّـار فـي عـددٍ جـم ولكـن لِكَـسرٍ لـيس ينْجبِـر
حـين يِـهِ حـان هلُـك المـشركين بهـا طيـب العـشَايا مِنْـه والبُكَـر
يا بهجةَ القُدس إذ أضـحى بـهِ علـم الـ إيمان مـن بعـد طـي وهـو منْتَـشِر
يـا نـور مـسجدهِ الأقْـصى وقـد رفَعـتْ بعـد الـصليبِ يِـهِ الآيـاتُ والـسور
أضـحى بنـو الأصـفر الإنكـاس موعِظـةً فيهـا لأعـدائِك الآيـاتُ والنـذُر
هـذا الـذي سـلَب الإفْـرنْج دولَـتَهم وملكِهم يـا ملـوك الأرض فـاعتَبروا[2]

فالـشاعر أطلـق لهـم عـدة مـسميات فهـم : بنـو الأصـفر ، الإفـرنج ، الكفـار المـشركون ، وأهـل الـصليب ، وأهـل النـاقوس ، وتـدل كثـرة تلـك الأوصـاف الـسابقة ، علـى أن الـشعراء كمـا يقـول أحـد الدارسـين " كـانوا يريدون التقليل مـن شـأنهم ، كنـوع مـن التحقيـر لهـم ، كمـا أنهـم لـم يكونـوا ملة واحدة "[3] .

1 - **الديوان** : 319 .
2 - الحبازي، مشهور، شعر الرشيد النابلسي : 134 ، عبـد المهـدي ، عبـد الجليـل حـسن ، **بيـت المقدس في شعر الحروب الصليبية** : 172 - 173 .
3 - خضير ، جبر سليمان ، **الحروب الصليبية من خلال الـشعر فـي مـصر والـشام فـي القـرنين السادس والسابع الهجريين** : 186 .

ومـن الأوصـاف التـي رمـى بهـا الـشعراء الغـزاة الـصليبيين ، تلقيـبهم بالبغـاة تحقيـراً لهـم ، وإظهـاراً لبـشاعة أعمـالهم فـي مـدن الـشام ، كمـا فـي قول ابن منير الطرابلـسي مـن قـصيدة لـه ، يمـدح فيهـا نـور الـدين فـي فـتح أحد الحصون منها ، قوله : " الكامل "

أدركْـتَ ثـأْرك فـي البغـاةِ وكنـتَ يـا مخْتَـار أمـةِ أحمـدٍ مختارهـا[1]

ويبـدو أن الـشعراء وجـدوا متنفـساً لهـم فـي تلـك الألقـاب والمـسميات ، ليعبـروا عـن غـضبهم ، وحقـدهم نحـو أولئـك الغـزاة الـذين كثرت جرائمهم ، وتجاوزت كل الحدود .

4. صفاتهم الخُلُقية :

ومـن المـضامين التـي ظهـرت فـي أشـعار هجـو الـصليبيين ، ذم الـشعراء وازدرائهـم بـصفاتهم الأخلاقيـة ، وأفعـالهم الـشائنة ، وممـا يلاحـظ علـى تلـك النمـاذج التـي هجـا بهـا الـشعراء الـصليبيين أن " هجـاءهم موضـوعي ولـيس عاطفيـاً ، أو ذاتيـاً بحيـث يخـرج عـن الموضـوع الأساسـي الذي قيل فيـه ، بـل لـم يحـاول الـشعراء أن يـصطنعوا عيوبـاً بـالإفرنج ليـست فيهم ، أو يرموهم بنقائض لا يعانونها منهم "[2] .

ولعـلّ سـمة الغـدر مـن الـسمات التـي تأصـلت فـي نفـوس قـادة الـصليبيين ، فكـان نقـض العهـود مـن العـادات المـستحبة عنـد قـادتهم وأمـرائهم ، وقـد وجـد الـشعراء فيهـا فرصـة للـسخرية مـنهم ، وإظهـار عـدم

---

[1] - **الديوان** : 240.

[2] - الهرفي ، محمد علي ، **شعر الجهاد في الحروب الصليبية** : 174 .

احترامهم لإنجيلهم الـذي يقـسمون بـه فـي معاهـداتهم ، فهـذا أسـامة بـن منقـذ يعرض بغدر قائـدهم ، ويـصور مـا نالـه مـن جـزاء يـستحقه نتيجـة خيانتـه ، فيقول :   " الطويل "

ونحــن كـسرنَا البغْــدوين[1] ومــا لِمــن كـسرناه إبــلالٌ يرجــى ولا جبــر
قَـسله اللّعــين الحــائن[2] الخــائِن الــذي له الغَدر ديـنٌ مـا يـِـوِ صـنِع الغَـدر
وقـــد ضــاقَتِ الــدنيا عليـــه بِرحبِهــا فلَـم ينْجُـو بـر ، ولـم يحمـه بحـر
أفــي غَــدرِهِ بالخَيــل يعــد يمينُــه بإنجيلــه بــين الأنــامِ لــه عــذر
دعتْــه إلــى نكْــثِ اليمــين وغَــدره بذمتِــوِ الــنفس الخسِيــسةُ والمكــر
تَــوهم عجــزاً حِلْمنَــا وأناتَنــا وما العجز إلا ما أتـى الجاهِـلُ الغَمـر[3]

فالـشاعر يـزري بـه ، فهـو أحمـق خـائن ، وناكـث ليمينـه ، ممـا يجعله يشكك فـي صـدق إيمانـه بعقيدتـه حـين حنـث بمـا أقـسم عليـه ، فغـدر ونال جزاء غدره .

ويجعــل فتيــان الــشاغوري هــزيمتهم فــي حطــين جــزاء لمــا جنتــه أيـديهم مـن الغـدر بالمـسلمين ، ونقـضهم لعهـودهم ، وحنـثهم بأيمـانهم ، وفـي ذلك يقول :   "الكامل"

حــصدوا وكــان الغَــدر بــذْرهم فقَــد درســوا بــِـو وذُروا يِــأَوخَم بيــدر
ســقَتِ المماليــك الكــرام ملُــوكَهم كأسـاً بهـم سـقَتِ اللئـيمِ الهنْقَـري[4]

---

[1] - البغدوين : أحد ملوك الفرنج الصليبيين صاحب القـدس ، هلـك مـن جـرح أصـابه فـي وقعـة طبريا ، وأراح ا المسلمين منه سنة (508 هـ) . ينظـر : ابـن تغـري بـردي ، **النجـوم الزاهرة** 119/6 .

[2] - الحائن : الأحمق . ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (حان) .

[3] - **الديوان** : 202 .

[4] - **الديوان** : 145 - 146 ، والهنفري هو صاحب بانياس مـن ملـوك الـصليبيين أسـرهم صـلاح الدين الأيوبي بالقرب من طبريـة سـنة 583 هـ . ينظـر : ابـن تغـري بـردي ، **النجـوم الزاهرة** 277/6 .

فالشاعر يؤكد ما جنوه من غدرهم ، فصور غدرهم ببذور سيئة أنتجت حصاداً سيئاً ، وزيادة على ذلك وصف ملكهم باللؤم .

أما ابن القلانسي فيصور غدر الفرنج ، رغم تأكيدهم للمسلمين بحسن الوفاء ، فنالوا جزاء غدرهم ، فكان الجزاء أحد اثنين إما القتل أو الأسر ، وفي ذلك يقول : "الخفيف"

نَقَضوا هدنَةَ الصلاح بجهلٍ بعد تأكيدِها بحسن الوفاءِ

ولقُوا بغيهم بما كان فيهِ من فسادٍ يحلهم واعتِداءِ

لا حمى الله شَملهم من شَتاتٍ بمواضٍ تَقُوقُ حد المضاءِ

فجزاء الكفور قتْلٌ وأسرٌ وجزاء الشكُور خير الجزاءِ[1]

ومن الصفات التي هجاها الشعراء الإفرنج ، صفة النفاق ، فلم يتورعوا للكيد للمسلمين ، عن طريق نشر الشائعات ، وفي ذلك يقول ابن منير الطرابلسي : "الكامل"

وإذا العِدا زرعوا النفاقَ وأحصدوا كيداً فعزمك ناقِصٌ حصاد[2]

فالشاعر يصور الصليبيين بمزارعين يزرعون حباً ، وما يجنونه من زرعهم كثرة المكائد للمسلمين .

وقد ذهب الشعراء في هجوهم لهم إلى رميهم بالجبن ، والغَدر وألصقوا بهم الجهل ، والحمق والغباء ؛ لأنهم لا يأخذون العبرة مما يحلّ بهم من مصائب ، ومع ذلك يصرون على مواصلة ذلك الأسلوب والطريقة الغبية في فعالهم مع المسلمين ، كما حدث في عودتهم إلى

[1] - **ذيل تاريخ دمشق** : 342 .

[2] - **الديوان** : 275 .

مهاجمة بيت المقـدس مـرة أخـرى سـنة 587 هـ ، وفـي ذلـك يقـول الـشاعر - الرشيد النابلسي - :

" البسيط "

ويـح الفِرنْجـةَ بـلْ ويـل أمهـم أوهـا   فـيهم لبيـتٌ علـى العِـلاّتِ يعتبـر

فكَـم نَثَـرتهم ضـرباً إذا انتَظَمـوا   وكَـم نَظمـتُهم طَعنـاً إذا انتثـروا

كـم قـد سـقيتَهم ذُلاً ولا عجـبٌ   إن عربدوا سفهاً فـالقوم قـد سـكِروا

إن يمهـوك فـلا بِـدعٌ لجهلهـم   تَسعى إلى الأُسدِ في غاباتهـا الحمـر[1]

فالـشاعر ينعـتهم بنعـوت سـاخرة تـدليلاً علـى غبـائهم ، وجهلهـم ، فهـم كحمـر الـوحش ، لا يتعظـون بمـا حـل بهـم ، فيتـداركون أخطـاءهم ولا يكررونها .

وأكثـر الـشعراء مـن التعـريض بأخلاقيـات الـصليبيين ، وفظاعـة تجـاوزاتهم فرمـوهم بأقـذع الـصفات ، ونـددوا بمعـاملاتهم الـسيئة ،وينقـل لنـا ابـن الخيـاط صـوراً مـن جـرائم الأعـداء ، وكثـرة تجـاوزاتهم ، وطبيعـتهم الشريرة في القتل والفساد ، وفي ذلك يقول :

" المتقارب "

بنُـو الـشركِ لا ينكِـرون الفَـساد   ولا يعرفـون مـع الجـور قَـصدا

ولا يردعـون عـن القتـل نَفْـساً   ولا يتركـون مـن الفَتْـكِ جهـداً

فكَـم مـن فتـاةٍ بهـم أصـبحتْ   تَـدق مِـن الخـوفِ فَخْـذاً وخَـدا

وأم عواتـقَ مـا إن عرفْـ   ـن جـراً ولا ذُقْـن فـي الليـل بـردا

تَكـاد علَيهن مـن خيفـةٍ   تَـذُوب وتَتْلَـفُ حزنَـاً ووجـدا[2]

---

[1] - الحبازي ، مشهور، **شعر الرشيد النابلسي** : 137.

[2] - **الديوان** : 184 - 185 .

وتصل الزراية بالصليبيين لما يتصفون به من بغي ، وظلم وغدر وخيانة ، إلى تصويرهم بالأمم البائدة ، فنالوا جزاءهم من ا حين أرسل لهم من يحاسبهم على أفعالهم ، كما يبدو ذلك في قول ابن منير الطرابلسي : " الكامل "

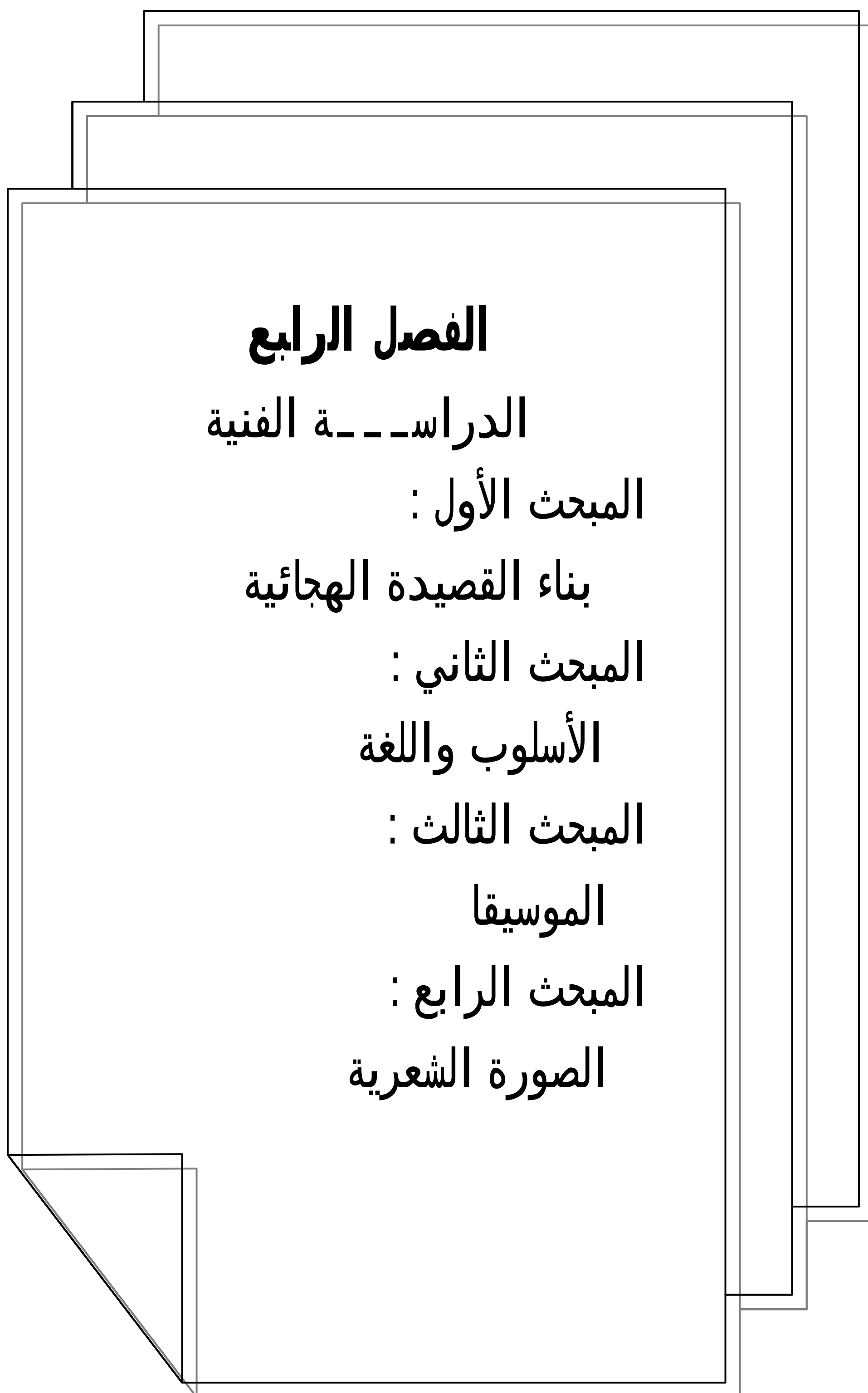
أودوا كما أُودي بعادٍ غيها وعقّوا[1] كما استَغْوى الفصيلُ ثمود
إن آلموا عقْراً فإنك صالحٌ أو آلموا غدراً فإنك هود[2]

فالشاعر يشبههم بقبيلتي عاد وثمود في أفعالهما وسيرهما في الظلم والغدر على سيرتهما.

---

[1] - عقّوا : كرهوا ، وعقا الأمر عقواً : كرهه ، ينظر:ابن منظور، **لسان العرب** ، مادة (عقو) .

[2] - **الديوان** : 259 .



الفصل الرابع

الدراســـة الفنية

المبحث الأول :

بناء القصيدة الهجائية

المبحث الثاني :

الأسلوب واللغة

المبحث الثالث :

الموسيقا

المبحث الرابع :

الصورة الشعرية

المبحث الأول : بناء القصيدة الهجائية :

اتخذ شعر الهجاء زمن الزنكيين والأيوبيين – في معظمه – المقطوعة الشعرية شكلاً تعبيرياً ، فجاءت القصيدة الهجائية عند غالبية شعراء هذا العصر مقطوعات قصيرة محددة الأبيات في نتف من بيتين إلى ما دون العشرة ، وربما اكتفى الشاعر ببيت يتيم ليبرز مشاعره الغاضبة ، ويظهر أليم هجائه اتجاه مهجوه بشكل لاذع ومركز ، وكان النظم على المقطوعات الهجائية ظاهرة فنية عامة ولافتة تُلْمح عند أغلب شعراء الهجاء " لأن الهجاء كان يستلزم ذلك ضرورة ، ليبلغ الشاعر بأبياته القليلة التي يركز فيها معاني محددة ما يرجوه من سرعة إيلام المهجو ، وما يتمناه من سرعة انتشار هذه الأبيات بين جماهير الناس "[1] فالميل إلى المقطوعات القصيرة بدت رغبة لدى الشعراء في هجوهم ، لأنها أسهل حفظاً ، وأسرع شيوعاً وانتشاراً على كل لسان ، وكلما كثر تناقلها بين الناس غدت أكثر إيذاء وأشد إيلاماً على المهجو وهذا ما سعى إليه هجاؤو العصر .

وقد أيد ظاهرة المقطوعات الهجائية القصيرة ، وأكّد شدة تأثيرها في النفس روايات كثير من الشعراء والنقاد رغم انقسام الشعراء اتجاه المقطوعات إلى قسمين : " قسم كان يفضل القصيدة القصيرة في أغراض الشعر جميعها ، وآخر كان يفضلها في الهجاء فقط "[2] وأما من

---

[1] - هدارة ، محمد مصطفى ، **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري** 421 .

[2] - بكار ، يوسف حسين ، **بناء القصيدة العربية** 321 .

فضلها فـي الهجـاء فَروايـة ابـن رشـيق والحـصري لمـا سـئل ابـن الزبعْـرى[1] " إنكَ تُقَـصر أشـعارك " فقـال ؛ لأن القـصار أولـج فـي المـسامع وأجـول فـي المحافل "[2] وفي موضـع آخـر قـال ابـن الزبعـرى : " حـسبك مـن الـشعر غـرة لائحة وسبة فاضـحة "[3] وقيـل للحطيئـة مـا بـال قـصارك أكثـر مـن طوالـك ؟ قـال : لأنهـا فـي الآذان أولـج وفـي الأفـواه أعلـق "[4] ، وقيـل لعقيـل بـن علّفة[5] : " لم لا تطيـل الهجـاء فقـال يكفيـك مـن القـلادة مـا أحـاط بـالعنق "[6] ، وقيـل لـبعض المحـدثين : مـا لـك لا تزيـد علـى أربعـة واثنـين ؟ قـال:" هـن بـالقلوب أوقـع ، وإلـى الحفـظ أسـرع ، وبالألـسن أعلـق ، وللمعـاني أجمـع ، وصاحبها أبلغ وأوجز "[7] .

وتُظهـر الروايـات الـسابقة إدراك الـشعراء ، ووعـيهم الـذهني لأهميـة الإيجـاز والاقتـصاد فـي الهجـاء ، فهـو أوكـد للـذيوع ، فـضلاً عـن التـشهير بـالمهجو ، وتـشويه سـمعته ، ويتحقـق ذلـك بالألفـاظ المـوجزة

---

1 - ابن الزبعْرى : هو عبد ا بن الزبعرى بن سعد بن سـهم ، مـن شـعراء مكـة الـذين ناصـبوا الرسول صلى ا عليه وسلم العداء ، توفي سنة 15هـ . ينظـر : ابـن سـلام ، **طبقـات فحـول الشعراء** 233/1 .

2 - **العمدة** 187/1 ، **زهر الآداب** 639/2 .

3 - أبو هلال العسكري ، **الصناعتين** 180 ، ابن رشيق ، **العمدة** 187/1 .

4 - أبو هلال العسكري ، **الصناعتين** 179 .

5 - عقيل بن علفة : هو عقيل بن علفة بن معاوية بن ضباب بن جـابر بـن يربـوع بـن غـيظ بـن مرة بن غطفان يكنّـى " أبـو الوليـد " تـوفي سـنة 100هـ . ينظـر : المرزبـاني ، **معجـم الشعراء** 203 ، الآمدي ، **المؤتلف والمختلف** 208 .

6 - أبو هلال العسكري ، **الصناعتين** 179 ، الجـاحظ ، **الحيـوان** 99/3 ، ابـن عبـد ربـه ، **العقـد الفريد** 128/2 .

7 - أبو هلال العسكري ، **الصناعتين** 179 .

والمعـاني المركـزة التـي يـستطيع الهجـاء مـن خلالهـا إفحـام خـصمه ، وإسكاته لما له من شدة وقْع في النفس ودوام في الذاكرة .

وهنـاك إجمـاع مـن النقـاد والـشعراء علـى أفـضلية قـصير الهجـاء علـى طويلـه " لأن " قـصره أوكـد لذيوعـه وخطورتـه ، وثقـل موقعـه علـى المهجو "[1] ،ولم يشذ عـن هـذا الإجمـاع إلا جريـر كمـا يـذكر ابـن رشـيق فقـد قـال لبنيـه : " إذا مـدحتم فـلا تطيلـوا الممادحـة ، وإذا هجـوتم فخـالفوا "[2] ، لكن دعوة جرير للإطالـة فـي الهجـاء لـم تلـق رواجـاً بـين أوسـاط الهجـائين ، بـل ظـل الاعتمـاد علـى المقطوعـات الهجائيـة ظـاهرة فنيـة بـارزة ، يلحظهـا الدارس عند غالبيـة الهجـائين خـلال هـذه الفتـرة الزمنيـة ، وعنـد غيـرهم مـن شـعراء العـصور الـسابقة ، وهـو مـا أشـار إليـه أحـد الدارسـين بقولـه : " إن الـشعراء مـالوا منـذ أوائـل القـرن الأول الهجـري إلـى المقطوعـة الهجائيـة لأنهـا أسـرع رداً وأبعـد تـأثيراً ، وأسـهل ذيوعـاً ، فكثيـر مـن المناسـبات والظروف الطارئة تستدعي قصير الهجاء "[3] .

ولا شـك أن اعتمـاد شـكل القـصيدة الهجائيـة علـى تلـك المقطوعـات القصيرة – خلال تلـك الفتـرة – أظهـر طبيعـة الهجـاء الـذي كـان يـدور حـول فكـرة واحـدة ، ويحمـل تجربـة شـعورية محـددة ، ويغلـب عليـه الإيجـاز والتركيـز ، وقـد عكـست تلـك الطبيعـة صـدق عاطفـة الـشاعر ، وتحققـت لـه معهـا الوحـدة والانـسجام ، فكانـت تلـك المقطوعـات القـصيرة سـهلة الحفـظ ،

---

1 - حسين ، محمد محمد ، **الهجاء والهجاؤون في عصر صدر الإسلام** 102 .

2 - **العمدة** 172/2 .

3 - التميمي ، قحطان رشيد ، **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري** 330 .

سريعة الانتشار ، قوية الإصابة ، شديدة التأثير على نفسية المهجوين إلى حد الإيذاء والتشهير بهم ، فكلّما رددتْها الألسن وصدعت بها الحناجر ظهر مقدار تأثيرها على مهْجويهم وتصرفاتهم .

وثمة ظواهر فنية يلمحها الدارس في تلك المقطوعات الهجائية تميزت بها ، وعدت من السمات والخصائص التي يستوجب ذكرها بعد هذه الدراسة ، ومنها :

1- وحدة الموضوع :

تميزت المقطوعة الهجائية بمحدودية أبياتها ، مما أكسبها وحدة الموضوع والمشاعر التي عبر عنها الهجاء ، وتكاد تلك الظاهرة أن تكون عامة في كثير من المقطوعات الهجائية ، فعلى الرغم من قلة أبياتها وقصر نفس الشاعر فيها ، فهي حافلة بالعاطفة الفياضة والمشاعر المتأججة ، لأنها دفقات شعورية قوية الانفعال شديدة التأثير . فكلما كانت القصيدة أقرب إلى القصر ، أو إلى شكل المقطوعة زادت حدتها الشعورية والفنية معاً "[1] ، وقد برزت تلك الوحدة الموضوعية من تحلل الهجائين في هذا العصر من البدايات التقليدية التي نهجها سابقوهم في قصائدهم ، فمنحت الهجاء الحرية الكاملة في التعبير عن موقفه ، دون أن يفصل بينه وبين قضيته حاجز، يكبت فيها شعوره وإحساسه نحوها .

ويبدا للقارئ أن هذه الظاهرة اقتصرت على نماذج الهجاء الشخصي والاجتماعي ، ففي تلك المقطوعات الهجائية غلبت الوحدة

[1] - القط ، عبد القادر ، **في الشعر الإسلامي والأموي** 133 .

الموضـوعية ،العاطفـة الواحـدة علـى أشـعارها ؛ لقلّتهـا ومحدوديـة قـضاياها ، وشدة انفعال شعرائها .

ومـن الـشواهد التـي تُمثـل تلـك الظـاهرة ، فمـن الهجـاء الشخـصي نـرى قـول ابـن الـساعاتي يهجـو نمامـاً لا يتوقـف عـن نقـل الأحاديـث بـين النّـاس ، رغـم ضـعف بنيتـه الجـسدية ، ويعبـر عـن تلـك الـصفة الذميمـة بموقف شعوري واحد ، إذ يقول : " الخفيف "

وضعيفِ البِنـاءِ عـن حمـل ثوبيـ ـــهِ قـوي فـي نَقْـل كـل حـديثِ
فهو لو كان مِثْـلَ أحـدٍ لمـا قـصـ ـــصرعن حملِـه يـسيرِ حثيـثِ
هـو كالـذّر لا كمثـل أبـي ذر[1] ر وكـم بـين طيـبٍ وخبيـثِ[2]

فالـشاعر يخـتص مهجـوه فـي أبياتـه بتلـك الـصفة الذميمـة دون غيرها ، ويظهر نقده اللاذع له بذلك الشعور القوي .

أما سليمان بن بليمـان فقـد عبـر عـن خيبـة أملـه فـي رجـل صـادقه ، فوجـده ناقـضاً للعهـود خـافراً للـذمم ، بعـد تجربـة حقيقيـة عايـشها ولمـسها واقعاً ، فتركه بعدها ، إذ يقول : " الخفيف "

قيـل لمـا تَركْـتَ دار بهـاءِ الـد دِيـن[3] ذي الجـودِ والنجـادِ العريـق
وتبـدلْتَ صـاحِباً غَيـر ذَاك الـ ـماجدِ الـسمح ، الـودودِ الـشفيق
قلـتُ مـا إن تَركْتُـه عـن كِـلالٍ بـلْ تَحققْـتَ غَايـةَ التّحقيـق
إنـه لا يفـي لخـل ولا يـر عـب إلا فـي فاسـق زِنْـديق
قل مـن يحفَـظُ الـذِّمام ومـن تلـ ـقاه عونـاً فـي كـلّ أمـرٍ مـضيق[4]

---

[1] - الذر الأولى صغير النمل ، وأبو ذر الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري المعروف .
[2] - **الديوان** : 73/2 .
[3] - بهاء الدين : يبدو أنه صديق للشاعر ، لكنني لم أهتد إلى ترجمته .
[4] - ابن الشعار ، **عقود الجمان** 69/2 .

فالشاعر يعرض بصديقه الغادر ، ويعبر عن بغضه لتلك الصفة الذميمة من خلال تلك الأوصاف التي وصمه بها .

وقول عرقلة الكلبي يعبر عن خيبة أمله في قوم مدحهم فتأمل منهم جزيل العطاء على شعره ، فكان أجرهم له حفنة من الشعير بديلاً من المال ، وقد دفعه يأسه وغضبه لذمهم ورميهم بالبهائم ، وفيهم يقول : " الطويل "

يقُولون لِما أَرخَصتَ شِعركَ في الورى — فقلتُ لهم إذ ماتَ أهلُ المكارمِ

أُجازى على الشعر الشعير وإنه — كثير إذا استخْلَصتُه من بهائِمِ[1]

ولعل أجمل الشواهد التي يتَمثلُ بها للوحدة الموضوعية في نطاق الهجاء الاجتماعي أبيات للجليس بن الحباب ينتقد فيها طبيباً ويشكو من قلة خبرته ، وتقاعسه عن علاجه من الحمى حتى غدا غراب بين لا خير في طبابته ، إذ يقول : " الوافر "

وأَصلُ بليتي من قد غزاني — من السقْمِ الملح بِعسكرين

طبيب طِبه كغراب بينٍ — يفَرقُ بين عافِيتي وبيني

أَتى الحمى وقد شاخَتْ وباخَتْ — فَرد لها الشّباب بنُسختين

ودبرها بتدبيرٍ لطيفٍ — حكاه عن سِنانٍ[2] أو حنَينٍ[3]

---

[1] - **الديوان** : 94 .

[2] - سنان : هو أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة ، الطبيب الحراني ، كان نصرانياً ثم أسلم ، له تصانيف عدة خاصة في الرسائل منها : " رسالة في أخبار آبائه وأجداده " ورسالة في الفرق بين المترسل والشاعر " ورسائل أخرى ، و " كتاب **التاجي في سيرة عضد الدولة** ، توفي سنة 335هـ . ينظر : ابن أبي أصيبعه ، **عيون الأنباء** :307 .

[3] - حنين : هو أبو زيد ، حنين بن إسحق العبادي ، المسيحي الطبيب البغدادي المشهور ، له العشرات من المصنفات في الطب منها : " **كتاب البيطرة** " و " **أسماء الأدوية المفردة** " وغيرها توفي سنة 260هـ .ينظر:ابن أبي أصيبعه،**عيون الأنباء** 257-274،ابن خلكان،**وفيات الأعيان** 2/217-218،أبو شامة المقدسي،**الروضتين**5/2.

وكانت نَوبةً في كل يومٍ   فصيرها بِحذْقٍ نوبتين[1]

فالشاعر ينتقد جهل الطبيب وسوء تدبيره في حق مريضه بأسلوب ساخر ولاذع وإحساس ينم عن الألم ، وشدة الغيظ من تصرفه .

ويذهب ابن دنينير في نقده والي دمشق إلى حد اتهامه بالنفاق في أدائه فريضة الحج خوفاً من الملك المعظم عيسى ، واستغل الشاعر تلك المناسبة لنقده بأسلوب قوي ولاذع ، يكشف من خلاله مقدار التناقض في شخصيته وتصرفاته المتصنعة ، فيقول :   " البسيط "

حججتَ يا شر خَلْق ا كُلهم   لما تَعريتَ من مالٍ ومن جاهِ

وكان حجك يا من لا خلاقَ له   خَوفَ المعظّمِ لا خوفاً مِن ا ِ[2]

فالشاعر يبغض شخصية مهجوه المتناقضة ، ويفضح زيفها في العبادة حين يصرح بأن حجه رياء لا خوفاً من ا .

وبالنظر لتلك النماذج من المقطوعات الهجائية نجدها بعيدة عن التعقيد ، تبدو فيها بساطة التعبير والعفوية التي لا تكلف فيها ، ويدور موضوعها حول فكرة واحدة ، وتلك سمات تحقق لها سهولة الحفظ وسرعة الانتشار ، وهذا ما يسعى إليه الهجاء ليضمن لها السيرورة والعلوق بالأفواه .

2- الحكاية القصصية :

اعتمد الهجاؤون في مقطوعاتهم الهجائية خلال هذه الفترة على الأسلوب القصصي ، وتلك تقنيات وظفها الشعراء في هجوهم بقصد

---

[1] - أبو شامة المقدسي ، **الروضتين** 5/2

[2] - **الديوان** : 609 .

تحطـيم مهجـويهم وإلـصاقهم بـأقبح الرذائـل النفـسية ، وكـشف جوانـب الـنقص فـيهم " ويبـدو أن اتـساع هـذا الأسـلوب لتفـصيل الكـلام ، ولقربـه مـن طريـق المحادثـة والقـصة ، لمـا يحتملـه مـن قـول ورد ، وسـؤال وجـواب ، وحـوار ونقاش ، هـو الـذي حمـل الهجـائين علـى اتخـاذه سـبيلاً لفنيـة الهجـاء "[1] فهـا هـو الـشاعر علـم الـشاتاني يـصطنع هـذا الأسـلوب ، مـستخدماً الحـوار التشخيصي في سخريته من خصم له وثب عليه أسد، فيقول : " الخفيف "

قلـتُ : لِليـثِ : لـم تَـأخرتَ عنْـه حـين غَادرتُـه لـديك صـريعا
قـال : قـدرتُ أنني حـزتُ صـيداً فتَأملتُـه فكـان رجيعـا[2]
فأبـتْ نفـسي الأبيـةُ عنْـه أن تَـرى أكْلَـه وإن مـت جوعـا[3]

فالـشاعر يـسخر مـن مهجـوه بتلـك الحكايـة التـي اصـطنعها ، مـستخدماً الحـوار التشخيـصي وكـأن الأسـد شـخصٌ يحـاوره ، قاصـداً إيلامـه وإذلالـه ، فقلـل قيمتـه واستـصغر شـأنه ، فـي حـين جعـل نفـسه أبيـة تعـاف أكله وإن شارفت على الموت جوعاً .

وعمـد الـشعراء فـي بنـاء مقطوعـاتهم الهجائيـة إلـى المحـاورة ، للنيـل مـن مهجـويهم ، والازدراء بهـم ، كمـا فعـل ابـن عنـين فـي هجـوه للرشيد النابلسي والتشهير بـه ، فقـد توسـل لتحقيـق تلـك الغايـة بكـلّ مـا يمتلـك من طاقة وبراعة لغوية ، إذ يقول : " الوافر "

شَـكا شـعري إلـي وقـال تَهجـو بِمثْلـي عِـرض هـذا الكلْـبِ اللئـيم

---

[1] - التميمي ، قحطان رشيد ، **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري** 347 .
[2] - الرجيع : النجو والروث . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (رجع) .
[3] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 375/2 .

فقالتُ له : تسل قرب نجمٍ هوى في إثر شَيطانٍ رجيمِ[1]

فالشاعر استخدم الحوار في هجوه ، ووظفه ليكون وسيلة للازدراء والتهكم من خصمه ، معتمداً فيه على التشخيص ، وتمثّل ذلك في خلع الشاعر للحياة الإنسانية على ما ليس بإنسان وهو الشعر ، وتلك صورة جعلت من قصته أكثر متعةً ، وهذا المعنى عبر عنه أحد الباحثين في قوله : " إن التصوير بالقصة كثيراً ما يكون أمتع وأوقع ، والنفوس إلى الاستجابة إليه أسرع "[2] .

وقد يتخذ الهجاء السرد القصصي وحده دون الحوار في بناء حكايته القصصية بصورة متسلسلة ، تتصاعد أحداثها ، فتجعلها أكثر اقتراباً لسامعها من ناحية ، وأشد إيذاء واحتقاراً للمهجو من ناحية أخرى إلى جانب بلوغ الهجاء إلى هدفه في التشهير والسخرية اللاذعة من خصمه ، كما فعل ابن عنين في هجائه للمرتضى بن عساكر[3] ، إذ يقول : " الكامل "

مالي أَرى المرء اللّعين قد اختَفى هذه جِنَاياتُ الأيودِ على القفَا
وسمتْ تواسيم الحبيبِ جبينَه والصفْع خَير لِلمحِب من الجفا
عينَتْ بِهامتِه النعالُ فما انْثَنَتْ حتى انْثَنَى مِن وقْعِهن على شَفَا
فَغَدا يكتم أمره ومصابه طمعاً بأَن يخْفَى وقد برح الخَفَا

---

1 - **الديوان** : 188 .

2 - بلبع ، عبد الحكيم ، **النّثر الفنّي وأثر الجاحظ فيه** 173 .

3 - المرتضى بن عساكر : لم أهتد إلى ترجمته فيما وقع بين يدي من مراجع .

هيهاتَ أن يخْفَى مصابك بعدما خطّ المداس على جبينك أحرفا[1]

فالشاعر سرد تلك الحادثة ، وكررها أكثر من مرة في ديوانه[2] في ثوب قصصي ساخر ، عبر من خلالها عن تشفّيه بمهجوه ، وحرصه على فضيحته ، وقد أبدى فيها روح الانتقام ، وتبدو من كثرة المثالب التي تَتَبعها فيه .

واتخذت بعض المقطوعات الهجائية سبيل المفاجأة في عرض الحكاية القصصية ، فظاهر الحوار فيها يبدي مدحاً لدى المتلقي ، لكن الشاعر يفاجئ سامعه بالقدح ، وتلك صورة ساخرة نجدها عند ابن منير الطرابلسي في هجوه لأبي نزار النحوي حين رأى يده مربوطة بمنديل بعد أن عضته قطة ، وفيه يقول : " المتقارب "

عتبتُ على قِطِّ ابن منير وقلتُ : أتَيتَ بغير الصوابِ

جرحتَ يدا خُلِقَتْ للنّدى وبذْل الهباتِ وضربِ الرقابِ

فقَالَ لي القِط : ويك انتبه أَلَيس القِطاطُ عِداةَ الكِلابِ[3]

فالشاعر اعتمد في حواره على التشخيص حين جعل من القط شخصاً يبدي له عتباً على سوء فعلته ، مع شخص لا يستحق منه هذا الفعل ، فاليد التي تجود كرماً وتنشر علماً ، وتجالد الأعداء شجاعة تحتاج إلى التكريم ، لكن الشاعر يفاجئنا في البيت الثالث بقدحه نافياً كل ما ذكر، وبصورة ساخرة حين جعل مهجوه في صورة كلاب تحقيراً له .

---

1 - **الديوان** : 199 .

2 - ينظر: **الديوان** : 198 ، 200 ، 201 .

3 - **الديوان** : 174 .

أمـا ابـن عنـين فقـد اتخـذ مـن اسـم مهجـوه طريقـاً لعـرض حكايتـه القصصية بأسلوب يثير السخرية والتهكم ، إذ يقول : " المتقارب "

رَأيـتُ النّبـي عليـهِ الـسلام فقُمـتُ إليـهِ وقبلتُـه

فقـالَ: أيعقُـوب[1] يـروي الحديـثَ فقُلْـت : نَعـم ، فـالَ : مـا قُلتُـه[2]

3- الهجاء الساخر :

تُعـد الـسخرية الهجائيـة مـن الملامـح البـارزة فـي بنـاء المقطوعـات الهجائيـة ، وقـد اعتمـدت فـي بنائهـا علـى الفكاهـة والـتهكم المثيـران للـضحك ، ويبـدو أن الباعـث وراء هـذا الأسـلوب " هـو الرغبـة فـي نقـد العيـوب الجـسدية والنفـسية والاجتماعيـة والـسياسية ، بهـدف الإصـلاح وتقـويم الاعوجـاج ؛ ولا سـبيل أجـدى مـن الفكاهـة المتهكمـة فـي عـلاج الانحرافـات ، والعـادات الـسيئة والأخـلاق الرديئـة "[3] ، وذلـك سـبيل سـلكه شـعراء هـذا العـصر بغـرض إثـارة الـضحك والاسـتهزاء بـالمهجوين ، وقـد توسـل الـشعراء بكافـة الوسـائل لتحقيـق تلـك الـسخرية التهكميـة ، وعبـروا عنها فـي صـور مختلفـة ، ومنهـا : ذكـر الهجـو فـي معـرض المـدح ، وقـد عرفـه ابـن حجـة الحمـوي بقولـه : أنْ يقـصد المـتكلم هجـاء إنـسان ، فيـأتي بألفـاظ موجهـة ظاهرهـا المـدح وباطنهـا القـدح ، فيـوهم أنـه يمدحـه وهـو

---

[1] - يعقوب : هو الأمير شرف الدين يعقوب بن محمد الهـدباني الأربلـي ، تـولى دواويـن الـشام ، وكان ذا علم وأدب ، توفي سنة 645هـ في مـصر . ينظـر : ابـن العمـاد الحنبلـي ، **شـذرات الذهب** 403/7 .

[2] - **الديوان** : 137 .

[3] - قزيحة ، رياض ، **الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي** 283 .

يهجوه "[1] ، ومن الشواهد الشعرية التي تمثل ذلك الملمح قول ابن سناء الملك في صديق مصْلح : " السريع "

لي صاحِب أفديه من صاحبٍ حلْو التأني حسن الاحتيال
لو شاء من رقةِ ألفاظِهِ ألّفَ ما بين الهدى والضلال
يكفيك منه أنه ربما قاد إلى المهجور طيفَ الخيال[2]

فالشاعر في البيتين الأول والثاني يتحدث فيهما بما يوحي بالمدح والتقدير ، فهو يثني على صديقه بما اتصف به من الأناة ورقة الألفاظ ، ليجلب لمهجوه الرضا والارتياح ، غير أنه سرعان ما يفاجئ المتلقي بمعنى مغاير ، يقلب دلالة ما سبق أن ذكره .

ومن نماذج السخرية الهجائية التي يمزج فيها الشاعر بين ما يشْعِر بالثناء والمدح ، وبين القدح والذم الذي يطلبه ، قول ابن عنين في هجاء الموفق بن المطران[3] ، إذ يقول فيه : " المنسرح "

الحمد لله واجب الشكر قد اهتدى سيدي أبو نَصر
واتبع الحقّ حين لاح له فجر الهدى من دجنةِ الفَجر
وقالَ إن المسيح ليس بمعبودٍ وأفْتَى الصليب بالكسر

---

[1] - **خزانة الأدب** :261/1 .

[2] - **الديوان** : 480 .

[3] - الموفق بن المطران : هو موفق الدين أبو نصر أسعد إلياس بن جرجس بن المطران ، كان سيد الحكماء وأمير أهل زمانه في صناعة الطب وعملها ، وفّقه الله في الإسلام ، كان عارفاً بالعربية وله تصانيف عدة ، توفي سنة 587هـ . ينظر : ابن العماد الحنبلي ، **شذرات الذهب** 475/6 ، الصفدي ، **الوافي بالوفيات** 40/9-43 ، ابن تغري بردي ، **النجوم الزاهرة** 113/6 ، ابن أبي أصيبعه ، **عيون الأنباء** 650-657 .

فظـــن حـــساده معانَـــدةً أمـــراً وظـَــن الحـــسودِ لا يـــزري

قَالُوا نِفاقاً ولَـيس يفْـرقُ فـي الـ إســلامِ بـــين النّفـــاق والكُفْــر

مـا ذاك الإ ســتْر علـى عمـرٍ رب انتهـاكٍ خَيـر مـن الـستر

فقلـت يـا قـوم إن فـي عمـرٍ معــذِرةً إن ســمعتُم عــذْري[1]

فالـشاعر يـشعر المتلقـي مـن بدايـة قـصيدته بالمـدح فتغمـره الـسعادة لما سمعه ظناً منه أنّـه يمدحـه ، ثـم إذا بالـشاعر يعـدل عنـه إلـى هجـاء مقـذع يـشين صـاحبه بـدءاً مـن البيـت الـسابع إلـى نهايـة قـصيدته التـي بلـغ عـدد أبياتها سبعة عشر بيتاً إلـى الحـد الـذي ذهـب فيـه الـشاعر إلـى ذكـر عـورات المهجـو صـراحة ، وتـسميته الأشـياء بمـسمياتها بـشكل فاضـح ، وقـد عـزف قلم الدارس عن تكملة مـا تبقـى مـن القـصيدة لمـا يتـضمنه مـن ألفـاظ فاحـشة وكلمـات بذيئـة تتقـزز الـنفس عـن سـماعها ، ومـع ذلـك فـإن الـسخرية مـن المهجـو قـد تحققـت مـن خـلال التحـول المفـاجئ الـذي سـلكه الـشاعر ، وانتقاله من المدح إلى الذم ، فأدت إلى السخرية وإضحاك المتلقي منه .

ومـن أسـاليب الـسخرية التـي بنـى عليهـا الـشعراء مقطوعـاتهم الهجائيـة ، مـيلهم إلـى تـشويه صـورة المهجـو مـن خـلال تـصوير عيـوبهم الجـسدية ، وإظهارهـا بطريقـة غيـر معقولـة ، وإبرازهـا فـي صـورة شـاذة ، مـضخمة أمـام النـاظرين ، تثيـر الـتهكم والـضحك ، والنـوع المثيـر ينحـصر فـي العيـوب أو المـشاهد التـي تبـدو مرفوضـة مـستهجنة للرائـي ، وليـست كـذلك بالنـسبة لـصاحبها[2] ومـن تلـك العيـوب الجـسدية ضـخامة الأنـف التـي

---

[1] - **الديوان** : 194 – 195 .

[2] - ينظر : قزيحة ، رياض ، **الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي** 284 .

كانت مبعث ازدراء وسخرية من الشعراء ، كما عبر عن ذلك أبو عبد

ا الأزدي يصف أنف رجلٍ ، قائلاً : " الكامل "

أَعجب بمن إن حل في بيتٍ له ... فلأنْفِهِ في الدار بيتٌ ثانِ

وتكاد تُخفيه ضخامةُ أنفه ... فكأنّه أنفٌ بلا إنسان[1]

فالشاعر يبرز صورة أنف مهجوه في ضخامته كأنه بيتٌ يصلح سكناً ، بل ويزيد في العبث بصورته الإنسانية فيصوره بأنه أنف ليس له معالم إنسانية ، وكأنك أمام رسم كاريكاتوري يثير الضحك .

وقد تتأتى السخرية الهجائية من خلال العيوب الخُلقية ، لكنّها ، تتوقف على مقدار قدرة الشاعر على البناء اللفظي حين يصور خُلق أحد مهجويه في بخله – مثلاً- بصورة لا معقولة بحيث يرسم له صورة تثير الضحك ، كما فعل ابن منير الطرابلسي في هجو بخيلٍ ، بقوله : " مجزوء الرجز "

رغِيفُه من ذُرةٍ ... يصنَعه أو أصغَرا

مبيتَاً ملففاً[2] ... مبريقاً مبيكرا

لو جاز في عين الذي ... يأكُلُه لما درى

أو بلع الصائم ألـ ... ـفاً مِثْلَه ما أفْطَرا

كأنّما خبازه ... بهِ تحدى البشَرا[3]

فالشاعر أبدى سخريته الهجائية من خلال وصفِ رغيف البخيل ، وإظهار حجمه حتى غدا أمام المتلقي شيئاً لا وجود له ، أو شيئاً ثميناً يصعب نواله .

---

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 280/1 .

[2] - ملففاً : مغطى بكساء . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (لفف) .

[3] - **الديوان** : 159 .

واسـتخدم الـشعراء ألقـاب مهجـويهم طريقـاً للـسخرية والـتهكم بهـم ، كمـا فعـل ابـن عنـين فـي هجائـه لابـن عـدلان[1] ، وكـان ينبـز بـالجرذان بقوله : " البسيط "

شَاورتُ بعـض أخِلاّئـي وقُلْـتُ لـه   أريـد أُودِع كُتْبـي نَجـل عـدلان
فقـال : ذلـك جـرذان ومـصلحةٌ   أن لا يحـط كتـاب عنـد جـرذان[2]

فالـشاعر سـخر مـن مهجـوه وأزرى بـه حـين حولـه إلـى فـصيلة الجـرذان ، تلـك الحيوانـات القـذرة التـي تأكـل الكتـب ملمحـاً إلـى مهنتـه والغمز به ، فكان مثاراً للسخرية والضحك .

ومـن صـور الـسخرية تلاعـب الـشعراء بالألفـاظ عـن طريـق المظـاهر البديعيـة ، كمـا فعـل ابـن قـادوس فـي هجـو شـاعر أسـود ، إذ يقول : " السريع "

يـا شِبه لُقْمـانِ بِـلا حِكْمـةٍ   وخاسـراً فـي العِلـمِ لا راسـخا
سَـلَخْتَ أشـعار الـورى كلهـم   فـصرتَ تُـدعى الأسـود الـسالِخا[3]

فالـشاعر أبـدى سـخريته مـن الـشاعر باسـتخدام الجنـاس غيـر التـام فـي:(راسـخ وخاسـر) ، والـسخرية عـن طريـق التوريـة فـي كلمـة (الأسـود الـسالخ) فـالمعنى القريـب لـه الثعبـان الأسـود ، والمعنـى البعيـد الذي قصده هو الشاعر أسود البشرة الذي سرق أشعار غيره .

---

[1] - ابن عدلان : هو عفيف الدين أبو الحسن علي بـن عـدلان الموصـلي النحـوي ، كـان علامـة في الأدب ، له تصانيف في الترجمة وحل الألغاز تـوفي سـنة 666هـ . ينظـر :الـسيوطي ، **بغية الوعاة** 343 .

[2] - **الديوان** : 238 .

[3] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 226/1 .

وتكـون الـسخرية الهجائيـة مـن خـلال المقارنـة والمفاضـلة بـين شخـصيتين ، تنتهـي المقارنـة بتـرجيح كفـة أحـدهما علـى الآخـر ، كمـا فـي قول ابـن عنـين يهجـو الملـك العزيـز صـاحب مـصر[1] ويـشيد بالوقـت نفـسه بالملـك العزيـز طغتكـين بـن أيـوب[2] صـاحب الـيمن ، وتفـضيله علـى سابقه ، في قوله : " البسيط "

ما كُـل مـن يتَـسمى بـالعزيز لهـا أهـلٌ ولا كـل بـرقٍ سـحبه غَدِقـه

بـين العزيـزين بـون فـي فعالِهمـا هـذاك يعطـي وهـذا يأْخـذُ الـصدقه[3]

فالشاعر هجـا صـاحب مـصر هجـاء لاذعـاً حـين قـارن بـين بخلـه ، وجودِ صـاحب الـيمن ، وتُبـرز المقارنـة إيـذاء وإيلامـاً شـديداً بـالمهجو ، وقـد عـد أسـلوب الهجـاء بالموازنـة والمفاضـلة عنـد القـدماء مـن أشـد الهجـاء ، وأطلقـوا عليـه الهجـاء المقـذع[4] وهـذا الـشعور يحـدث أذى بـالمهجو " ولـو أن الشاعر نـسب إليـه عيبـاً معينـاً لتعـزى المهجـو بـأن غيـره قـد يكـون معيبـاً بمثلـه ، أمـا وهـذه الموازنـة تجعـل العيـب لاصـقاً بهـم دون غيـرهم ، فـذلك

---

[1] - الملك العزيز : هو الملك العزيز عثمان بـن صـلاح الـدين صـاحب الـديار المـصرية ، كـان ملكاً مباركاً كثير الخير واسع الكرم ، محسناً إلى الناس ، تـوفي سـنة 595هــ . ينظـر : أبـو شامة المقدسي ، **ذيل الروضتين** 25/5 ، ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** 251/3 .

[2] - العزيز طغتكين بن أيوب : أخو صلاح الدين ، سيره أخوه إلـى الـيمن سـنة 578هــ ليملكهـا ويقطع الفتن ، كان شديد السيرة ، مضيقاً على الرعيـة ، تـوفي سـنة 593هــ . ينظـر : ابـن خلكان ، **وفيات الأعيان** 523/2 ، ابن تغـري بـردي ، **النجـوم الزاهـرة** 141/6 ، أبـو شـامة المقدسي ، **ذيل الروضتين** 15/5 .

[3] - **الديوان** : 223 .

[4] - ينظر : ابن رشيق ، **العمدة** 170/2 .

يجعل المهجوين يشعرون بالحقارة ، إذا التقوا بأولئك الذين رفعوا فوقهم[1] ومن خلال تلك المهارة اللغوية للهجاء تظهر تلك السخرية .

4- المفارقة اللفظية :

وهناك ظاهرة لافتة في مجال السخرية الهجائية ، تمثلت في ميْل الشعراء إلى ما أسماه النقاد المحدثون " بالمفارقة " ، فقد أظهرت المقطوعات الهجائية في بنائها نزوعاً إلى تلك المفارقة الساخرة ، رغبةً من الشعراء للازدراء بمهجويهم ، وإبراز معاني النقص فيهم ، ويظهر الهجاء فيها خصمه بصورة مغايرة لما هو عليه واقع الحال عند غير المهجو إمعاناً في احتقاره والسخرية منه ، والمفارقة كما يعرفها البعض " لعبة لغوية ماهرة وذكية بين طرفين ، صانع المفارقة وقارئها ، على نحو يقدم فيه صانع المفارقة النص بطريقة تستثير القارئ ، وتدعوه إلى رفضه بمعناه الحرفي ، وذلك لصالح المعنى الخفي الذي غالباً ما يكون المعنى الضد"[2] وهي طريقة تستوجب من المتلقي ضرورة التّمعُن والتبصر في النص ، لإدراك أشكال التناقض بين ظاهر الكلام وبين معناه الخفي المقصود .

وسلك الشعراء سبلاً عدة في بناء مقطوعاتهم الهجائية على تلك المفارقة وصنعها ، فقد استغل بعض الشعراء اسم المهجو أو لقبه لعقد

---

[1] - بدوي ، أحمد ، **أسس النقد الأدبي عند العرب** 254 .

[2] - إبراهيم ، نبيلة ، **المفارقة** ، مجلة فصول ، م7 ، ع3+4 ، 1987م :132، عبد الرحمن ، نَصرت ، **في النقد الأدبي**61.

تلك المفارقـة ، كمـا فعـل هبـة ا بـن وزيـر فـي هجـوه لأحـد المـستخدمين علـى أمـوال الزكـاة ويـدعى " الزكـي " ليظهـر مـن خلالهـا سـوء الإدارة وتفـشي الاخـتلاس لأمـوال الدولـة ، ويبـين مـدى التنـاقض الـذي يبديـه واقـع الحال في المجتمع، فيقول : " مجزوء الكامل "

واحـــسرتاه علـــى الثقـــاتِ جعِـــلَ الزكـــي علـــى الزكـــاةِ!

وهـــو الـــذي لخيانَـــةٍ أبـــداً يعـــد مـــن الجنـــاةِ

ومتـــى تأمـــلَ دِرهمـــاً فـــي الجـــو صـــار مـــن البـــزاةِ[1]

وقد يلجـأ الهجـاء فـي بنـاء مقطوعتـه علـى تلـك المفارقـة مـن خـلال إيراد صـور متباينـة متلاحقـة ومتقابلـة ، كمـا فعـل عرقلـة الكلبـي فـي هجـاء أحدهم، بقوله : " المنسرح "

يا عـاذِلي هـلْ رأيـتَ أعجـب مِـن ذي عـــورٍ هـــائمٍ بـــذي حـــول

أقِـــل فـــي عينِـــهِ ويكثُـــر فـــي عينـــي بـــضد القيـــاس والمثـــل[2]

أمـا ابـن عنـين فاعتمـد فـي صـنع مفارقتـه علـى الإيهـام والتلاعـب بالممـدوح بلغـة خادعـة ، إذ بـدا ظاهرهـا يـشعر بالمـدح لكـن حقيقـة باطنهـا يحمل الهزء والقـدح ، ويعـد هـذا اللـون مـن الهجـاء الـذي " جمـع بـين الـذم وما أوهم أنه حمـد مـن أكبـر الـذم "[3] ولعـل قـصيدة ابـن عنـين التـي نظمهـا

1 - العماد الاصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 152/2 .

2 - **الديوان** : 85 .

3 - القرطاجني ، حازم ، **منهاج البلغاء** 350 .

على لسان " المجد بن الحلوانية "[1] وكان يعمل حائكاً خير شاهد على تلك المفارقة ، إذ يقول فيها : " الطويل "

لي الشّرفُ الأعلى الذي عز جانبه ... فلا أحد إلا ومجدي غالبه
وإني الذي لولا صنائع جده ... لما رفعتْ يوماً لملْكٍ مضاربه
فتًى يتقاضى صنعه النّاس دائماً ... فلم يخلُ يوماً من غريمٍ يطالبه
له قصباتُ السبق في كل موطنٍ ... يطيلُ إذا أسدى لمن لا يناسبه
ويسقي إذا الأنواء في العامِ أخْلَفَتْ ... فهلْ مثلَ آبائي تُعد مناقِبه
وكم قد كسونا من يتيمٍ وميتٍ ... سترنا ولولانا لبانَتْ معايبه
وكم قد سعى جدي لمد صنيعهِ ... تُهز لها أعطافُه ومناكِبه
وكم راض صعباً جامحاً متمنعاً ... يلاينُه طوراً وطوراً يصاعِبه
فأصبح من بعدِ الجماح وأسمحتْ ... قُرونَتُه حتى تولاّه راكِبه
وإني لمقدام إذا ما تأخرتْ ... بِغَيري في يومِ الطعان مراكِبه
ولستُ كمن ولى فِراراً من الوغى ... يطِيلُ سؤالاً عن رفيقٍ يصاحبه[2]

فالشاعر سلك أسلوباً يوهم أن المجد الحلواني يحمل مناقب يصعب حصرها في ظاهر الأبيات ، والحقيقة الواضحة تظهر أنه لا قدرة لمثل ذلك الحائك أن يخوض معارك في أيام عصيبة تصعب على فرسان مدربين أقوياء ، فهو يخدع المهجو بكلام ظاهره مدح ، وحقيقته مذمة ومنقصة له ، وتلك هي المفارقة في تعبير مقنّع يحمل وراءه معنى مستوراً أراد منه الشاعر إيلام مهجوه والسخرية منه .

---

[1] - المجد بن الحلوانية : هو أبو العباس أحمد بن المسلم الأزدي الدمشقي التاجر ، رحل إلى بغداد ومصر والاسكندرية ، وتوفي سنة 666 هـ .ينظر:ابن العماد الحنبلي،**شذرات الذهب**560/7.

[2] - **الديوان** : 125 – 126 .

وفـي مقطوعـة أخـرى اسـتخدم ابـن عنـين أسـلوباً آخـر فـي صـنع مفارقته ، فعمد إلـى إقامـة علاقـة غيـر متكافئـة بـين مهجـوه الرشـيد النابلـسي وبين " النعال " مـال فـي نهايـة الأمـر إلـى تـرجيح كفّـة النعـال عليـه ، حـين شخّصها بكائنـات حيـة لـديها مـشاعر وأحاسـيس تتـأذى ، وتتـألم مـن صـفعها به وملامستها لثيابـه ، وهـو أمـر لـم يجعلـه متـوفراً عنـد الرشـيد إمعانـاً فـي إيذائـــه وإيلامـــه وزيـــادة فـــي اســـتخفافه والـــسخرية منـــه ، وفيـــه يقول : " المتقارب "

تعجـــب قـــومٌ لِـــصفْعِ الرشــيدِ وذلـــك مـــا زالَ مـــن دابِـــهِ[1]

رحِمـــتُ انكـــسار قلـــوبِ النعـــال وقـــد دنّـــسوها بِأَثْوابِـــهِ

فـــوا لـــ مـــا صـــفعوه بِهـــا ولكـــنّهم صـــفعوها بـــهِ[2]

5- الإيجاز والتكثيف :

تميـزت المقطوعـات الهجائيـة بـالتركيز والإيجـاز ، فقـد أظهـر الهجـاؤون قـدرة فائقـة وبراعـة لغويـة فـي إيـصال أفكـارهم ، والتعبيـر عـن معانيهم ، وبلـوغ مقاصـدهم ببيتـين أو ثلاثـة أبيـات ، ليـتم معنـاه ويبلـغ مرامـه من النظم ، دون أن يجـد نفـسه مـضطراً إلـى المزيـد مـن الألفـاظ ، وهـذا هـو حـد الإيجـاز كمـا قـال ابـن الأثيـر : " حـد الإيجـاز هـو دلالـة اللفـظ علـى المعنى من غير أن يزيد عليه "[3] .

وقد عـد قـدامى النقـاد الإيجـاز فـي الهجـاء حـسناً ، بـل جعلـوا قلـة الألفـاظ تجمـل معانيـه ، لأنهـا تـؤدي الغـرض منـه كغيـره مـن أغـراض

[1] - دابه : دأبه من عادته وديدنه . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (دأب) .

[2] - **الديوان** : 185 .

[3] - **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** 74/2 .

الشعر الأخرى كما يذكر قدامة بن جعفر : " ومن الهجاء ما تجمل المعاني كما يفعل في المدح ، فيكون ذلك حسناً إذا أصيب به الغرض المقصود ، مع الإيجاز في اللفظ "[1] .

ويتضح من الأقوال السابقة أن العبرة في حسن النظم يتمثل بمقدرة الشاعر في الدلالة على مقصده من النظم وإن كانت ألفاظه قليلة، وقد دل على هذا الاتجاه كثير من الشعراء في كثير من مقطوعاتهم الهجائية ، ومن شواهدها قول ابن قادوس يعير مهجوه بسواد جلده في أسلوب ساخر ، ويركّز على تلك الفضيلة النفسية ، إذ يقول : " مجزوء الكامل "

إن قُلْتَ مِن نارٍ خُلِقْـ ـتَ وفُقْتَ كلَّ الناسِ فَهما
قُلْنَا صدقْتَ فما الذي أطفاكَ حتّى صِرتَ فَحما[2]

فالشاعر قصد النّيل من مهجوه ، فاكتفى بألفاظ قليلة توحي إلى تلك الفضيلة ، بغرض التهكم منه وإيذائه ، وهذا ما رمى إليه في البيتين دون أن يكون هناك مجال للزيادة .

وربما لجأ بعض الشعراء في مقطوعاتهم الهجائية ، إلى إيصال رسالة من خلال نقدهم الاجتماعي ، لبعض المتنفذين في السلطة ، وكشف تصرفاتهم ، وفضحها أمام النّاس بصورة موجزة ، ويمكن أن نلحظ ذلك في قول ابن المسجف يهجو والي دمشق في أسلوب ساخر ،

---

1 - **نقد الشعر** 115 .
2 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 29/1 .

يظهــر فــساده ، وفــساد حاشــيته ، وكــان قــد لقــب بــالغُرْز ، فيقــول فيه : " الرمل "

مــا خَليــلٌ يخَليــلٍ لا ولا صــحبه أهــلُ صــلاحٍ بــل فَــسادِ
لقّبــوه الغَــرز لا جهــلاً بــه صــدقُوا لكنّــه غَــرز[1] جــرادِ[2]

فالــشاعر نفــى الــصلاح عــن الــوالي وصــحبه ، ونــزع إلــى الــصنعة البديعيــة لإيــصال رســالته ، فــراوح بــين الجنــاس والطبــاق لإظهــار أفعالــه ، فهــو غــرز لا فــي الخيــر وإنمــا غــرز للــشر كــالجرادة تغــرز ذنبهــا فــي الأرض لتبيض فتتكــاثر ثــم تأكــل الأخــضر واليــابس ، وهــذا حــال الــوالي فــي ولايته .

ومــن أمثلــة الإيجــاز فــي المقطوعــات الهجائيــة - كــذلك – قــول أبــي الغمر الإسناوي في أحدهم : " المتقارب "

عــدا طَــوره حمقَــاً وادعــى فَخــاراً وقَــد جحدتْــه المعــالي
وقَــالَ أَنــم أَبلُــغ الفَرقَــدين[3] فَقُلْــتُ بلــى بقُــرونِ طِــوال[4]

فالــشاعر أزرى بمهجــوه ، ونفــى عنــه ادعــاءه المعــالي ، بــل جعــل حمقه يوصله إلى مرتبة الحيوانات ذوات القرون .

وقــد تعتمــد المقطوعــة الهجائيــة علــى التكثيــف الــذي أســماه النــواجي بالاكتفــاء، وعرفــه ابــن حجــة الحمــوي بقولــه : " أن يــأتي الــشاعر ببيــت مــن

---

1 - غَرْز : الأولى لقب الوالي وتعني : كلّ ما ســمر فــي شــيء أمــا غــرز الجــراد : ذنبــه فــي الأرض إذا أراد أن يبيض . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (غَرز) .

2 - ابن شاكر الكتبي ، **فوات الوفيات** 286/2 .

3 - الفرقدان : نجمان في السماء لا يغربان ولكنهما يطوفان بالجــدي ، وقيــل همــا كوكبــان قريبــان من القطب . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (فَرْقَد) .

4 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 161/2 .

الشعر وقافيته متعلقـة بمحـذوف ، فلـم يفتقـر إلـى ذكـر المحـذوف لدلالـة بـاقي لفـظ البيـت عليـه ، ويكتفـي بمـا هـو معلـوم فـي الـذهن فيمـا يقتـضي تمـام المعنـى "[1] والتعريـف يـشير إلـى أن الهجـاء لا يـتم الـسياق فـي مقطوعتـه وإنمـا يتـرك للقـارئ فرصـة إتمامـه لاعتقـاده أن تتمتـه موجـودة فـي ذهـن المتلقي ، ومـن الـشواهد علـى تلـك الظـاهرة قـول ابـن الـساعاتي حـين هجـا ابن سناء الملك ، قوله : " المتقارب "

أَتُــشمتُ بــي غَائِبــاً يــا ســعيد أمــا لــو حــضرتَ لأدبــتُ جنــك...

ولــستُ أَقــولُ هجــاء يــشين ويكْفِيــك عِلمــك يــا مجــد أنّــك...[2]

وهنـاك مقطوعـة لابـن المهنـا كتبهـا إلـى قاضـي حلـب ، يـشكو فيهـا نائبــة وكاتبــه ، وتقتــرب فــي بنائهــا مــن المقطوعــة الــسابقة ، إذ يقــول فيها : " السريع "

لا عجــب أن خَــرب الــشام أو أَقْـــوتْ مغَانيـــهِ ولا غَـــرو...

قــد أصــبح المجــد بــهِ حاكمــاً وأصــبح المنْــشِي لــه صِنْــوْ...

مــولاي ، محــي الــدين ، غيرهمــا عنّـــا فتحـــوى شُـــكْرنا أو...[3]

ولعــل القــارئ لهــاتين المقطــوعتين يحــس بالاكتفــاء بمــا ذكــر ولا يطلب إكمـال الـسياق لفهـم دلالتهـا علـى المعنـى مـن ناحيـة ، وربمـا يـشعر المتلقي باللهفة إلى المزيـد مـن أصـحابها ، ومـع ذلـك تبقـى لهـا آثـار إيجابيـة في نفس المتلقي .

---

[1] - **الشفاء في بديع الاكتفاء** 97 ، **خزانة الأدب**1 /282.

[2] - **الديوان** : 13/2 .

[3] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 98/2 .

ومع أن الهجاء زمن الزنكيين والأيوبيين اتخذ شكل مقطوعات قصيرة في غالبيته – كما ذُكر سابقاً – إلا أن النظم في هذا الغرض لم يخل من القصائد الطويلة ، لكن عددها قليل إذا ما قورن بما نظم فيه من مقطوعات قصيرة ، وعند النظر في بنائها يلمح فيها ظاهرتان : الأولى تخلصها من قيود القصيدة العربية القديمة التي يتشكل هيكلها من مطلع ومقدمة ومدخل وخاتمة ، وثانيهما تركيزها على فكرة واحدة وموضوع واحد ، وتلك خاصية تتقاطع فيها مع المقطوعات القصيرة ، غير أنها تزيد عليها بكثرة تفصيلاتها في استقصاء المعنى ، وهو السبيل الذي رمى من ورائه الشاعر بلوغ مقصده ، وإشفاء غليله من مهجوه .

ومن القصائد الطويلة التي تمثل هذا الاتجاه قصيدة ابن منير في هجاء القاضي الأغر " محمد بن هبة الله " قاضي دمشق التي بلغ عدد أبياتها واحداً وستين بيتاً ومطلعها :   " الخفيف "

لائمي قد سددتُ باب التعزي   كل لومٍ في لوعتي غير مجزِ[1]

وهي قصيدة قائمة في بنيتها على رسالة اجتماعية ، يظهر فيها الشاعر ما كان ينعم به من يتولون مراكز السلطة من الثراء الفاحش ، وبين ما يعاني منه عامة الناس من فقر مدقع ، وسوء حال في عيشهم ، وهذه الحال دفعت الشاعر إلى مهاجمة من استعْدوا على قوت الشعب ، وأَثْروا على حسابه ممثلين بذلك القاضي ، غير أن الشاعر اتكأ في نقده

[1] - **الديوان** : 192 .

على أسلوب مليء بالقذف والسباب ، واستخدام كلمات بذيئة وفاحشة في وصفه ، دفعت كثيراً من المؤرخين والأدباء للإعراض عن ذكر أبياتها ، فيما ذهب محقق الديوان عبد السلام تدمري إلى القول : " أستغفر ا على كتابتها وسامح ا ابن منير "[1] .

وقد استطاع ابن منير في أسلوبه القصصي أن يحافظ على وحدة القصيدة وموضوعها رغم فحش مفرداتها ، إذ بدأها بحكاية واصفاً حاله وموكب القاضي حين أقبل عليه ، بقوله : " الخفيف "

كُنْتُ يوماً في بابِ جيرون أَتْلو آيةَ الدين عِنْد بياعِ خُبزِ

فإذا وقّع بغْلةٍ وغلامٍ يفرج الناس بين دفْعٍ ولهزِ

وعليها فتى ضئيلُ المحيا مكثرٍ من ملونات وطُرزِ

قُلْتُ: من ذا ؟ فقيلَ قاضٍ جليلٌ لقبوه في بيتهِ بالأعزِ

وهو يأوي إلى ذكاءٍ وفَضلٍ قلت : يا نفس َقَد ظَفِرتُ بكَنْزِ[2]

ثم يستمر الشاعر في حكايته بهجاء مسف إلى الحد الذي يتجرأ فيه على وصمه بالفسق والعهر ، دون أن يكون عنده رادع أو وازع ديني يمنعه من هذا الفحش الصريح في نظمه ، ويواصل هجومه العنيف عليه، لكنه يعدل من فحشه الصريح إلى أسلوب الرمز والإيحاء ،

---

[1] - **الديوان** : 19 .

[2] - **الديوان** : 192 .

فنـراه يـنظم أبياتـاً علـى لـسان القاضـي مخاطبـاً بهـا نفـسه ، فيقول : " الخفيف "

قُلـتُ يـا سـيدي أنـا لـك كالكلـ ـــر زمـامي طـوع لـديك وغَـرزي
كيف صـرفْتني انْـسلاتُ فـلا تخْــ ـــشَ جمـامي ولا تُـؤثر قـزي
فمـضى يومنـا قـصيراً بـضم والتـزامٍ وقـرص جلـدٍ ونَقْـز
وجـرى بيننَـا اجتمـاع مـراراً فَمهـن طـوراً وطـوراً معـزي
أتُـرى يـسمح الزمـان لنَـا يـو مـاً فَنُـشْفي مـن الفِـراق ونجـزي[1]

والقـصيدة رغـم مـا تحملـه أبياتهـا مـن القـذف والـسباب والرمـي بـالفحش ، فقـد حملـت عناصـر جيـدة فـي الـنظم ، وتبـدى ذلـك مـن خـلال الطرافـة فـي الحكايـة ، والـسخرية اللفظيـة المتأتيـة مـن الأسـلوب القصصي ، مما جعلهـا أشـد إيلامـاً وهـذا مـا سـعى إليـه الـشاعر ، كمـا دلـل تسلـسل الحكايـة بأسـلوبها التقريـري والرمـزي علـى مهـارة فـي الـصياغة ، و عـزز ذلـك سـعة خيـال الـشاعر فـي تـصوير الأحـداث ، وتلـك الأسـاليب أبعدت عن القصيدة ، وعن متلقيها بعض الرتابة التي تعكس طولها .

ولابن منير قـصيدة أخـرى فـي القاضـي نفـسه بلـغ عـدد أبياتهـا اثنـين وثلاثـين و مئـة بيـت ، عـرض بعـض أجزائهـا أثنـاء الدراسـة وآثرنـا عـدم ذكرها منعاً للتكرار .

وخلاصـة القـول إن بنيـة القـصيدة الهجائيـة زمـن الـزنكيين والأيـوبيين جـاءت علـى صـورتين : المقطوعـات القـصيرة وهـي الغالبـة

---

1 - **الديوان** : 194 .

على هجاء الشعراء ، والقصيدة الطويلة وهي قليلة ، وعند عدد محدود من الشعراء أمثال ابن عنين وابن منير والقاضي الفاضل في الاتجاهين الشخصي والاجتماعي . أما الهجاء السياسي فقد ورد في ثنايا أغراض عدة كقصائد المديح ، والدعوة إلى الجهاد ، والتعريض بالعدو ، والإشادة بالقادة المسلمين ممن تصدوا للحملات الصليبية ، ولم أعثر سوى على قصيدة واحدة تُعرض بالصليبيين لفتيان الشاغوري لا تتعدى حدود السب والكلام الفاحش ، وما عداها من تلك الأشعار تركت دراستها ، إذ لا يعقل دراستها مستقلة ومنفصلة عن بقية أجزاء القصائد المأخوذة منها من ناحية ، كما أن هناك عدداً من الدارسين قد تناولها بالبحث والدراسة أمثال الدكتور عبد الجليل عبد المهدي في كتابه " بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية .

المبحث الثاني : الأسلوب واللغة :

يـراد بالأسـلوب طريقـة التعبيـر التـي تخيرهـا الـشاعر ، لتـصوير عواطفـه وأحاسيـسه ، وانتقـاء مـا يناسـبها مـن ألفـاظ وعبـارات كـي تـؤدي معانيـه ، وقـد عرفـه الجرجـاني بأنـه " الـضرب مـن الـنظم والطريقـة فيـه "[1] وقيـل عنـه : " إن الأسـلوب هـو الرجـل "[2] فالأسـلوب طريقـة الأديـب الخاصة فـي التعبيـر عـن فكرتـه الشخـصية بمـا لا يمكـن تـشكيلها فـي قالـب أُسـلوب أديـب آخـر ، وحـدد نقـاد القـرن الخـامس الهجـري جـودة الأسـلوب فـي وضـوحه " لأن الكـلام الـذي يعجـز عـن أداء معنـاه فـي وضـوح ، لا يحقق الهدف منه "[3] .

وتتفـاوت الأسـاليب بـين غـرض شـعري وآخـر ، كمـا تتبـاين لغتهـا ، فالأسلوب الـذي يناسـب الرثاء،ومـا يتطلبـه مـن ألفـاظ شـاجية ومعـان مُبْكيـة ، هـو غيـر الأسـلوب الـذي يناسـب المـدح والفخـر ، ومـا يتطلبـه مـن قـوة وجزالـة ، وكـذلك الغـزل الـذي يتطلـب الرقـة واللطافـة ، وينطبـق الاخـتلاف على بقيـة أغـراض الـشعر الأخـرى . أمـا الهجـاء زمـن الـزنكيين والأيـوبيين فقـد مـال – فـي غالبيتـه – إلـى الأسـلوب الـشعبي الـذي يتناسـب وطبيعـة العـصر ، فمعظـم شـعرائه مـن عامـة النـاس ، وأشـعارهم تتوجـه إلـى عامـة النـاس ، لنقـد أوضـاعهم الاجتماعيـة تـارة، والتنـدر والـسخرية تـارة أخـرى ، لـذا جـاءت أشـعارهم مـن لغـة النـاس الدارجـة والمحكيـة علـى ألـسنتهم ،

---

[1] - **دلائل الإعجاز** 361 .

[2] - الشايب ، أحمد ، **أصول النقد الأدبي** 258 .

[3] - عبد الرحمن ، منصور ، **اتجاهات النقد الأدبي في القرن الخامس الهجري** 190 .

وتميزت بالبساطة والسهولة والوضوح ، وخلت من التعقيد والتكلف ، لكي يحقق الشاعر هدفه من الهجاء ، ويسهل على الناس حفظه ، وعلوقه في الأذهان ، وتزيد من قوة تأثيره في المهجو ، ونلمح ذلك في كثير من النصوص التي عرضت في صفحات الدراسة السابقة .

واستخدم الشعراء تلك الأساليب الشعبية ، ونزعوا إلى تلك الألفاظ العامية ، بهدف الإثارة والشيوع ، رغم ما تحمله من عبارات جارحة ، وأفكار سطحية ، عبر فيها الهجاء عن مشاعره وخطرات نفسه ، وأبدى فيها تفاعله مع الناس ، ومن الشواهد على تلك الأساليب الشعبية قول عرقلة الكلبي يهجو وحيشاً[1] الشاعر : " الرجز "

لا بارك ا ُ في وحيشِ فإنه مكدر للعيشِ

كَم قالَ ، لا قُلْقِلَ غير نَايِه أبياتَ شعرٍ كبيوتِ الخَيشِ[2]

وتكثر مثل تلك الأساليب الشعبية في شعر عرقلة ، حتى بدت لغة شعره قريبة من الألفاظ التي يستعملها عامة الناس في عصره ، وقد وصف العماد الأصفهاني أشعاره ، بأنها " كلها نوادر وكلام مضحك "[3] فأكثر من استخدام الكلمات العامية التي ترد على ألسنة الناس فأفقدها سماتها الفنية ، ومنها قوله : " الطويل "

يقولون : لِم أرخَصتَ شِعرك في الورى فَقُلْتُ لهم إذ ماتَ أهلُ المكارمِ

---

[1]- وحيش : هو أبو الوحش سبع بن خلف بن محمد بن عبد ا الأسدي الفقعسي ، ولد سنة 504 هـ ، قال عنه الأصفهاني " لقيته بدمشق شيخاً مطبوعاً ومدحني بقصائد " . ينظر : العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 242/1 – 246 .

[2] - **الديوان** : 56 .

[3] - **الخريدة** (قسم شعراء الشام) 183/1 .

أجازى علـى الـشعر الـشعير وإنـه كثيـــر إذا استخلـــصته مِــن بهـــائمِ[1]

أمـا ابـن عنـين فـلا يبـارى فـي ميلـه إلـى تلـك التراكيـب والألفـاظ العاميـة الـشائعة ، إذ يحتـاج إلـى بحـث مـستقل لتتبـع تلـك الظـاهرة فـي هجائـه ، فكثيـراً مـا اسـتخدم عبـارات تخـدش الحيـاء قـصد مـن ورائهـا السخرية بمهجوه ، كما يقول في القاضي الفاضل : " الكامل "

كـم ذا التبظْـرم زلئـداً عـن حـده مــا كــان قبلــك هكــذا الحــدبان

أَظهرتَ فَـضلَ تُقًّـى وفَـضلَ تَعفـفٍ وا يعلــــــم أنـــــــه بهتـــــــان

ما طالَ فـي اللّيـل البهـيم سـجوده إلا ليركـــــع فَوقَـــــه الـــــسودان[2]

ومـا أكثـر المواضـع التـي اسـتعمل فيهـا ابـن عنـين الألفـاظ العاميـة فـي هجائـه،كما فـي قولنـا لا يـنجح فـي أي عمـل يؤديـه " هـو عمـره مـا بفلـح " ،وفـي ذلـك المعنـى يقـول ابـن عنـين فـي والـدة أحـد المهجوين: " مجزوء الرجز "

هــذا ابـــن هــارون الّـــذي فـــــي عـــــصرنا لا يفْلِـــــح

تبيـــــع مِــــسكاً أذْفـــــراً[3] **بيـــــع الحـــــراءِ أربـــــح**[4]

ولعـل الهجـائين وجـدوا فـي تلـك الألفـاظ والأسـاليب المحكيـة شـعبياً ضـالتهم فـي التـشهير بمهجـويهم وازدرائهـم ، ووصـفت تلـك الأسـاليب عنـد

---

[1] - **الديوان** : 94 .

[2] - **الديوان** : 188 – 189 .

[3] - أذفـراً : الأذفـر : كريـه الرائحـة أو طيبهـا . ينظـر : ابـن منظـور ، **لـسان العـرب** ، مادة (ذَفَر) .

[4] - **الديوان** : 229 – 230 .

النقـاد المحـدثين " بأنهـا أروج اسـتخداماً فـي شـؤون الحيـاة اليوميـة ، ولهـا مـن هـذه الناحيـة حيويتهـا الخاصـة الموضـعية فـي التـصوير ، ولهـا قـرائن اسـتعمال فـي الـشؤون العاديـة المكـررة تكـسبها أنواعـاً مـن الـدلالات الواقعية التي قـد تُقـصر عنهـا لغـة العلـم والأدب[1] ، ومـن شـواهدها كـذلك مـا جاء علـى لـسان ابـن دنينيـر يهجـو قاضـياً ، ويـسخر مـن أنفـه بلغـة عاميـة دارجة ، إذ يقول : " الطويل "

وكُنـا عمِلْنـا للمظَفـر دعـوةً ليحـضر فيهـا عِنْـدنا يـوم الاثنـين
فجـاء ولكنـي رأيـت عجيبـةً أَتـى أنفـه مـن قَبـل ذاك بيـومين[2]

وتتكـرر علـى ألـسنتهم لغـة الـشتائم الدارجـة علـى ألـسنة النـاس مـن العامة ، كما في قول ابن المسجف يهجو جماعة من دمشق : " الخفيف "

خَمـس تيجـانٍ لا يـساوون نَعـلاً رثّ فـي قِيمـةٍ ولا مِقْـدار
الـشحيرير والأعيـور والقَـصْ صـار وابـن المِـصري وابـن الحـوار[3]

ومثلها قول ابن عنين في نعت مهجوه بابن الدجاجة : " البسيط "

يا ابن الدجاجةِ كُل النـاس كـان لهـم دِيكـاً فأنْـتَ ابـن مـن حتـى أناديكـا؟[4]

أمـا فتيـان الـشاغوري فيكثـر مـن الألفـاظ العاميـة الجارحـة ، وتـشيع علـى ألـسنة العامـة ، مثـل ، التيـوس ، الزبـال والمزابـل .... ، كقولـه فـي قوم يهجوهم : " الطويل "

لـئن عـز أقـوام وكـانوا أذِلـةً وصـار لهـم مـن بعـدِ فَقْـرهم مـالُ

---

[1] - هلال ، محمد غنمي ، **النقد الأدبي الحديث** 670 .
[2] - **الديوان** : 577 .
[3] - ابن شاكر الكتبي ، **فوات الوفيات** 286/2 .
[4] - **الديوان** : 201 .

فمـا ذاك بِـدعاً فـي دِمـشْقَ لأنّهـا تَملكهــا فــي ســالفِ الــدهر زبــالُ[1]

ومــن الأســاليب التــي طرقهــا الهجــاؤون فــي نظمهــم الميــل نحــو النكتة الهجائيـة ، بـروح خفيفـة وطريقـة سـاخرة ، ترسـم علـى شـفاه المتلقـين الابتسامة ، كقول عرقلة الكلبي يهجو شخصاً : " المتقارب "

وعِلْـــقٍ تَعلّقتُـــه بعـــدما غـــدا منْـــه كـــل جديـــدٍ خليعـــا
لـــه ضـــيعةٌ كلّمـــا أمحلَـــتْ يعـــيشُ ، وإن أخـــصبتْ مـــات جوعـــا[2]

وكذلك ما فعلـه ابـن المـسجف حـين سـخر مـن نفـسه ومـن أصـدقائه، بأسلوب هازئ يميل إلـى النكتـة، إذ يقـول سـاخراً مـن صـديق لـه يلقـب بـدر الدين، ومن نفسه : " البسيط "

قــالوا تَلقّــب بــدر الــدين مفتخــراً نجــلُ الجنــوبي مــن قَــد زيــن الأمنــا
فقُلْـتُ : لا تَعجبـوا منـه فَـذَا لقـب وفْقٌ علـى كـل نَحـس ، والـدليلُ أنَـا[3]

ومــن الــسمات الأســلوبية البــارزة خــلال هــذه الفتــرة ميْــل الهجــائين فـي الـنظم الـشعبي علـى الأوزان المجـزوءة والقـصيرة ، لتكـون خفيفـة سـهلة الحفـظ ، وسـريعة الانتـشار علـى الألـسنة فـي الأوسـاط الـشعبية ، والـشواهد الـشعرية علـى ذلـك كثيـرة مـن مثـل قـول ابـن قلاقـس يـذم مغنيـاً لـسوء صوته : " مجزوء الرجز "

غنّـــى فكـــل حاضـــرٍ إصـــبعه فـــي أُذُنِـــه
شِـــعراً كبـــردٍ فكَـــهِ لفظـــاً وطـــول قَرنِـــه

---

1 - **الديوان** : 362 .
2 - **الديوان** : 60 .
3 - ابن شاكر الكتبي ، **فوات الوفيات** 284/2 .

فالحمـــد ـِ الـــذي غنّـــى والـــمَ يثْنـــه[1]

وقـــول ابـــن المجـــاور يهجـــو خطيبـــاً يـــدعى الجاموس : " مجزوء الرمل " :

قُلْـــتُ والجـــاموس يلقـــي درســـه مـــن غيـــر لـــبس
ويـــك ذا جـــاموس درس لـــيس ذا جـــاموس درس[2]

ومثله مـا قالـه ابـن قـادوس يـشبه منافقـاً بالمـاء ، وهـي صـفةٌ كثـر ترددها على ألسنة شعراء العصر ، وفيها يقول : " مجزوء الرمل "

حولَـــه اليـــوم أُنَـــاس كُلهـــم يزهـــي بِرائِـــه
وهـــو مثـــلُ المـــاءِ فـــيهم لونُـــه لـــون إِنائِـــه[3]

ولعـلّ ميـل الـشعراء فـي أسـاليبهم الـشعبية ونظمهـا علـى الأوزان المجـزوءة والخفيفـة سـاعد علـى سـرعة انتـشارها ، و علوقهـا فـي الأذهـان، ومنحها طرافـة الأسـلوب وبـساطة التعبيـر ، ولهـا نمـاذج يمكـن العـودة إليهـا في هذه الدراسة .

ومـن الـسمات الأسـلوبية لـشعر الهجـاء جنـوح الـشعراء فـي نظمهـم ، واقتـرابهم مـن الـصيغ النثريـة المحكيـة ، فبـدت بعـض أشـعارهم أقـرب إلـى النثر منها إلـى الـشعر ، إذ لا يميـز بينهمـا سـوى الـوزن ، فهـو يـشبه حـواراً

---

[1] - **الديوان** : 166 .
[2] - الـصفدي ، **الـوافي بالوفيـات** 28/2 . وجـاموس درس : الأولـى الدراسـة للقـش ، والثانيـة المعلم . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (درس) .
[3] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة** (قسم شعراء مصر) 233/1 .

عامياً بين أشخاصـاً عـاديين ، ومـن شـواهده قـول ابـن الـساعاتي يهجـو رجـلاً يدعى صالحاً : " الطويل "

أسـائلتي عـن صـالحٍ إن صـالحاً وإن نـالَ حظّـاً هـن علـى وتقـدمِ
لـه إفْـك مـداحٍ وأُبنَـةُ[1] كاتـبٍ وكُديـة[2] صـوفي ، وعقْـلُ معلّـمِ[3]

وطُبِعـتْ أسـاليب الهجـاء خـلال هـذه الفتـرة بالـسخرية والـتهكم والعبـث بـالمهجوين، وإن غابـت دوافعـه ، لأن الـشاعر كـان يهجـو تطرفـاً وتعابثاً ، ويظهـر ذلـك جليـاً فـي أشـعارهم ، كمـا هـو الحـال فـي قـول ابـن عنين : " البسيط "

وما هجوتُ ابن عـصرون[4] أروم لـه فَـضلاً ولا نِلْـتُ مـن فَخْـرٍ ولا شَـرفِ
لكـن أُجـرب فيـه خـاطري عبثَـاً كما تُجـرب بـيض الهنـدِ فـي الجِيـفِ[5]

وثمةُ ظـاهرة بـارزة فـي شـعر الهجـاء تـسترعي انتبـاه الـدارس لهـا ، وهي ميـل أسـاليبهم الهجائيـة إلـى الـسهولة المتناهيـة ، سـواء أكـان ذلـك فـي ألفاظها أم فـي وضـوح معانيهـا وقُربهـا مـن المتلقـي ، وتحررهـا مـن الـصنعة المتكلفـة ، لأن غمـوض الأسـلوب وصـعوبة الألفـاظ " تجعـل الـسامع يحتـاج

---

[1] - الأبنة : العيب في الكلام . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (أَبِن)
[2] - الكدية : الغلظة والشدة . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب**، مادة (كدا) .
[3] - **الديوان** : 10/2 .
[4] - ابن عصرون : هو القاضي شرف الدين أبو طالـب عبـد ا بـن عبـد الـرحمن بـن الزكـي ، تولى قضاء دمشق نيابة عن ابن عمه الزكي ، وكـان فقيهـاً نزهـاً لطيفـاً عفيفـاً ، تـوفي سـنة 615 هـ . ينظر : أبو شـامة المقدسـي ، **ذيـل الروضـتين** 167/5 ، ابـن العمـاد الحنبلـي ، **شذرات الذهب** 114/7 .
[5] - **الديوان** : 192 .

إلـى وقـت وجهـد للوصـول إلـى غـرض الـشاعر ، وتـضيع علـى الهـاجي غرضه من الهجاء "[1] .

والنمـاذج الجيـدة كثيـرة فـي هـذه الدراسـة ، ويـضاف إليهـا أبيـات لأسامة بن منقذ يرسم فيها صورة لمنافق ، إذ يقول : " الكامل "

وممـــاذقٍ رجـــع النـــداءِ جوابـــه فـــإذا عـــرا خَطْـــب فأبعـــد مـــن دعـــي
مِثْلَ الـصدى ، يخْفَـى علـي مكانُـه أبـــداً ، ويمـــلأُ بالإجابـــةِ مـــسمعي[2]

ورغـم ذلـك فقـد نـزع الـشعراء فـي أسـاليبهم إلـى لغـة الـسباب المحـضة ، والألفـاظ الفاحـشة النابيـة التـي تـصم الآذان عنـد سـماعها ، وتتقـزز الـنفس مـن صـراحة فحـشها ، ممـا أفقـدها قيمتهـا الفنيـة ، وجعلتهـا تعكـس صـورة سـلبية عـن اتجـاه الهجـاء فـي تلـك الفتـرة الزمنيـة ، ومـن شواهدها قول ابن سـناء الملـك يهجـو رجـلاً يـدعى الرضـي ، ولـيس لـه مـن نظمـه فيـه سـوى إقامـة الـوزن لمـا يحملـه مـن فحـش ، إذ يقـول فيه : " المتقارب "

رأيـــتُ الرضـــي ومـــا نالـــه ومـــا ســـأب الـــدهر مـــن مهجتـــه
غـــدا خَارجيـــاً علـــى قومـــه فمـــا وفـــقَ العِلْـــقُ فـــي خَرجتِـــه
فكـــان يقـــود علـــى نَفْـــسِه فـــصار يقُـــود علـــى زوجتِـــه
وكيـــفَ يغـــار علـــى عِرسِـــه فتـــى لا يغـــار علـــى مهجتِـــه
ولا بـــأس بـــالتيس إن يـــستَعِر قُرونـــاً علـــى الـــرأْس مـــن نعجتِـــه[3]

---

[1] - بدوي ، أحمد ، **أسس النقد الأدبي عند العرب** 256 .
[2] - **الديوان** : 253 .
[3] - **الديوان** : 473/2 .

ومثالــه قــول ابــن دنينيــر يهجــو والــي دمــشق " المعتمــد شــحنة "

بصفات مبتذلة وتعرض للمحارم ، فيقول : " البسيط "

إن العــواني إبــراهيم ، دِرهمــه وزاده للــورى مــن دونهــا حــرم

فإن أتى الضيفُ يومـاً نحـو منْزِلـهِ أحالــه الرحــب منــه والقِــرى الحــرم[1]

ومــن الظــواهر اللغويــة التــي بــرزت فــي هجــاء الــزنكيين

والأيــوبيين ، مــا عــرفَ بالــضرائر أو الــضرورات الــشعرية التــي أجــاد

الشعراء اســتخدامها ومنهـا : صـرفُ الممنـوع مـن الـصرف ، كمـا فـي قـول

ابن عنين : " الكامل "

بِقلائِــدٍ مــا أُنْــشِدتْ فــي محفَــلٍ إلا وكانــــتْ عقلــــةَ المــــستَعجل[2]

فالشاعر صرف " قلائد " وهي ممنوعة من الصرف .

وقول ابن منير الطرابلسي : " الخفيف "

أحمقٌ لـو يقـالُ فـي بلـدِ الـصيـ ــن طِــراز أمــسى بِــأرض اليمامــه[3]

فابن منير صرف كلمة " أحمق " وهي ممنوعة من الصرف .

ومن تلـك الـضرائر كـذلك وصـلُ همـزة القطـع ، كمـا فـي قـول ابـن

دنينير : " الكامل "

فلَــو ان رجليــهِ بخِفــةِ رأسِــهِ لغَــدا يفُــوقُ نَــواظِر الأحــداق[4]

فالشاعر وصل الهمزة رغم كونها همزة قطع في " فلَو ان " .

---

[1] - **الديوان** : 607 .

[2] - **الديوان** : 231 .

[3] - **الديوان** : 108 .

[4] - **الديوان** 516 .

وقول ابن قلاقس السكندري : " المتقارب "

أَلا اقْبِح بِدهاك مِن بلْدةٍ فَكُل امرئٍ حلها هالِك[1]

فالشاعر وصل همزة القطع في كلمة " أقبح " .

ومثل تلك الضرائر كثير في شعر هذه الفترة ، يستطيع القارئ أن يلحظها من خلال تلك النماذج المعروضة .

وإذا كانت غالبية أساليب الهجاء الشعبية أساليب مطبوعة غير متكلفة ، فإن بعض نماذجه لا تخلو من التصنّع والتكلّف ، فقد توسل الشعراء ببعض ألوان البديع في معرض ذمهم وازدرائهم بمهجويهم ، ومن تلك الألوان المجانسة اللفظية أو ما سماه أبو هلال العسكري وابن الأثير بالتجنيس ، ومعناه " أن يورد المتكلم - في الكلام القصير نحو البيت من الشعر ، والجزء من الرسالة أو الخطبة – كلمتين تجانس كل واحدة منها صاحبتها في تأليف حروفها "[2] ومن شواهد تلك المجانسة قول ابن عنين يهجو شخصاً ، وقد استغل اسمه لإقامة تلك المجانسة زراية له واستصغاراً به ، فيقول : " الوافر "

وقَالُوا أَسعد بن الياس أضحى رئيساً لا حوتْه يد السعودِ

ولا أَهجو الوجود وقَد حواه فإن وجوده هجو الوجودِ[3]

---

[1] - **الديوان** : 489 .

[2] - **الصناعتين** 330 ، **المثل السائر** 246/1 .

[3] - **الديوان** : 193 .

وقريب من تلك المجانسة القائمة على التصنع ، قول ابن قادوس يهجو شخصاً يسمى ابن العلاني ، إذ يقول فيه : " السريع "

هذا ابن علانٍ يكُم ، شِعره ينُوب في الصيف عن الخَيش

إن لم يكن مثلَ امرئ القيس في أشعاره فهو امرؤُ القَيش[1]

وهناك من أجهد عقله في التصنع إلى درجة الوصول في نظمه الجدة والطرافة ، كما في قول القاضي الفاضل يهجو طبيباً كحالاً : " الكامل "

عادى بني العباس حتى إنّه خَلَع السواد من العيون بكُحلِهِ[2]

ومن صور المجانسة المتصنعة ، ما ورد في قول الشاغوري يهجو فقيهاً يعرف بابن جاموس ، فيقول : " الكامل "

فلعل برج الثّور يثْني قرنَه عن نَطْح برج الثور[3] فهو على وجَلْ[4]

ورغم سهولة وبساطة لغة الهجاء ، واقتراب أساليبها من لغة العامة ومعانيهم المتداولة في حياتهم اليومية ، فإن ذلك لم يمنع الهجائين من الانفتاح على تراث الأمة وثقافتها المتنوعة ، وتوظيف ما لديهم من معارف في تصوير مهجويهم ، فاستوحوا من نصوص القرآن ومعانيه ما يخدم دوافعهم الهجائية ، ولعل ذلك التأثر بنصوص القرآن ناجم عن

---

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 231/1 .

[2] - **الديوان** : 429/2 .

[3] - برج الثور : الذي يبنى على برج المدينة ، وبرج الثور ، برج الثور المعروف في الفلك .

[4] - **الديوان** : 361 .

الصراع المتمثل في الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي إبان تلك الفترة ، ومن الشواهد التي تدل على توظيف الشعراء لنصوص القرآن والاقتباس منها بطريقة مباشرة ، ما ورد في قول الشلعلع يهجو رجلاً يدعى ابن الدباغ ، إذ يقول ساخراً منه : " الطويل "

تَعالتْ قرون ابن الدباغ فأصبحتْ تُجِل عن التحديدِ في اللفظِ والمعنى
على بعضها ناجى النّبي إلهه وقد كان منه قاب قَوسين أو أدنى[1]

فالشطر الثاني من البيت الثاني هو اقتباس من قوله تعالى **فكان قاب قوسين أو أدنى** [2] .

فالشاعر نقل دلالة الآية القرآنية إلى مقام آخر تحقق له الهدف من اقتباسها المتمثل في السخرية من مهجوه وإيلامه .

ومثلها قول ابن عنين في هجاء المرتضى بن عساكر والسخرية من لحيته ، إذ يقول فيه : " الطويل "

إلى لِحيةِ المرء اللّعين ارتَقَتْ يد لها في صعود الحادثات سعود
وقد أصبحتْ مِثْلَ القُرى الـلاءِ أهلكَتْ قديماً فَمِنْها قائم وحصيد[3]

فالشاعر هنا يشير إلى قوله تعالى **ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد** [4] .

---

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 124/2 .
[2] - **النجم:** 9 .
[3] - **الديوان** : 198-199 .
[4] - **هود:** 100 .

وقد يتصرف الشاعر في لفظ الآية الكريمة ، إما تقديماً أو تأخيراً ، ولعل هذا الأسلوب أكثر الأساليب شيوعاً ، كما في قول ابن الساعاتي يهجو رجلاً سارقاً ، فيقول :   " البسيط "

هو الأمين فلا تُخْشَى أَنَامِلُه   إلا على الفِضةِ البيضاءِ والذّهبِ
تبتْ يداه فكَم في كل جارحةٍ   مِنْه وإن عد فرداً من أبي لهبِ[1]

ففي البيت الثاني اقتباس واضح مع بعض التصرف من قوله تعالى **تبت يدا أبي لهب وتب** [2].

ومثلها قول الزكي القوصي يعرض بوالي مصر بعد أن طرده من مصر إلى الشام ، فيقول :   " الكامل "

لا تَحسبِ الهيتي يفْلِح بعدها   ونُحوسه يتبعنَه أنّى سلكْ
قد غُلقَتْ أبواب مِصر ودونَه   بغضاً لِطلْعتِهِ وقالتْ هيتَ لكْ[3]

فالشاعر اقتبس معناه مع تغيير بسيط من قوله تعالى عن خبر قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز **وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك** [4].

وهناك مقطوعات هجائية استوحى الشعراء أساليبهم فيها من قصص الأنبياء ؛ بغرض النيل من خصومهم والازدراء بهم ، ووردت بطريقة رمزية ، كقول ابن المسجف حين استوحى قصة يونس عليه السلام في هجوه ، إذ يقول :   " الطويل "

---

[1] - **الديوان** : 154/2 .
[2] - **المسد:** 1 .
[3] - الكتبي ، **فوات الوفيات** 306/2 .
[4] - **يوسف:** 23 .

يقيسون يحيا بالفعال بيونس وهذا على ضد القياس المؤسس

وكيف يصح الحكم والحوتُ تابع لِذاك ، وهذا بالِع حوتَ يونُس[1]

وثمة قصص قرآنية كثيرة استوحى الشعراء منها معانيهم وألفاظهم ؛ للإيقاع بمهجويهم وإذلالهم كقصة هلاك ثمود[2] ، وقصة موسى عليه السلام مع عصاه[3] وقصة النساء اللائي قطعن أيديهن لجمال يوسف عليه السلام[4] وقصص كثيرة لا يتسع المقام لذكرها في هذه الدراسة .

وقد استوحى الهجاؤون مضامينهم وأساليبهم الهجائية من مصطلحات فقهية ونحْوية ، ووظفوها في أهاجيهم " واستعمال الشعراء لمثل هذه الألفاظ دليل ثقافتهم وانغماسهم في الحياة الفكرية والعقلية والعملية ، وهو بعد هذا إشارة إلى أن الهجائين أرادوا أن يستعملوا ألفاظاً بذواتها لا يعدلون عنها إلى غيرها ، لأنهم قدروا فيها التعبير الدقيق عما رغبوا في تناوله في هجائهم "[5] ، ومن الشواهد على توظيف الألفاظ النحوية في الهجاء ، قول ابن عنين يسخر من المؤيد حين سمع بعزله من وظيفته : " المتقارب "

---

[1] - الكتبي ، **فوات الوفيات** 286/2 .

[2] - ينظر: القاضي الفاضل ، **الديوان** : 239/2 .

[3] - ينظر: ابن عنين ، **الديوان** : 217 – 240 .

[4] - ينظر: عرقلة الكلبي ، **الديوان** : 87 .

[5] - التميمي ، قحطان رشيد ، **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري** 252 – 253 .

تَـشكى المؤيـد[1] مِـن صـرفِهِ وذَمّ الزمـان وأبـدى الـسقه

فقلـتُ لـه لا تَـذم الزمـان فَـتَظْلِم أيامـه المنْـصِفَه

ولا تَغـضبن إذا مـا صـرِفْتَ فـلا عـدلَ فيـك ولا معرفَـه[2]

فالـشاعر ربـط بـين الـصرف والعـزل ، وبـين الحـديث عـن المصروف ، والممنـوع منـه ، وهـو مـن أبـواب النحـو المعروفـة ، طالبـاً مـن مهجـوه ألا يجـزع علـى صـرْفه ؛ لأنـه لا عـدل فيـه ولا معرفـة ، والعـدل والمعرفة من أبواب النحو كذلك .

ومـن الـشواهد علـى استحـضار ألفـاظ الفقـه ومـصطلحاته فـي الهجـو، قوله في القاضي الفاضل مستخدماً المصطلح " قياس " : " المنسرح "

هـذا قِيـاس فِـي غيـر سيِـدِنا يـصِح إن كـان يحبـلُ الرجـلُ[3]

ومـن الـسمات الأسـلوبية لـشعر الهجـاء توسـل الـشعراء فـي أهـاجيهم بالتوريـة وهـي " أن يـذكر المـتكلم لفظـاً مفـرداً لـه معنيـان حقيقيـان ، أو حقيقـة ومجـاز ، أحـدهما قريـب ودلالـة اللفـظ عليـه ظـاهرة ، والآخـر بعيـد ودلالة اللفظ عليـه خفيـة . فيريـد المـتكلم المعنـى البعيـد ويـوري عنـه بـالمعنى القريـب ، فيتـوهم الـسامع أول وهلـة ، أنـه يريـد القريـب ، ولـيس كـذلك "[4] ، وقـد تفـنن الـشعراء فـي اختيـار الألفـاظ المـوراة معتمـدين علـى بـراعتهم اللغويـة وثقـافتهم الواسـعة ، ثـم توظيفهـا بغـرض الـتهكم والـسخرية مـن

---

[1] - المؤيد : هو أسد بن المحسن ، وعرفَ بالمؤيـد الناسـخ ، وأحـد نـدماء الأفـضل بـن صـلاح الدين ، كان شيخاً ظريفاً ، كثير المحفـوظ للحكايـات والأشـعار . ينظـر : الـصفدي ، **الـوافي بالوفيات** 7/9 .

[2] - **الديوان** : 229 ، وللاستزادة ينظر : الشاغوري ، **الديوان** : 280 .

[3] - **الديوان**: 189 .

[4] - ابن حجة ، **خزانة الأدب** 184/3 .

مهجـويهم بـشكل فكـاهي وطريـف ، ومـن الـشواهد التـي تـدل علـى اسـتدعاء الـشعراء للمعـاني الطريفـة ، قـول الأسـعد بـن ممـاتي يـسخر مـن رجـل رآه بدمشق : " مجزوء الوافر "

حكـى نَهـرين مـا فـي الأر ض مـن يحكيهمـا أبـداً

حكـى فـي خَلقِـهِ ثَـوراً وفـي أخلاقِـهِ بـردى[1]

فالـشاعر اسـتخدم التوريـة فـي هـذه الفكاهـة فـي كلمتـي " ثـورا وبردى " وهماإسـما نهـرين فـي معناهمـا القريـب ، لكنـه قـصد معناهمـا البعيـد ليسخر مـن مهجـوه فـشبهه بـالثور فـي الخِلقـة ، وجعـل أخلاقـه تـشبه بـرودة ماء نهر بردى .

ومـن الـصور الطريفـة والـساخرة فـي توظيـف التوريـة لهـذه الغايـة ، قول ابن العصار : " السريع "

لا كـان يـوم قـد غـدا جامعـاً لـي بأنـاس مـا لهـم فائـده

قـد قلـت إذا حـاموا علـى زادهـم قـد جـاءت الأنعـام والمائـده[2]

فاسـتخدم الـشاعر التوريـة بـذكر سـورة الأنعـام ؛ ليـوري بهـا عـن هؤلاء البدو ، فهـم كالأنعـام ، ويـوري بـذكر سـورة المائـدة عـن المائـدة التـي يحومون حولها .

وقـد يوظـف الـشعراء الألفـاظ العاميـة للتوريـة ، لإيـلام مهجـويهم ، كما فعل فتيان الشاغوري حين هجا قوماً قائلاً : " الوافر "

وبـين نُهيـري الـشّاغور قـوم يـرون القَحْـر كـونَهم أُصـوصا

---

[1] - ابن خلكان ، **وفيات الأعيان**210/1 .

[2] - ابن سعيد ، **المغرب** 277 .

فكلهــم متـــى يطْفَــر بــشاةٍ تحــولَ شَــوحةً[1] تَغْتَــالُ صوصــا[2]

فالتوريــة فــي كلمــة " صــوص " والمعنــى القريــب لهــا العــامي ، فــرخ الدجاج ، بينما المعنى الفصيح الذي قصده الشاعر هو الشخص اللئيم .

ومــن شــواهدها كــذلك قــول القاضــي الفاضــل يهجــو شخــصاً ظالمــاً ، فيقول : " الرجز "

أقلامـــه مــــن غِلَــظٍ طاغيــــه وهـــي بمـــا يجـــري الأســـى جاريـــه

ســـيهلك الكاتـــب بهـــا عـــاجلا ثمـــود قـــد تهلـــك بالطاغيـــه[3]

وتوســل الــشعراء بالتوريــة لنقــد الأوضــاع الاجتماعيــة ، كمــا فعــل ابــن عنــين فــي تــصوير الأوضــاع الاجتماعيــة فــي دمــشق ، ومــا آل إليــه وضــع النــاس مــن الحيــرة والاضــطراب ، بعــد انتقــال المدينــة مــن الملــك المعظم عيسى إلى الملك الأشرف موسى ، إذ يقول : " الطويل "

وكنــا نُرجــي بعــد عِيــسى محمــدا لِينقِــذَنا مــن لاعــج الــضر والبلْــوى[4]

فأوقعنــا فــي تِيــهِ موســى فكُلنــا حيــارى ولا مــن لديــهِ ولا ســلْوى[5]

فالنزوع إلــى التوريــة مــن الظــواهر الــشائعة فــي تلــك الفتــرة ، وتبــدى كثيــر منهــا مــن خــلال الدراســة ، لتــدلل علــى ســعة القــاموس اللغــوي عنــد الشعراء ، ومصدر ثقافتهم الواسعة .

---

[1] - شوحة : طائر كبير مفترس كالباشق . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (شَيح) .

[2] - **الديوان** : 253 – 254 .

[3] - **الديوان** : 439/2 .

[4] - لاعج : من لعج استحر في القلــب ، واللاعــج : المــؤلم والمحــرق . ينظــر : ابــن منظــور ، **لسان العرب** ، مادة (لعج) .

[5] - **الديوان** : 132 .

ومـن الملامـح الأسـلوبية للغـة الهجـاء خـلال هـذه الفتـرة توظيـف الـشعراء مـا يـسمى " بالتـضمين " ، ويعرفـه ابـن رشـيق القيروانـي بقولـه : " هو قصدك إلى البيـت مـن الـشعر أو القـسيم[1] فتـأتي بـه فـي آخـر شـعرك أو فـي وسـطه كالمتمثـل "[2] ، وتـدل هـذه الظـاهرة علـى اتـصال الـشعراء بموروثهم الأدبـي شـعراً أو نثـراً ، والاسـتفادة منـه فـي تحقيـق مقاصـدهم مـن نظـم الهجـاء ، فكثيـراً مـا يتطلـب الموقـف الاسـتعانة بـشعر الآخـرين ، وخاصـة إذا كانـت هنـاك رابطـة بـين مـا يعرضـه ومـا يتمثـل بـه شـكلاً ومعنى ، ومن شواهده قول ابن عنين هاجياً مدينة حلب : " الكامل "

وإذا علاهـا راكـب رقـصتْ بِـهِ رقْـص القَلـوص براكـبٍ مـستَعجِلِ[3]

فالشطر الثاني تضمين من قول حسان بن ثابت : " الكامل "

و زجاجةٍ رقـصتْ بمـا فـي قعرهـا رقْـص القَلـوص براكـبٍ مـستَعجل[4]

ومـن أمثلتـه تـضمين الـشاغوري لـبعض شـعر المتنبـي فـي هجائـه لطبيب يدعى " نصر " ،إذ يقول : " البسيط "

" نَصر " طبيب ولكـن لـم يعـد أَحـد إلا وسـاقَ إليـهِ طِبـه الأجـلا
فَظَـل ينْـشِد والأسـقام تَنَهبـه أَحيـا وأيـسر مـا قاسـيتُ مـا قَـتَلا
كم قائـلٍ قـالَ : لـولاه لمـا وجـدتْ لهـا المنَايـا إلـى أرواحِنَـا سـبلا[5]

---

[1] - القسيم : الشطر من البيت . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (قسم) .
[2] - **العمدة** 84/2 .
[3] - **الديوان** : 230 .
[4] - **الديوان** : 124 .
[5] - **الديوان** : 585 .

فالشطر الثاني في البيت الثاني تضمين من قصيدة للمتنبي يقول فيها : " البسيط "

أحيا وأيسر ما قاسيتُ ما قتلا والبين جار على ضعفي وما عدلا[1]

أما البيت الثالث فأكثره مأخوذ من القصيدة نفسها من بيته : " البسيط "

لولا مفارقةُ الأحبابِ ما وجدتْ لهـا المنايا إلى أرواحِنَا سبلا[2]

واتكأ الشعراء في نطاق توظيفهم الموروث الأدبي على بعض أمثال العرب وأفادوا منها ، ووضعوها في مكانها الملائم حيث يتطلب موقفهم الشعوري ضرورة الميل إليه ، ومن شواهدها ، قول ابن قلاقس يهجو شخصاً بقوله : " مجزوء الرمل "

فغدا الأرعن يختـا ـلُ ببردي ذي رعين
ويهز الرأس حمقاً هز أعطافِ الرديني
فانصرفْنَا عنه إذْ هز بلا خفي حنين[3]

فضمن الشاعر المثل الشائع " رجع بخفي حنين "[4] للسخرية من مهجوه .

ومثلها قول ابن عنين يهجو بخيلاً : " البسيط "

يقولُ للخبز لا يبعد مداك ولا أخنى عليك الذي أخنى على لبدِ[5]

---

1 - **الديوان** : 282/2 .
2 - نفسه : 282/2 .
3 - **الديوان** : 220 .
4 - ينظر : الميداني ، **مجمع الأمثال** 296/1 .
5 - **الديوان** : 146 .

فَعجْز البيـت تـضمين للمثـل العربـي " أخنـى عليهـا الـذي أخنـى علـى لُبـد "[1] ، ثـم إن الـشطر نفـسه تـضمين مـن قـول النابغـة الـذبياني فـي ديـارٍ هجرها أصحابها : " البسيط "

أمستْ خَلاء وأَضحى أهلُهـا احتمَلـوا   أَخْنَى عليهـا الـذي أَخنـى[2] علـى لُبـدِ[3]

ومـن تقنيـات الأسـاليب الهجائيـة توظيـف الـشعراء لألـوان بديعيـة أخـرى ، بهـدف إضـافة جديـد للمعنـى ، وتبيـان لفكـرة الـشاعر ، ومنهـا التقسيم وهـو " تجزئـة الـوزن إلـى مواقـف أو مواضـع ، يـسكت عنـدها المـرء أثنـاء التأديـة للفـظ البيـت ، أو يـستريح قلـيلاً ، كأنـه يـومئ إلـى الـسكت "[4] ووشّى الشعراء هجـاءهم بـه لرمـي مهجـويهم بكـل مثلبـة وتتبـع معانيهـا مـن خـلال تلـك الوحـدات الـصوتية ، ومـن نماذجـه قـول ابـن الـساعاتي يهجـو رجلاً يدعى ابن العليمي ، فيقول : " البسيط "

في صدرِهِ حـرج فـي سـفْلِهِ سِـعةٌ   فـي رأسِـهِ خِفّـةٌ فـي نفـسِهِ ثِقَـلُ[5]

ومن أمثلته قول ابن عنين في هجاء أحدهم : " الكامل "

فَـرآه منْتُـوفَ الـسبال مـذمم الـ   آبـاءِ مـصفُوع القَـذال مبكيـا[6]

[1] - ينظر : الميداني ، **مجمع الأمثال** 429/1 .
[2] - أخنى : أخنى عليها : أفسدها وأهلكها . ينظر : **لسان العرب** ، مادة (خني) .
[3] - **الديوان** : 31 .
[4] - المجذوب ، عبد ا الطيب ، **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها** 278/2 .
[5] - **الديوان** : 10/2 .
[6] - **الديوان** : 198 .

المبحث الثالث : الموسيقا :

تعــد الموســيقا الــشعرية الــنّغم الــشجي الــذي تــصاغ فيــه المعــاني فيحيلهــا إلــى نــشيد عــذب ، وهــي الخاصــية البــارزة والعلامــةُ الفارقــة بــين الــشعر المنظــوم والكــلام المنثــور ، فــالوزن والقافيــة فــي الــشعر يمــثلان المظهــر الموســيقي ، وبــدونهما لا يتحــدد الفــرق بــين الــشعر والنثــر ولا توجــد فاصلة بينهما[1] .

وللــوزن أهميــة كبيــرة بالنــسبة للــشعر ؛ لأن الــوزن كمــا قــال ابــن رشــيق القيروانــي " أعظــم أركــان حــد الــشعر وأولاهــا خــصوصية ، وهــو مشتمل على القافية وجالــب لهــا "[2] لــذا يعــد مــا عــداه عناصــر أخــرى مــشتركة بين الشعر وغيره من سائر الكلام .

ويــذهب بعــض النقــاد المحــدثين إلــى أن مجــيء الكــلام موزونــاً بنغمــات محــددة ، وإيقاعــات منــسقة يــساهم فــي حفــظ الــشعر وعلوقــه بالذاكرة ، بــل عــد إبــراهيم أنــيس الــوزن شــرطاً مــن شــروط شــيوع الــشعر قــائلاً : " وشــرط ذيــوع الــشعر وشــهرته أن تــستمتع آذان النــاس بموســيقاه قبل استمتاعهم بمعانيه ومراميه وهي يسمعها في شعر هذا وشعر ذاك"[3].

ولا شــك أن هنــاك مــؤثرات وعناصــر أخــرى تــشارك فــي تــشكيل الموسيقا الــشعرية ، وهــذا مــا أكــده شــوقي ضــيف فــي قولــه: " وقــد تتــشكل

---

[1] - ينظر : أبو كريشة ، طه مصطفى ، **أصول النقد الأدبي** 381 .

[2] - **العمدة** 134/1 .

[3] - **موسيقا الشعر** 186 .

الموسـيقا بتـأثير بعـض الفنـون البديعيـة كالجنـاس والطبـاق والترصيع ... "[1] .

وإذا كانـت الموسـيقا مـن أهـم أركـان الـشعر ، وأبـرز مقوماتـه فـأرى أن جمالهـا وجاذبيتهـا ، وتأثيرهـا فـي نفـوس الـسامعين وتحريـك مـشاعرهم ، وطَـربِ مـسامعهم بنغماتهـا يكمـن فـي اتحادهـا وتلاحمهـا فـي القـصيدة الـشعرية ، وارتباطهـا مـع مفـردات الـشعر ومعانيـه وعواطفـه وأخيلتـه ارتباطاً وثيقاً مع الانفعالات النفسية للشاعر لحظة نظْمه للقصيدة .

وثمـة مـن يـربط العلاقـة بـين موضـوع القـصيدة وغرضـها ، وبـين الـوزن الـشعري الـذي بنـى عليـه الـشاعر قـصيدته ، ونَحْـو هـذا المنحـى اعتمد حازم القرطـاجني فـي دراسـته للـوزن مـصرحاً ذلـك فـي قولـه : " لمـا كانـت مقاصـد الأغـراض الـشعرية مختلفـة بـين الجـد والرصـانة والهـزل والرشـاقة ، والبهـاء والفخامـة والـصغار والتحقيـر ، وجـب أن تُـساق المقاصـد بمـا يناسـبها مـن الأوزان ويخيلهـا للنفـوس "[2] لكـن النقـاد المحـدثين يرفـضون تلـك العلاقـة ، ويؤكـدون أن الـشعر العربـي لـم يكـن قائمـاً علـى تخيـر وزنٍ دون آخـر " لأن اسـتعراض القـصائد القديمـة لا يكـاد يـشعرنا بمثل هذا التخير بين موضوع الشعر ووزنه "[3] .

وعنـد النظـر إلـى أوزان القـصيدة الهجائيـة فـي العـصرين الزنكـي والأيوبي ، يـرى الباحـث أن اهتمـام الهجـائين بـالوزن ، لـم يكـن مبنيـاً علـى

---

[1] - **في النقد الأدبي** 39 .

[2] - **منهاج البلغاء** 266 .

[3] - أنيس، إبراهيم ، **موسيقا الشعر** 177 .

الاختيار لأن طبيعة الموقف والانفعال نحوه ، هو الذي يحرك مشاعر الشاعر دون أن يترك له فسحة نحو تخير هذا النغم أو ذاك ، بل انفعال الشاعر ودفقاته الشعورية هي التي حددت ذلك الوزن بعفوية وجرياً وراء الطبع ، ومع ذلك ظل الشعراء محافظين على الدوران في تلك البحور التي نظم فيها شعراء العصور السابقة ، دون أن يمنع ذلك من عنايتهم بوزنٍ على حساب آخر . وسأورد جدولاً يبين البحور التي نظم الشعراء فيها قصائدهم الهجائية وترتيبها ، علماً أن تلك الأشعار لا تمثل كلّ ما نظمه شعراء العصرين في الهجاء .

جدول يمثل البحور التامة

	البحر التام	عدد مرات الاستعمال
1.	الطويل	54
2.	الكامل	51
3.	السريع	38
4.	البسيط	37
5.	الخفيف	37
6.	الوافر	27
7.	المتقارب	24
8.	المنسرح	24
9.	الرمل	4
10.	المجتث	4
11.	الرجز	3
12.	المديد	1

جدول يمثل البحور المجزوءة

	البحر المجزوء	عدد مرات الاستعمال
1.	مجزوء الكامل	10
2.	مجزوء الرمل	9
3.	مجزوء الرجز	9
4.	مجزوء البسيط	4
5.	مجزوء الوافر	3
6.	مجزوء الخفيف	1

يلاحظ من الجدولين السابقين أن الشعراء مالوا في نظمهم إلى أوزان الطويل والكامل والبسيط " وهي من الأوزان الأكثر شيوعاً في

الشعر العربي القـديم "[1] فكانـت أكثـر بحـور الـشعر دورانـاً عنـد الهجـائين فـي العـصرين الزنكـي والأيـوبي علـى الترتيـب : الطويـل ، ثـم الكامـل ، ويليهمـا بنـسب متقاربـة الـسريع ، والبـسيط ، والخفيـف ، والـوافر ، وتـساوى المتقـارب مـع المنـسرح فـي عـدد مـرات الاسـتعمال ، وتوسـل الـشعراء بـأوزان الرمـل والمجتـث والرجـز فـي ثـلاث مقطوعـات ، بينمـا اقتـصرت الاستعانة بالمديد مرة واحدة ، وكلّها استخدمت تامة الوزن .

واتـضح لنـا خلـو المقطعـات المدروسـة مـن أربعـة بحـور هـي : المقتـضب والمـضارع ، والمتـدارك ، والهـزج ، فأمـا البحـران الأولان فيكاد الشعر يخلو منهمـا إلا نـادراً ، وهـذا مـا أشـار إليـه بـدر الـدماميني فـي قولـه : " وأنكـر الأخفـش أن يكـون المـضارع والمقتـضب مـن شـعر العرب ، وزعـم أنـه لـم يـسمع شـيئاً مـن ذلـك ، قلـت : هـو محجـوج بنقـل الخليـل ، قـال الزجـاج : همـا قليلان ، حتـى إنـه لا يوجـد منهمـا قـصيدة لعربـي "[2] وأمـا المتـدارك والهـزج فـأرى أن نـدرة الـنظم عليهمـا ، بـسبب عدم توافقهمـا مـع التنغـيم عنـد الـنظم عليهمـا فـي الهجـاء ، ولكثـرة مـا فـي المتدارك مـن مقـاطع سـاكنة ، ولقـرب أوزان بحـر الهـزج مـن اللحـن والغنـاء كما يظهر من تسمية العروضين له[3] وهذا ما لا يتناسب مع الهجاء .

ويـشير الجـدول الثـاني إلـى نوعيـة الأوزان التـي جـرى الـنظم عليهـا ، رغبـة مـن الهجـائين للتـشهير بمهجـويهم ، وتـسهيل حفظهـا ونـشرها

---

1 - ينظر : أنيس ، إبراهيم ، **موسيقا الشعر** 191 .

2 - **العيون الفاخرة الغامزة على خبايا الرامزة** 76 .

3 - ينظر : أنيس ، إبراهيم ، **موسيقا الشعر** 112 .

بـين النـاس ، فـدفعهم ذلـك – وبـصورة لافتـة – إلـى الأوزان القـصيرة والمجـزوءة والخفيفـة ، وهـذا مـا أشـير إليـه فـي بنـاء القـصيدة الهجائيـة ، وكان أبـرز المجـزوءات وأكثرهـا شـيوعاً مجـزوء الكامـل ، ثـم يليـه بتـساوي عـدد مـرات الاسـتعمال مجـزوء الرمـل والرجـز ، ويليهمـا مخلـع البـسيط فمجزوء الـوافر ، وجـاء فـي الـذيل مجـزوء الخفيـف ، كمـا هـو واضـح فـي الجـدول الإحـصائي . وبـذلك يكـون الهجـاؤون فـي اسـتعمالهم للبحـور الـشعرية مـسايرين لـذوق الـشعر العربـي القـديم ، وأكثـر اقترابـاً فـي اسـتعمالها مـن هجـائي العـصر العباسـي وإن تفاوتـت بـين الـشعراء فـي الكـم والكيف .

أمـا القافيـة فتعـد قـسيمة الـوزن فـي اختـصاصها بالـشعر ، وقـدامى العرب يـشترطون الـوزن والقافيـة لكـل كـلام يـسمى شـعراً ، وهـذا مـا أشـار إليه قدامـة بـن جعفـر فـي تحديـده معنـى الـشعر بقولـه " إنـه قـولٌ مـوزون مقفى يدل علـى معنـى "[1] ممـا يـدل علـى أن القافيـة جـزء هـام مـن الموسـيقا الـشعرية فهـي " عـدة أصـوات تتكـرر فـي أواخـر الأسـطر أو الأبيـات مـن القـصيدة وتكررهـا هـذا يكـون جـزءاً هامـاً مـن الموسـيقا الـشعرية ، فهـي بمثابـة الفواصـل الموسـيقية ، يتوقـع الـسامع ترددهـا ، ويتمتـع بهـذا التـردد الـذي يطـرق الآذان فـي فتـرات زمنيـة منتظمـة ، وبعـد عـدد معـين مـن

---

[1] - **نقد الشعر** 53 .

مقاطع ذات نظام خاص يسمى الوزن "[1] وبما أن الشاعر المبدع ينبغي عليه أن يجتهد في اختيار قافيته ، لأنها آخر شيء يطرق بها سمع المتلقي ، حتى يضمن سرعة انتشارها وعلوقها في أذهان الناس ، وتلك مقاصد يحرص عليها الشاعر الهجاء .

والقافية قسمان : قافية مقيدة وهي ما كانت ساكنة الروي ، وقافية مطلقة وهي متحركة الروي أي بعد رويها وصل إشباع بكسرة أو ضمة أو فتحة "[2] وقد استخدم الهجاؤون النوعين ولكن بنسب متفاوتة ، فكانت المطلقة أكثر شيوعاً ، في حين بدت القافية المقيدة في الأوزان القصيرة، ويتفق ذلك مع ما قاله المجذوب " وعامة البحور القصار يصلح فيها التقيد من غير اعتماد على مد قبله "[3] .

وعند النظر في القصيدة الهجائية يتضح لنا أن القوافي " حروف الروي " قد تعددت ، كما تعددت الأوزان الشعرية عند هجائي العصرين الزنكي والأيوبي ، والجدول التالي يوضح أكثر حروف الروي استعمالاً في النماذج المعروضة ، علماً أن تلك المقطوعات الهجائية الواردة في هذه الدراسة ليست كلّ ما قاله شعراء الهجاء خلال هذه الفترة الزمنية .

---

[1] - أنيس ، إبراهيم ، **موسيقا الشعر** 246 .

[2] - عتيق ، عبد العزيز ، **علم العروض والقافية** 136 .

[3] - **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها** 40/1 .

جدول يوضح حروف الروي وعدد مرات استعمالها

الرقم	حروف الروي	عدد مرات الاستعمال
1.	الدال	44
2.	اللام	41
3.	الراء	40
4.	الميم	40
5.	الباء	36
6.	النون	33
7.	الفاء	14
8.	القاف	14
9.	التاء	8
10.	الحاء	8
11.	السين	8
12.	العين	8
13.	الكاف	8
14.	الهمزة - الألف	6
15.	الهاء	5
16.	الطاء	4
17.	الياء	4
18.	الثاء	3
19.	الجيم	3
20.	الشين	3
21.	الواو	3
22.	الصاد	2
23.	الضاد	2
24.	الخاء	1
25.	الزاي	1

والواضح من الإحصائية أن الهجائيين في العصرين الزنكي والأيوبي ، بنوا قصائدهم على غالبية حروف الروي الشائعة في شعرنا القديم ، كما يلحظ شيوع القوافي " الذلل دون النفر والحوش " ، إذ جاء حرف الدال في المرتبة الأولى ، ثم يليه اللام والراء والميم والباء والنون ، وتشكل النسبة الكبرى بين حروف الروي ، ويعود ذلك إلى سهولة مخارجها وانسيابها ، وجاءت بعض حروف الروي أقل استعمالاً من سابقتها مثل التاء والحاء والسين والعين والكاف وبنسب متفاوتة .

أما قوافي النفر فكانت قليلة وتمثلت في حروف الروي الصاد ، والضاد ، والزاي ، وقريب من نسبها قوافي الحوش ، وتمثلت في حروف الروي الثاء والشين والخاء ، التي وصفها المجذوب بقوله : " أما الخاء فما دخلت شعراً إلا أفسدته " [1].

ومما يلاحظ على الإحصائية غياب حرفين من حروف الروي لم يستعملها الشعراء ولو مرة واحدة هما : الذال والغين ، والحرفان من حروف الروي الحوش التي يقل شيوعها في الشعر العربي .

وباستقراء القوافي في شعر الهجاء في العصرين ، فإنها لا تخلو من بعض العيوب التي يقع فيها الشعراء في كل العصور ، ومن تلك العيوب ما يسمى بالإيطاء " وهو إعادة القافية قبل البيت السابع "[2] ، وقد أكثر منه ابن عنين وابن الساعاتي ، ومن

[1] - **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها**63/1

[2] - عبد الهادي ، حسن محمد ، **دراسة شعر تاج الملوك بوري بن أيوب** 101 .

شواهدها قول ابن الساعاتي يهجو ابن سناء الملك ، وينعته بالبخل ، فيقول: " مجزوء الرمل "

لِلسعيدِ المجتَبي فَضْـ ... ـلٌ على كُلِّ عَدِيمِ
جمع العالم طُراً ... مِن غَنِيٍّ وعَديمِ
دعوةٌ قَد أشْبهتْ دعـ ... ـوةَ نوحٍ في العمومِ
لم يكُن يخْلص فيها ... بيننَا وفد النسيمِ
وغَدتْ ساحاتُ تِلك الـ ... ـدارِ كالعِقْدِ النظيمِ
ثُم لما امتَلأتْ حتْـ ... ـتَى حكَتْ صدر الكَظِيمِ
جاءنا مِن فَوق بالأسـ ... ـباطِ مع موسى الكَلِيمِ[1]

فنلاحظ الشاعر قد أعاد كلمة الروي " عديم " بلفظيهما ومعناهما في البيتين الأولين .

ومن عيوب القافية التي وقع فيها بعض شعراء الهجاء ما يسمى بالتضمين وهو " أن تُعلّق قافية البيت على ما بعدها ، فلا تكاد تستقل بنفسها " [2] ، ومن شواهده قول الشاغوري في هجاء عسكر الملك الأفضل : " المنسرح "

إن غابتْ الشّمس عنهم وهم ... لم تَدخُلوا في عشِيةٍ البلدا
فاتْلُ عليهم نَباء ما جاء في الـ ... ـكهفِ ولن تفلحوا إذَن أبدا[3]

فجواب الشرط الذي يتم معنى البيت الأول جاء في البيت الثاني " فاتل ... " وقد تكررت شواهده في ديوان الشاغوري[4] .

---

1 - **الديوان** 158 .
2 - المجذوب ، عبد ا الطيب ، **المرشد إلى فهم أشعار العرب** 29/1 .
3 - **الديوان** : 124 .
4 - نفسه 362 ، 464 .

وهناك ظاهرة عيبت على قوافي شعراء الهجاء وهي ما يسمى بالسناد وهو " ما يطلق على عيوب كثيرة ، أهمها أن تخالف بين أنواع الرّدف "[1] ومن شواهدها قول ابن مكنسة يصف قبح منزله وما يعانيه من قسوة ، يقول : " الخفيف "

لِي بيتٌ كأنّه بيتُ شِعرٍ لابن حجاج من قصيدٍ سخيفِ
ضايقني بنَاتُ وردان حتّى أَنا فيه كفأرةٍ في كنيفِ
أين للعنكبوتِ بيتٌ ضعيفٌ مِثْلُه وهو مثلُ عقْل الضعيفِ
بقعةٌ صد مطلع الشمس عنها فأنا مذ سكنْتُها في الكُسوفِ[2]

فكلمة " الكسوف " اختلفت في صيغتها وحركاتها عن الكلمات الأخرى " سخيف، كنيف ، ضعيف " وشواهدها كثيرة في شعر الهجاء .

وقريب منه قول ابن عنين يهجو أحدهم يدعى موفق الدين : " الوافر "

ورب أخٍ حميمٍ بت ليلي أُجرع من ملامتِهِ الحميما
يقولُ علام مِن غيرِ احترامٍ هجوتَ موفّقَ الدين الحكيما
فقُلْتُ له تَأن فَغَير عدلٍ إذا ما لام من سِلم السليما
شَكَوتُ إليه من كانون قُراً أبيتُ لضره أرعى النّجوما[3]

فالسناد في ردف كلمة " النجوما " إذ خالفت ما قبلها في صياغتها وحركاتها ، وذلك في الألفاظ (الحميما ، الحكيما ، السليما) فتغيرت نغماتها الموسيقية .

---

[1] - المجذوب ، عبد ا الطيب ، **المرشد إلى فهم أشعار العرب** 29/1 .
[2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 211/2 .
[3] - **الديوان** : 199 .

ومـن عيـوب القافيـة مخالفـة الـشاعر لمـا التـزم بـه بالحركـة قبـل حرف الـروي وهـو مـا سـمي بالتوجيـه ، ومـن شـواهده قـول ابـن المـسجف يهجو أحدهم : " البسيط "

قالوا : علام رفضتَ الـشّعر مطرحـاً فقُلتُ : مِـن قِلّـةِ الإنْـصافِ فـي زمنـي

لا المـدح يـورثُني مـالاً أُسـرّ بِـه ولا الهجـاء إلـى سـؤْلي يقرّبنـي

حتـى يقـالَ أديـب شـاعِر فَطِـن حـرام كـل أديـبٍ شـاعر فَطِـن[1]

فالـشاعر لـم يلتـزم بالحركـة التـي بـدأها قبـل حـرف الـروي ، وإنمـا جـاءت متباينـة ، فأذهـب هـذا التغيـر جمالهـا الموسـيقي ، لأنّـه عـدل عـن الفتحة قبل حرف القافيـة إلـى الـضمة ثـم إلـى الكـسرة . فأذهـب انـسجام الـنغم والإيقاع الموسيقي .

وهنـاك وسـائل أخـرى تكـسب الـشعر جمـالاً موسـيقياً إلـى جانـب الـوزن والقافيـة ، ويتمثـل فـي المحـسنات اللفظيـة ومنهـا التـصريع ومعنـاه تقفيـةُالعروض بقافيـة الـضرب ، وهـي كثيـرة فـي المقطوعـات الهجائيـة فـي العـصرين الزنكـي والأيـوبي ، ومـن أمثلتـه قـول ابـن المـسجف العسقلاني : " الطويل "

ثلاثـةُ أشـياءٍ تُقِلْـن بجلـقْ علـى كـل قلـبٍ بالـدليل المحقـقْ[2]

---

[1] - الكتبي ، **فوات الوفيات** 286/2 .

[2] - نفسه 284/2 .

ومـن الأسـاليب التـي تحـدث أنغامـاً موسـيقية الترصـيع وهـو " أن يكون حـشو البيـت مـسجوعاً "[1] ، ومـن شـواهده قـول محمـد الاسـكندراني فـي هجو طبيب : " المنسرح "

أنيـاب غـولٍ ومِـشْفرا جمـلٍ ورأس بغْـلٍ وذقـن نِـسناس[2]

ومن أمثلته قـول ابـن عنـين يـتهكم بأحـد القـضاة لميلـه إلـى النـساء ، فيقول : "السريع"

أقُـولُ لَـو بلغْـتَ مـا قـد عـسى فالطِّبـلُ لا يـضرب تحـت الكُـسى

قاضـيك إن لـم تَقْـصِهِ فاخـصِهِ أولـى فـلا يحكُـم بـين النـسا[3]

وتكـرار الحـروف فـي البيـت الـشعري مـن الوسـائل التـي تكـسب الـشعر أنغامـاً موسـيقية ، كمـا ذكـر إبـراهيم أنـيس فـي قولـه : " إن تـردد الحـروف أو الكلمـات يكـسب الـشعر لونـاً مـن الموسـيقى تـستريح لـه الآذان وتقبل عليه "[4] ، وأيده فـي ذلـك حـسن عبـد الهـادي[5] ، ومـن أمثلـة ذلـك قـول ابن سناء الملك في إحدى مقطوعاته : " السريع "

لهفـي علـى عـشاقِك الطـرش العمـي فـي عِـشْقك لا العمـش

عاشِـقُك القَـش ولا غَـرو أن تَلتَهـب النّيـران فـي القَـش

قـالوا لقـد أحـدث مـن بعـدِنا مـا لا يـرى قلـتُ علـى القُـرش[6]

---

1 - أبو هلال العسكري ، **الصناعتين** 390 .

2 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر) 100/2 .0**

3 - **الديوان** : 131 .

4 - **موسيقا الشعر** 41 .

5 - ينظر : **دراسة شعر تاج الملوك بوري بن أيوب** 101 .

6 - الصفدي ، **الغيث المسجم** 265/1 ، ولم تذكر في ديوانه .

ويمكـــن أن يكـــون الاكتفـــاء مـــن الأســـاليب التـــي تـــصنع الموســـيقا الـــشعرية ، وهـــذا مـــا رجحـــه حـــسن عبـــد الهـــادي بقولـــه : " وربمـــا يكـــون الاكتفـــاء أدخـــل فـــي بـــاب موســـيقا الـــشعر منـــه فـــي بـــاب الأســـلوب "[1] ومـــن شـــواهده فـــي الهجـــاء قـــول ابـــن الساعاتي : " المنسرح "

وصـــاحِبٍ يـــسِلب الفِعـــالَ ومـــا فـــالَ وكَـــم قـــالَ لـــي ومـــا فَعـــلا

ولَـــستُ آســـي ولا أقـــولُ لَـــه لا جعـــلَ ا ُ لـــي إليـــك ولا[2]...

ولـه مقطوعـة أخـرى يهجـو فيهـا شخـصاً بلغـة قريبـة مـن الـسباب العامي، يقول : " مجزوء الرجز "

جـــن أبـــو العقْلـــين والـــ ـــــمالُ الـــــذي جفنَـــــه...

ويـــلاه مـــا أَبخَلَـــه – الـــ ـــــكلْب – ومـــــا أَجبنَـــــه...

قُـــلْ فيـــه كـــل معـــضِلٍ فإنـــــــــه وإنـــــــــه...[3]

وقريـب منـه قـول ابـن قلاقـس يتوعـد رجـلاً يـدعى عمـر الطّـلاء بالهجاء : " السريع "

يـــا عمـــر الطّـــلاء إيـــاك أن تَعـــرض لـــي يـــا عمـــر الطـــلا

وا ِ إن جـــردتُ ســـيفَ الهجـــا فَأَغْمـــــــدتْ شَـــــــفْرتُه إلا... [4]

---

[1] - **دراسة شعر تاج الملوك بوري بن أيوب** 102 .
[2] - **الديوان** : 273/1 .
[3] - **الديوان** : 178/2 .
[4] - **الديوان** : 258 .

وخلاصة القول إن العناصر التي تتشكل منها الموسيقا الشعرية إضافة إلى الوزن والقافية والموسيقا الداخلية كثيرة ، واستعراضها يطول بنا ، إلا أن استقراء الدارس للعديد من النصوص المعروضة ، يلمح فيها كثيراً من تلك العناصر التي أدت دوراً فاعلاً في بناء موسيقا الشعر ، فاختيار المفردات ، وترتيبها وفق نسق خاص ، وما يتبع ذلك من الحركات الإعرابية ، والمد ، والإمالة ، والتفخيم ، وفنون البديع اللفظي المتعددة في شعر هجاء العصرين الزنكي والأيوبي أضْفَتْ عليه أنغاماً عذبة وأصواتاً شجية تحرك المشاعر وتطرب الأسماع .

المبحث الرابع : الصورة الشعرية :

تُشكل الصورة الشعرية ركيزةً أساسية في بناء العمل الأدبي ، لأنها جوهر الشعر ، وأداة الشاعر في نقل أفكاره ومشاعره بشكل مؤثر ، فهي " تعبير عن الحالة النفسية التي يعاني منها الشاعر اتجاه موقف من مواقفه مع الحياة "[1] ، وترجع أهميتها في التجربة الشعرية إلى " الطريقة التي تُعْرض بها علينا ، فهي تثير الانتباه إلى المعنى ، ثم تتركنا نتفاعل معه ، ونتأثر به ، فهي لا تشغل الانتباه بذاتها ، إلا لأنها تريد أن تلفت انتباهنا إلى المعنى الذي تعرضه ، وتفاجئنا بطريقتها في تقديمه "[2] ، لذلك فإن الشاعر الحاذق مَنْ يستطيع من خلال التصوير " نقل فكرته ، وعاطفته معاً إلى قرائه أو سامعيه "[3] .

وذهب الأدباء والنقاد في إطار عنايتهم بالصورة إلى اعتبار الشعر " صناعة ، وضرب من النسج ، وجنس من التصوير "[4] ، بل وشبه النقاد القدامى ، ومنهم ابن طباطبا – ناظم الشعر بالنساج ، فالشاعر كما يقول : " كالنساج الذي يفوف وشيه بأحسن التفويف ويسديه وينيره ، ولا يشين عقوده ، بأنْ يفاوت بين جواهرها في نظمها وتنسيقها "[5] .

---

[1] - الورقي ، السعيد ، **لغة الشعر العربي الحديث** 82 .

[2] - عصفور ، جابر ، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي** 32 .

[3] - الشايب ، أحمد ، **أصول النقد الأدبي** 242 .

[4] - الجرجاني ، عبد القاهر ، **دلائل الإعجاز** 198 **،** عباس ، إحسان ، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر)** 431 .

[5] - **عيار الشعر** 43 – 44 .

وبما أن الصورة الشعرية وليدة الخيال ، والوسيلة الفنية في نقل التجربة الشعرية لدى الشعراء ، فإن أغراض الشعر تتفاوت فيما بينها ، حول مقدار التخيل الذي يتطلبه الغرض الشعري ؛ بتشكيل أبعاد تلك الصورة المتحدة مع بقية عناصر العمل الفني ، ولذلك أرى أن شعر الهجاء أقل أغراض الشعر حاجة إلى الخيال ، لأن سرعة اندفاع الشاعر في التعبير عن موقف ما ، أو حادث عرضي ، لا يعطي الشاعر فرصة في تخير الصورة التي يتطلبها الموقف أو الحادث من ناحية ، إضافة إلى ارتباطه بواقع الناس وحياتهم ، وحِرص الشاعر الهجاء إلى التأثير بمهجويه بأيسر الطرق وأسرعها من ناحية أخرى ، ومن ثم فإن الهجاء ليس بحاجة إلى فلسفة لغوية أو صور معقدة ، وإنما إلى لغة ميسرة وصور بسيطة ، تبلغ رسالته ، ويشيع ذكرها على ألسنة عامة الناس .

ومع ذلك فإن شعر الهجاء – في هذه الفترة الزمنية – اتخذ من الصورة الشعرية وسيلة للتعبير الفني عن أفكار الشعراء وأحاسيسهم ، واعتمد الهجاؤون في تصوير مهجويهم على التشخيص والتجسيم ، وضروب البيان المختلفة ، ونوعوا في صورهم الحسية " فقد تكون الصورة بصرية ، وقد تكون سمعية ، أو قد تكون بكاملها سيكولوجية "[1].

و تنوعت مصادر ومنابع صورهم الشعرية ، لكن النصيب الأكبر منها استوحاه الشعراء من واقعهم وحياتهم اليومية ، فقد استوحى فتيان الشاغوري من الصناعة المنزلية للخبز ، ومصدره الأساسي

---

[1] - ويليك ، رينيه ، **نظرية الأدب** 242 .

المتمثل فـي الـدقيق وطريقـة فـرزه مـن شـوائبه ، لهجـو المتكبـرين ونقـدهم ، فيقول : " الكامل "

الكِبـر تُبغِـضه الكِـرام وكُـل مـن يبـدي تواضـعه يحـب ويحمـد

خَيـر الـدقيق مِـن المناخـل نـازلٌ وأخـسه- وهـي النّخالـةُ - تَـصعدُ[1]

فالـشاعر يـصور التكبـر بالنخالـة ، ولكـي يزيـد الـصورة وضـوحاً قابـل بـين الـدقيق الجيـد وشـوائبه بطريقـة حـسية ، واختـار مـن الألفاظ ما يدل على استمراريتها مثل النزول والصعود .

ووجـد ابـن دنينيـر فـي الـصورة المألوفـة للـذباب ، وسـلوكه الغريـزي المتمثـل فـي تهافتـه علـى الجـرح ، وتطفلـه فـي الحـصول علـى طعامـه ، ومـا يلحقـه مـن أذى ، طريقـاً يـسيراً للنيـل مـن القـضاة المنحـرفين عن الحق ، والمائلين إلى اللوم والضلال ، فيقول : " الطويل "

لنـا حـاكِم لـم يخْلُـق ا ُ مِثْلَـه بِخَلْـقٍ وخُلْـقٍ قـد حـوى غايـةَ القُـبح

يضِل إلـى طُـرق العـلا غيـر َأنـه إلى اللؤم أهدى مـن ذُبـابٍ إلـى جـرحِ[2]

فالـشاعر رسـم صـورة قبيحـة مـستوحاة مـن سـيرة حيـاة الـذباب المـستقبحة ، مـستعيناً بالديمومـة فـي حيـاة الـذّباب ، والحركـة الدائبـة والاختيار الدائم للأماكن القبيحة .

واسـتوحى ظـافر الحـداد صـوره مـن الواقـع الاجتمـاعي الـسيء ، وما يعانيـه النـاس مـن فقـر وحرمـان ، وتعكـس تلـك الـصور طبيعـة الحيـاة التي يحياهـا غالبيـة فئـات المجتمـع ، وحـشد فـي أبياتـه كـل العناصـر التـي

---

[1] - **الديوان** : 123 .

[2] - **الديوان** : 575 .

تـصور واقعـه تـصويراً صـادقاً ، إذ يقـول فـي تـصوير حجـرة قذرة :

" الطويل "

ألا لا أعــاد ا ُ ليلــي بِحجــرةٍ وقَفْـتُ بهـا حتّـى الـصباح علـى سـاق

وللبــق فيهــا والبراغيــثِ خُلْطَــةٌ كَبـزر قَطُونـا ذُر فـي حـب سـماق

إذا مـا أرانـين البعـوض تجاوبـتْ لنـا وقعـوا بـالرقص إيقـاع حـذاق

وقد أنْضجت جِسمي لهـم نـار حرهـا ولكنـه نُـضج تنـاهى لإحـراق

فبـت كـأنّي مِـن حـرارةِ نَهـشِها سـليم الأفـاعي دون راقٍ وترِيـاق

وما عجبـي أن كِـدتُ أفْنـى بِأَكْلِهـا بلى، عجبـي أن كيـفَ قَـد سـلِم البـاقي

إلـى أن تَبـدى الـصبح بعـد تباعـدٍ قَـداركْتُ مِـن نفـسي بقيـةَ أرمـاقي[1]

فالـشاعر عـرض لنـا مـشهداً وصـفياً لواقـع حقيقـي ، ووضْـع حيـاتي قـاسٍ ، واسـتوفى عناصـر المـشهد كـاملاً ، فتظـافرت فـي أبياتـه الـصور الحركيـة " للبـق فيهـا والبراغيـث خلطـة " مـع الـصورة اللونيـة " كبـزر ذُر في حـب سـماق " مـع الـصورة الـصوتية " أرانـين البعـوض ، إيقـاع حـذاق " مـع الـصورة الـضوئية " نـار حرهـا ، تبـدى الـصبح "و جمـع بـين الـصورة الـضوئية والحركيـة مـدللاً علـى الانـسجام بينهمـا فـي مـشهد تـصويري "تجاوبت لنا وقعـوا بـالرقص إيقـاع حـذّاق " وتلـك مـشاهد إيحائيـة عـن مـرارة الواقع المعيشي وقذارته لدى كثير من الناس .

وكثُـرتْ الـصور المـستمدة مـن عـالم الحيـوان والحـشرات ، سـعياً مـن الـشعراء للانتقـاص مـن مقـدار مهجـويهم ، ومـن ذلـك قـول الـشاغوري

---

[1] - **الديوان** : 237-238 .

يـزري بأحـد الوعـاظ ، ويـصوره بالجـاموس ، ومـن يعظهـم بـأنهم بقر : " السريع "

رأيـتُ بالجـامع أعجوبـةً والنّـاس يـسعون إليهـا زمـر
فقالـتُ يـا قـوم علـى رسـلكم مـا يعِـظُ الجـاموس إلا البقـر[1]

أمـا ابـن قلاقـس فيـصور مغنيـة فـي رداءة صـوتها بـالمرأة الـثكلاء ، وفي خفتها على أوتار عودها بالعنكبوت ، فيقول : " السريع "

عـوادةٌ غنـتْ لنـا صـوتاً يـشْبه نَـزع الـروح والموتـا
كأنّهـا والعـود فـي حِجرهـا ثاكِلـةٌ قـد أسـندتْ ميتَـا
شَـبهتُها مِـن فَـوق أوتَـارهِ بعنكبـوتٍ نَـسجتْ بيتـا[2]

واسـتوحى ابـن الـساعاتي صـورة مهجـوه مـن عـالمي الحيـوان والحشرات معـاً ، إمعانـاً فـي تقبيحـه ، فهـو كالعجـل فـي جهلـه وقلـة عقلـه ، وكالذبابة في تطفله ، وكالنمل في نقله للحديث ، فيقول : " الطويل "

تَجـاوز دنْيـاتِ العجيـل وجهلِـهِ فمـا يهتَـدي عجـلٌ يكـون بـلا عقـل
أحـط علـى مأكولِـه مـن ذُبابـةٍ وأنْقَـلَ فـيهم للحـديث مـن النمـل[3]

وتعـددت الـصور الـشعرية المـستوحاة مـن البيئـة والطبيعـة فـي شـعر الهجـاء ، فقـد اسـتمد المهـذب بـن الزبيـر مـن الكوكـب "كيـوان" صـورته ؛ ليظهر من خلالها نحس أحد أصدقائه ، فيقول : " السريع "

لا تَـرج ذا نَقْـص ولـو أصـبحتْ مِـن دونِـه فـي الرتبـة الـشمس

---

1 - **الديوان** : 204 .
2 - **الديوان** : 382 .
3 - **الديوان** : 72/2 .

كيــوان أعلـــى كوكـــبٍ موضِـــعا وهـــــو إذا أنْـــــصفْتَه نحــــس[1]

أمــا ابــن منيــر الطرابلــسي فيــستمد صــورته فــي وصــف طبــاع أهــل دمــشق مــن الجبــال ، فــشبه غلاظــة قلــوبهم و قــسوتها بجبــالهم ، بقوله : " مجزوء الكامل "

وطِبـــــــاعهم كجِبـــــــالِهم جبِلــــتْ وقُـــدتْ مـــن حجـــر[2]

ويــصور القاضــي الفاضــل أحــد مهجويــه ممــن لا يرجــى منــه خيــر بصورة السراب الذي لا ينتظر منه الماء ، فيقول : " المتقارب "

فيـــا عجبـــاً ، هالـــةٌ قـــد بـــدتْ وأنْـــتَ تُـــرى عِنْـــدها مظلِمـــا

ومـــا كُنـــتَ إلا كمِثْـــل الـــسرا بِ يـــسوقُ إليـــه ســـياطَ الظّمـــا[3]

وتكــررت الــصورة المــستمدة مــن البيئــة وبالتحديــد مــن النبــات ، فالعرقلة الكلبي يــصور العــذار فــي وجنتــي مهجــوه فــي قُبحهــا بــشوك القتــاد ، فيقول : " الوافر "

إذا مـــا الأمـــرد المـــصقُولُ جـــاء عوارضـــه فـــنقص فـــي ازديـــادِ

يمـــوتُ الموتـــة الأولـــى فتُمـــسي علـــى خَديـــه أثـــواب الحِـــدادِ

وهـــلْ يَستَحـــسِن الإنـــسان روضـــاً إذا مـــا حـــله شَـــوك القَتـــادِ[4]

---

1 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة** (قسم شعراء مصر) 224/1 .

2 - **الديوان** : 211 .

3 - **الديوان** : 435/2 .

4 - **الديوان** : 23 – 24 .

وقريب من تلك الصورة قول عمارة اليمني في تصوير بخيل بشجرة الصفصاف التي لا ثمر لها ، يقول : " الكامل "

لا تأمنَن أبدا الرذائل بعدها واحذر أمانَةَ سارقٍ خطّافِ
فالمرتَجي عِنْد اللّئامِ أمانةً كالمرتَجي ثمراً من الصفصافِ[1]

واختار ابن عبد ا الشهرزوري الطير ليستوحي منها صورته ، فيصور المهجو ووالده بقبح الوجه كالبوم يجلب الهموم ، واستعان بالمقابلة ليخرج لهما صورة طريفة ، فيقول : " مجزوء الرمل "

آهِ مما أقربه للـ أُنْس لو كان يتيما
فإذا ما أقبلا ، عـا ينْتُ قُمرياً وبوما
ذا يسلي الهم إن غنْـ نَى وذا يدني الهموما[2]

أما ابن عنين فصور مهجوه بالدجاجة موريا بها إلى شرفه المدنس وعرضه المهتوك ونسبه المجهول ، إذ يقول : " البسيط "

يا ابن الدجاجةِ كل النّاس كان لها ديك فأنْتَ ابن من حتى أُنَاديكا[3]

ولجأ كثير من الشعراء في رسم صورهم إلى عيوب مهجويهم الخُلقية وهي كثيرة في هذه الدراسة ، فابن قادوس يرسم صورة طريفة لطول أنف مهجوه ، ويصوره بدعوة المظلوم حين يطيل في دعائه ، فلا حاجب بينه وبين خالقه : " السريع "

ورب أنفٍ لصديقٍ لنَا تحديده ليس يمعلوم

---

[1] - **الديوان** : 699 .
[2] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 328/2 .
[3] - **الديوان** : 201 .

لـيس علـى العـرش لـه حاجـب كأنـــــه دعـــــوةُ مظلـــــومِ[1]

واسـتمد الهجـاؤون بعـض صـورهم مـن الشخـصيات التاريخيـة ، كمـا فعـل فتيـان الـشاغوري فـي تهكمـه مـن القاضـي الفاضـل ، إذ اسـتدعى معـاني تلـك الـصورة الـساخرة مـن شخـصيتين متناقـضتين مـن التـاريخ ، وشكلها منهما ، في قوله : " الكامل "

لا مرحبـاً بالنّـاقِص ابـن القاضـل هـذا ابـن قُـس[2] فـي فُهاهـةِ[3] باقـل[4]

وأجـل قـدراً منـه بغْلتُـه التـي أضحـى أبوهـا مِنْـه فـوقَ الكاهـل[5]

وبعـض الـشعراء بنـى صـورته مـن حـدث تـاريخي ، كمـا فعـل عرقلة الكلبي في تـشكيل صـورته مـن معـاني الحادثـة التـي جـرت بـين علـي ومعاويـة[6] . مـن هنـا تعـددت مـصادر الـصور الهجائيـة وتنوعـت فـي زمـن الـزنكيين والأيـوبيين ، فـالبعض جـاء مـن قـصص القـرآن ، والآخـر مـن الـشعر القـديم ، وأخـرى مـن معـارف الـشعراء اللغويـة والنحويـة والتاريخيـة ، ومثـلّ لهـا مـن خـلال النمـاذج المدروسـة ، لـذا لا ضـرورة لتكرارها تجنباً للإطالة .

---

1 - العماد الأصفهاني ، **الخريدة** (قسم شعراء مصر) 234/1 .

2 - قُس : هو قس بن ساعدة الإيادي ، أحد حكماء العرب في الجاهليـة ، وممـن ضـرب بـه المثـل في الحلم والخطابة . ينظر : المرزباني ، **معجم الشعراء** 267 .

3 - فهاهة : العجز والعي والحصر . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (فهه) .

4 - باقل : هو باقل الإيادي ، جـاهلي ، يـضرب بعيـه المثـل فـي الغبـاء . ينظـر : الزركلـي ، **الأعلام** 42/2.

5 - **الديوان** : 360 – 361 .

6 - ينظر : **الديوان** : 48 .

وتوسل الشعراء في تشكيل صورهم بأساليب مختلفة ، فبعضهم استعمل ضروب البيان المعروفة في تصويره ، كالتشبيه الذي شاع استعماله في غالبية صورهم ، ومن شواهده قولُ نصر الهيتي يهجو جماعة ، لم يقدموا له نوالاً على شعره ، ويرسم لهم صورة منفرة من الواقع ، فيقول : " البسيط "

رقاعهم تَملأ الدنيا بِما رحبتْ | ملأً مِن المين والبهتان والزور
تُطْوى وتُنْشَر والأدناس تَشْمَلُها | في كَف كُل سخين العين مغْرور
كأنّها وعطايَاهم مسطّرةٌ | فيها لفائفُ ميتٍ غَير منْشور
أو ما يعلقُه البيطار من خِرقٍ | عن كلّ أعجفَ غَث اللّحمِ معقُور
لا تتطّرحها إذا جاءت فإن لها | نَفْعاً ، ولكن لتَرقيع الطّنَابيرِ[1]

فالصور رسمها الشاعر لمهجويه جزئية وبسيطة ، وتحقق ما رمى إليه الشاعر للإزراء بهم ، كما أنها سهلة في سرعة وصولها إلى الأفهام ، فالرقاع كاللفائف وكالخِرق التي يعالج بها البيطري حيواناته .

واعتمد العرقلة الكلبي في تشكيل صورٍ جزئية لمهجوه في تشبيهات متتابعة ، استوحاها من الطبيعة والبيئة ، وعرضها بطريقة تهكمية ساخرة ، ظاهرها المدح وباطنها ذم وقدح ، فصورة المهجو كالبدر إذا كسف ، وقوامه كالغصن إذا قصف وبنانه كالبحر إذا نشف فلا يرجى منه أي خير ، يقول : " مجزوء الخفيف "

لك وجه كأنّه الـ | ـبدر لكن إذا كُسِفْ
وقوام كأنّه الـ | ـغُصن إذا قُصِفْ

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء الشام)** 1/231 – 232 .

وبنـان كأنّـه الـبحر لكـن إذا نَـشِف[1]

واتكأ الشعراء في بعض صورهم على التشخيص الذي يبث الحياة والحركة في الجمادات ، كما فعل ابن عنين حين أنْسن الدين ، وصيره شخصاً يستغيث ، ويشتكي إلى خالقه مما لحق به أذى ناجم عن تنكر الأفراد له ، إذ يقول : " الخفيف "

صعِد الدين يستغيثُ إلى اللـهِ وقالَ الأنَامُ قد ظلموني
يتَسمون بي وحقك لا أعرفُ شخصاً منهم ولا يعرفوني
جعلوا ابن المصري تاجي ولو كا ن شِراكاً للنّعل لم ينْصِفُوني
ثُم قالوا البكْري صدري كما قا لوا وقالُوا وجهي الزنكْلوني[2]

ولجأ شاعرٌ يدعى " الجهجهان " في تشكيل صورته إلى التجسيم ، وتحويل الأمور المجردة إلى صور محسوسة ، فقد جسم حديث مهجوه غير المرغوب فيه ، وجعله محسوساً حين شبهه بالبرد القارص يطفئ لهيب جهنم ، وزاد من تقبيحه فاستوحى له صورة قرد ، يقول : " الخفيف "

صير ا ُ ليلةَ الهجر وجها لابن بري وليلةَ الوصل قدا
ذو حديثٍ يطفي جهنّم بردا ومحيا كالقِردِ قُرباً وبعدا[3]

ونجد بعض الشعراء يستعمل الكناية في رسم صوره، واللافت للانتباه في هذه الصور تردد لفظة "قرون" على ألسنة الشعراء في

---

[1] - **الديوان** : 63 .
[2] - **الديوان** : 209 .
[3] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 132/2 .

تـصوير المتكبـرين والخـيلاء ، ومـن شـواهدها قـول ابـن قـادوس ينتـصر لرجـلٍ عابـه أحـد الـشعراء لـضخامة أنفـه فيـذم كبريـاءه ، بقوله : " مجزوء الكامل "

يـا مـن يعيـب أنُوفنـا الـشْـ ـشُم التـي ليـست تُعـاب
الأنْـفُ خِلْقـةُ ربنـا وقرونُـك الـشم اكتِـساب[1]

وتنوعـت الـصور الـشعرية لـدى شـعراء الهجـاء زمـن الـزنكيين والأيـوبيين ، فجـاء منهـا الحـسي والعقلـي والإيحـائي ، وشـكل بعـضها مـن ضـروب بلاغيـة أخـرى تـم عرضـها سـابقاً ، إلا أن غالبيتهـا طغـى عليهـا الطـابع الحـسي ، فمـن الحـسية الـصورة البـصرية التـي اتخـذت مـن الألـوان وسـيلة ؛ لتـشكيل معـاني الـصورة الهجائيـة ، وكـان اللـون الأسـود أكثرهـا اسـتعمالاً ، لدلالتـه علـى الكآبـة والـشؤم عنـد كثيـر مـن النـاس ، فهـذا ابـن الـساعاتي يظهـر كآبتـه مـن مهجـوه لـسواد جلـده رغـم خُلقـه الجميـل ، فيقول : " الخفيف "

وجميـل الأخْـلاق غيـر جميـل لا ضـحوك ولا عبـوس الـودادِ
أسـود شـاب شَـعره فتـراه فَحمـةً تَستَـشِف تحـتَ رمـادِ[2]

أمـا ابـن عنـين فيجـسم اللـون الأسـود ، ويحولـه إلـى شـيء محسوس للنيـل مـن مهجـوه والغمـز بـه ، لأنـه حجـب عطـاءه عنـه ، فـذهب لتصوير عرضه بالأسود الممزق ، في قوله : " الكامل "

مـا إن مـدحتُك أرتَجـي لـك نـائلاً فَحرمتَنـي فَهجـوتُ باسـتِحقاق

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 245/2 .
[2] - **الديوان** : 329/2 .

لكنّـــي عاينْـــتُ عِرضــك أســودا متمزقـــاً فقـــدحتُ فـــي حـــراق[1]

وجمـع بعـض الـشعراء فـي صـورهم بـين اللـونين الأبـيض والأسـود، كمـا فعـل فتيـان الـشاغوري فـي تبرمـه ، وذمـه للـشيب الـذي غـزا رأسـه فصار يخجل منـه ، وقـد تلاعـب الـشاعر بالـصورة حـين جعـل الألـوان علـى نقائض استعمالاتها فبدا رسـاماً يـضع اللـون فـي المكـان الـذي يعبـر فيـه عـن عواطفه ومشاعره ، إذ يقول : " الوافر "

بياض الـشّيبِ قـد سـودتَ وجهـي ففـــي تـــسويد وجهـــك مـــا أُحـــابي

كتـاب الـشّيبِ أبـيض فـي سـوادٍ وهـــذا ضِـــد معهـــودِ الكتـــابِ

أراه قـصةً رفعـتْ إلـى مـن يوقـــع فـــي جـــوابي بـــالجوى بـــي[2]

وتتـداخل عناصـر الـصورة الحـسية الحركيـة والـسمعية واللونيـة فـي صـورة واحـدة ، يـتمكن الـشاعر مـن خلالهـا مـن رسـم مـشهد تـصويري لمهجـوه ، كمـا فعـل أبـو الفـضل الـشهرزوري ، فـي قوله : " مجزوء الكامل "

أولادك الأنْجـــاب فـــي أرض الجزيـــرةِ كالعبيـــدِ

أوقـــافُهم وقْـــفٌ علـــى دف ومِزمـــارٍ وعـــودِ

ومدامـــةٍ قـــد خُـــضِبتَ فـــي أيـــدي الـــسقاةِ إلـــى الزنـــودِ[3]

---

[1] - **الديوان** : 207 .

[2] - **الديوان** : 49 .

[3] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة** (قسم شعراء الشام) 327/2 .

ومن الـصور الذوقيـة وهـي قليلـة فـي شـعر الهجـاء قـول الـشاغوري فـي ذم الـدنيا ، وتـصوير نسيمـسها الخـادع بالـشهد الـذي خالطـه سـم ،فكأنـه أفعى ، إذ يقول : " الطويل "

تخادِعنــا الــدنيا بطيــبِ نَــسيمها وهـــا هـــو إلا الـــشّهد خالطَـــه الـــسم
وتلْتَــذّ بالأنفــاس جهــلاً نُفوســنا ومـــا نَفَـــس إلا وفيـــهِ لهـــا كلْـــم[1]

وفـي إطـار الطـابع الحـسي ، اسـتخدم الهجـاؤون الـصورة الـشمية التـي تـوحي برائحـة المهجـو الكريهـة ، وهـي مـن الـصور المنفـرة ، علـى نحو ما يظهر في قول ظافر الحداد في أبخر : " المتقارب "

وذي بخَــرٍ[2] لــج فــي قَــسوةٍ وكـــان مـــن النّـــاس فـــي محفَـــل
فقــالوا لــه : كــف عنــا أذاك وإلا تـــــنح إلـــــى معـــــزل
فلمــــا تكلــــم قــــالوا لــــه أعــــدنا إلــــى حالِنــــا الأول[3]

وقريـب مـن هـذا المعنـى مـا عبـر عنـه أبـو الغمـر الإسـناوي فـي أبخر آخر[4] .

وتوسـل الـشعراء فـي تـصويرهم إلـى العقـل ، فـشكلوا فـي هجـوهم صـوراً عقليـة " وهـي الـصور التـي ترتـد إلـى ثقافـة الـشاعر المتنوعـة ، فتجعلهـا مجـالاً خـصباً ولا تخلـو مـن الحـسية "[5] واتفـق مـع هـذا التعريـف

---

[1] - **الديوان** : 465 .
[2] - ذي بخر : البخر : الرائحة المتغيرة والنتنة . ينظر : ابن منظور ، **لسان العرب** ، مادة (بخر) .
[3] - **الديوان** : 245 .
[4] - ينظر: العماد الأصفهاني ، **الخريدة (قسم شعراء مصر)** 161/2 .
[5] - الشناوي ، علي الغريب محمد ، **الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي** 146 .

للصورة العقلية ساسين عساف[1] ، ومن شواهدها ، قول ابن عنين ينتقص من مكانة أحد مهجويه : " الطويل "

إذا المرء لم يشرفْ بنَفْس كريمةٍ وأَصلٍ فما تَغلو بجاهٍ مراتِبه
فما زاد قدر القِردِ حين استخَصه يزيد ولا حطّ الحسين مصايبه[2]

فالشاعر أعمل عقله واستلهم من التاريخ لمهجوه صورة احتجاجية على اللحظة الحاضرة ، بموقف يعادلها في اللحظة الغائرة من التاريخ ، فوظف قصة أوردها البلاذري مفادها أن، ليزيد بن معاوية قرداً ، كان يجعله بين يديه ، ويقول : هذا شيخ بني إسرائيل أصاب خطيئة فمسخ ، وقيل كان يحمله على أتان وحشية ويرسلها مع الخيل فيسبقها "[3] .

أما الصورة الإيحائية ، فهي كثيرة في شعر الهجاء ، لأنها تعتمد على التجسيم ، وقد أوردنا لها العديد من النماذج ، كما فعل ابن عنين حين خلع الحياة الإنسانية في هجوه على ما ليس بإنسان[4] إلى غير ذلك من الصور الإيحائية .

والواضح أن الصور الشعرية في شعر الهجاء زمن الزنكيين والأيوبيين ، هدفت إلى تشويه صورة المهجو وتحقيره في غالبيتها ، لذا تفنن الشعراء في ابتداع الصور القبيحة وإلصاقها بالمهجوين ، حتى

[1] - ينظر : **الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس** 38 .
[2] - **الديوان** : 234 .
[3] - **أنساب الأشراف** 287/4 .
[4] - ينظر: **الديوان** : 188 .

غدت في بعضها تعكس للمهجو صورة غريبة ومشوهة ، كما في تلك الصورة التي رسمها محمود الإسكندراني لطبيب يهجوه ، قائلاً : " المنسرح "

صديقُنا المستَطَب نادِرةٌ قد أخَذَت مِنْه أعين النّاس
أنْياب غولٍ ومِشْفَرا جملٍ ورأس بغلٍ وذَقْن نسناس[1]

وقريب من تلك الصورة ، ما فعله ابن الساعاتي في تصوير مهجوه بصورة غريبة ، فبدا متنافر التكوين ، إلى درجة إخراجه من سلالة البشر إلى البهائم ، إذ يقول : " الطويل "

يلوح لنا في صورةٍ آدميةٍ وليستْ على التّحقيق مِن نسل آدمِ
له شِبه إنسانٍ إذا ما رأيتَه فإن نَسبوه فهو إحدى البهائمِ[2]

وبعض الصور الهجائية هدفت إلى الإقناع ، بإيراد قضية ثم الإتيان بما يثبت صحتها ، وهذا طريق التشبيه الضمني ، ومن شواهدها قول أسامة بن منقذ في أحد أقاربه : " البسيط "

بعداً لمن شره أعمى يصيب ولا يرى مكان الأعادي مِن ذوي النسبِ
كالنّار تحرقُ طبعاً لا تميز بينْ ن المنْدل الرطْبِ ، في الإحراق والحطبِ[3]

---

[1] - العماد الأصفهاني ، **الخريدة** (قسم شعراء مصر)100/2 .
[2] - **الديوان** : 137/1 .
[3] - **الديوان** : 245 .

ونــزع بعــض الــشعراء فــي صــورهم الهجائيــة إلــى التــضخيم والمبالغــة ، أي إبــراز الفــضائل الخلقيــة للمهجــو بمظهــر ســاخر فيمــا يــشبه التــصوير الكاريكــاتوري ، كمــا فعــل القاضــي الفاضــل فــي الــسخرية مــن مهجوه ، إذ يقول : " الكامل "

وجــه عليــه مِــن القَباحــةِ مِــسحةٌ ظَلُــم النهـــار وقَـــد رآه فأظْلمــا
وعليــه أنــفٌ قــد أُجيبــتْ دعــوةٌ فيـــه مـــن الـــداعي عليـــه ، فأُرغِمـــا
فلــو انـــه ذَنْـــب لكـــان كبيـــرةً ولـــو انـــه طَـــود لكـــان مقطمـــا
بــرص يرينــا منــه جلــداً أبيــضاً وأذًى يرينـــا مِنْـــه جلـــداً أســـحما
لــو شــئتُ أن أرقــى لِنَيــل قُرونِــهِ لجعلْـــتُ ذاك الكِتْـــفَ تحتـــي ســـلما[1]

وخلاصـــة الحـــديث إن الـــصورة الهجائيـــة زمـــن الـــزنكيين والأيــوبيين ، صــورة جزئيــة بــسيطة لا أثــر فيهــا للتعقيــد ، وقــد بــدت قريبــة مــن أفهــام الــسامعين ، وفــي إطــار قــدرات عامــة النــاس ، ومــداركهم العقليــة والحــسية ، وتلــك ســمات تتوافــق وطبيعــة غــرض الهجــاء ، الــذي يهــدف بالأصل إلــى التــأثير فــي نفــوس المهجــوين ، وإلــى ســرعة الانتــشار والعلــوق في الأذهــان بقــصد التــشهير بهــم ، وكــل ذلــك يتطلــب إطالــة التأمــل والتفكيــر في ابتــداع الــصورة حتــى لا تفقــد خاصــيتها ، ويجِــد فــي تحقيــق هــدفها ، لأن الــصورة المبتدعــة تحتــاج إلــى تأمــل عميــق حتــى يــتمكن المتلقــي مــن فهــم معناها ، والإحاطة بدلالتها .

---

[1] - **الديوان** : 434/2 .

الخاتمة

تناولت في هذا البحث اتجاهات شعر الهجاء في مصر والشام زمن الزنكيين والأيوبيين ما بين (489 – 648 هـ) بالدراسة والتحليل ، وأبرزت من خلاله موضوعات شعر الهجاء في تلك الفترة واتجاهاته المتعددة والدوافع التي أدت إلى سلوك الشعراء نحو هذا الاتجاه أو ذاك ، وتكاثفت عوامل عدة وأحداث مختلفة في إبراز ملامح الشعر ومقاصده السياسية والاجتماعية والشخصية ، ولم يكن الهدف من هذه الدراسة إبراز الجوانب السلبية للمجتمع في تلك الفترة أو إعطاء الانطباع لدى القارئ أن تلك المظاهر السلبية هي واقع المجتمع الحقيقي ، بل إن الصور المشرقة لتلك الحقبة أكثر بكثير من الصور السلبية، ويكفينا من صوره المشرقة مقارعة الصليبيين، وتحرير بيت المقدس .

وأبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة ما يلي :

 كثرة الهجاء الشخصي الذي دل على أنه اتجاه بارز من اتجاهات شعر الهجاء ، وقد تعددت مضامينه ومحاوره وتباينت مستوياته الشعرية المعروضة من نموذج إلى آخر ، فمن نماذج هجائية أظهر أصحابها من خلالها روح الدعابة والسخرية الهادفة ، إلى نماذج تعافها النفس ، ويمتنع منها القلم عن الكتابة كونها لا تتعدى دائرة السباب والقذف والفحش ، مما أفقدتها قيمتها الفنية وهي في هذا المجال كثيرة كثرةً مفرطة .

 أظهرت بعض نماذج الهجاء الشخصي خروج بعض نماذج الهجاء الشخصي عما كان مألوفاً عند بعض الشعراء في تحويل بعض المظاهر الخلقية التي كانت مبعثاً للحسن والجمال إلى مبعث للقبح والتنفير ومنها " الخال " و " والعذار " .

 كشف الهجاء الاجتماعي بعض صور الفساد التي سادت قطاعات المجتمع ، وأظهر مواكبة الشعر لحياة الناس اليومية ، والتمييز

الطبقـي ، وسـوء الأحـوال الاقتـصادية ، كمـا بـين واقـع حيـاة شـعراء هـذا العصر ، فبـدوا فـي غـالبيتهم مـن الطبقـات الفقيـرة التـي لـم تحـصل علـى مكانة عالية عند حكام الدولتين .

 بـين الهجـاء الـسياسي جـسامة الأحـداث التـي وقعـت علـى سـاحة المـسلمين فـي مـصر والـشام ، فكـان سـجلاً تاريخيـاً شـهر بالشخـصيات الانتهازيـة ، وفـضح العمـلاء والمتـآمرين علـى الأمـة أوقـات الـشدة ، وهـذا ديدنهم في كل زمن .

 لم يكـن الهجـاء الـسياسي موضـوعاً مـستقلاً بذاتـه ، وإنمـا جـاء فـي ثنايا قـصائد مـدح القـادة وشـعر الجهـاد التـي تراوحـت بـين الـدعوة للوحـدة ووضــع مــصلحة الأمــة فــي مقدمــة المــصالح ، و بــين توجهــات أخــرى تدفعها المصالح الشخصية المتبدلة للانضواء تحت راية دون أخرى .

 وفـي الجانـب الفنـي بـدا أن المقطوعـة القـصيرة هـي الـشكل الغالـب على بنـاء القـصيدة الهجائيـة زمـن الـزنكيين والأيـوبيين ، ولعـل ذلـك يعـود إلى طبيعة شعر الهجاء الـذي يميـل إلـى الإيجـاز والتكثيـف ، وهـو مـا سـعى إليه الـشعراء لتحقيـق مـآربهم وتوصـيل رسـائلهم بأسـرع وقـت ممكـن ، أمـا مــا ظهــر مــن قــصائد طويلــة ، فنماذجهــا قليلــة ولا تــسترعي أن يقــف الــدارس عنــدها طــويلاً كونهــا لا تختلــف عــن المقطوعــات إلا فــي كثــرة الوصف ليس إلا .

 اعتمـد الـشعراء فـي هجـوهم علـى اللغـة الـشعبية الـسهلة والقريبـة مـن الأفهـام ، التـي لا تحتـاج إلـى الوقـوف طـويلاً لفهـم معانيهـا ، وسـادت اللغة اليومية المحلية والدارجة بين أفراد المجتمع العاديين .

 لـم تكـن أوزانهـم الـشعرية خارجـةً عـن الأوزان التـي نظـم فيهـا الـشعراء القـدامى ، إنمـا بـدت عنـدهم ظـاهرة لافتـة للانتبـاه وهـي كثـرة نظمهــم علــى الأوزان المجــزوءة ،والبحــور الخفيفــة ، وأكثــروا مــن المحــسنات البديعيــة التــي تحــدث جرســاً موســيقياً كالتقــسيم والترصــيع ،

إضـافة إلـى بـروز ظـاهرة الاكتفـاء فـي الـشعر وبخاصـة عنـد ابـن الساعاتي .

 جـاءت صـور الهجـاء فـي غالبيتهـا بـسيطة لا أثـر فيهـا للتعقيـد ، واسـتمدها الـشعراء مـن واقـع بيئـي معقـد ومـليء بالمفاسـد ، وأظهـرت ارتبـاط الـشعراء واتـصالهم بتـراث أمـتهم الأدبـي والتـاريخي والعلمـي ، وبينت معرفتهم بكثير من العلوم والمعارف .

وأخيـراً يوصـي الباحـث بتوصـيات لعلهـا تكـون مفيـدة أمـام البـاحثين لتلك الفترة :

1. دراسة الصورة الشعرية في شعر ابن عنين .
2. دراسة شعر الشعراء الأمراء من بني أيوب .
3. دراسة السخرية الشعرية في شعر الزنكيين والأيوبيين .
4. دراسة ألوان البديع في شعر الزنكيين والأيوبيين .

ملحق بتراجم الأعلام

- **إبراهيم الشيباني** :

هو إبراهيم بن عرب بن عبد الرحمن الشيباني ، ذكر ابن الشعار أنه شاعر هجاء من أهل الشام ، وقد ولد ببيت المقدس . ينظر : ابن الشعار ، عقود الجمان 153/1 .

- **أسامة بن منقذ :**

هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد ... من أولاد ملوك شيزر ، وأحد الشعراء المشهورين وأبطالهم أيام الحروب الصليبية ، له عدة تصنيفات منها كتاب الاعتبار وديوان شعر ، توفي سنة 584 هـ . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 499/1 ، وابن كثير ، البداية والنهاية 482/8 ، المنذري ، التكملة في وفيات النقلة 95/1 / 96 .

- **أبو إسحق الغزي :**

هو إبراهيم بن يحيى بن عثمان الكلبي الأشهبي المعروف بالغزي ، كان مولده في غزة الشام ، شاعر محسن ، له ديوان شعر وذكر أن له خمسة آلاف بيت ، توفي سنة (524 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 3/1-75 ، اليافعي ، مرآة الجنان 230/3 – 240 .

- **الأسعد بن مماتي :**

هو أبو المكارم أسعد بن الحظير أبي سعيد مهذب بن مينا بن زكريا ، أحد الكتاب في الديوان الفاضلي ، وأصله من نصارى أسيوط له مصنفات كثيرة ، وديوان شعر ، توفي سنة (606 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 100/1 ، ابن كثير ، البداية والنهاية 558/8 ، ياقوت ، معجم الأدباء 100/6 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان 95/1 .

- **ابن أبي الإصبع العدواني :**

هو عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر ... الطائي ، أصله من الميمون قرية من كورة ، شاب أسمر اللون ، حسن الفكاهة ينظر : اليونيني ، ذيل مرآة الزمان 21/1-23 ، ابن الشعار ، عقود الجمان 163/3 ، كحالة ، معجم المؤلفين 265/5 ، إسماعيل البغدادي ، إيضاح المكنون 231/1 ، 391/2 .

- **البديع الدمشقي :**

هو أبو فراس طراد بن علي بن عبد العزيز الدمشقي الكاتب المعروف بالبديعي ، وكان آية في النظم والنثر ، مدح الوزير أبا الليث فأجازه ألف درهم (ت 524 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 270/1 ، الكتبي ، فوات الوفيات 133/2 ، ياقوت الحموي ، معجم الأدباء 19/12- 22 .

- **تاج الدين البلطي :**

هو أبو الفتح عثمان بن عيسى بن منصور ، أصله من بلدة يقال له بلط بالقرب من الموصل ، أقام بدمشق يتردد على الزبداني للتعليم (ت 599 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 385/2 ، ياقوت الحموي ، معجم الأدباء 141/12 .

- **ثقة ا بن جرادة :**

هو القاضي ثقة الملك الحسن بن علي بن أبي جرادة ، شاعر من أهل حلب ، سافر إلى مصر ، وكان على صلة بالوزراء (ت 551 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 197/2 .

- **ابن جبير :**

- **هو** أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير ... الكناني الأندلسي ، ولد في بلنسية ، ورحل إلى المشرق ثلاث مرات ، له ديوان شعر (ت 614 هـ) . ينظر : ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة 221/6 ، الزركلي ، الأعلام 319/5 .

- **جرجس الفيلسوف :**

- قيل بأنه طبيب من أهل أنطاكية يسمى جرجس ولقب بالفيلسوف ، وقد أكثر من هجاء طبيب يهودي يدعى ابن رحمون . ينظر : ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء 568 ، العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 186/2 .

- **الجرز الكاتب :**

- **هو** هبة ا بن الحسين بن محمد بن هبة ا ... أبو المعالي الملقب بالجرز كان أديباً فاضلاً شاعراً يكتب خطاً حسناً (ت 590 هـ) . ينظر : الكتبي ، فوات الوفيات 236/2 .

- **الجهجمان :**

- شاعر مصري ، وقيل بأنه دُعي بالشريف الوبر ، له أشعار كثيرة في ابن بري النحوي . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 132/2 ، ابن سعيد ، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة 343 .

- **الجليس بن الحباب الأغلبي :**

- **هو** القاضي الجليس أبو المعالي عبد العزيز بن الحسين بن الحباب الأغلبي ، من شعراء الدولة الفاطمية ، كان أوحد عصره نظماً ونثراً ، ترسلاً وشعراً (ت 561 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 198/1 ، الكتبي ، فوات الوفيات 332/2 ، باسم الجليس بن الحباب ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان 223/7 .

- **الحافظ بن عساكر :**

هو علي بن الحافظ بن الحسين بن عساكر الحافظ الدمشقي ، أحد أئمة الحديث المشهورين من مصنفاته تاريخ دمشق ، الشيوخ النبل ، وتبيين كذب المفتري على أبي الحسن الأشعري (ت 571 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 274/1 ، ياقوت الحموي ، معجم الأدباء 87/13 ، ابن كثير ، البداية والنهاية 441/8 – 442 .

- **خالد بن سنان :**

هو خالد بن سنان الإسكندري ، أحد شعراء مصر كما ذكر العماد الأصفهاني في خريدته وأورد له بعض الأشعار . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 1018/2 .

- **ابن الخل :**

هو أحمد بن المبارك بن محمد بن عبد ا أخو ابن الخل الفقيه محمد بن المبارك (ت 552 هـ) . ينظر : الصفدي ، الوافي بالوفيات 303/7-304 ،ابن خلكان ، وفيات الأعيان 227/4 .

- **ابن دنينير :**

هو شرف الدين إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، من شعراء الشام ، عاصر الملك غازي صاحب حلب (ت 627 هـ) . ينظر : الصفدي ، الوافي بالوفيات 126/6 ، المقريزي ، المقفى الكبير 272/1 – 273 .

- **ابن الذروي :**

هو وجيه الدين أبو الحسن علي بن يحيى المصري ،شاعر وقاضٍ نشأ في مصر ، ولقب الذروي نسبة إلى ذروة من بلاد اليمن ، له ديوان شعر (ت 575 هـ) . ينظر : الكتبي ، فوات الوفيات 113/3 ، وقيل توفي سنة 577 هـ . ينظر :

أبــو شــامة المقدســي ، الروضــتين 68/3 ، ابــن ســعيد ، النجــوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة 333 – 334 .

- **الرشيد النابلسي :**

هو عبـد الـرحمن بـن بـدر بـن الحـسن المعـروف بلقـب " مداويـة " امتــدح بعــض ملــوك بنــي أيــوب فــأكرموه لفــضل أدبــه (ت 619 هــ ـ). ينظــر: ابــن خلكــان ، وفيــات الأعيــان 266/5 ، الكتبي ، فوات الوفيات 275/2 .

- **ابن الرقيق :**

هو عبـد المحـسن الإسـكندري ومـن شـعراء الخريـدة ، كـان كثيـر الهجو ، ولـه معرفـة بـصناعة الطـب والهندسـة ، ولـه شـعر جيـد . ينظــر : العمــاد الأصــفهاني ، الخريــدة (قــسم شــعراء مــصر) 223/2 .

- **ابن روبيل الأبار:**

هو أبو محمـد الحـسن بـن يحيـى بـن روبيـل الأبـار الدمـشقي مـن أهل دمشق ، كـان شـيخاً مطبوعـاً ديّنـاً لا يـشرب الخمـر ولا يقـرب المنكر ،ولـه دكـان فـي سـوق الأبـارين يبيـع الإبـر(ت 532 هـ ـ) . ينظــر : العمــاد الأصــفهاني ، الخريــدة (قــسم شــعراء الــشام) 261/1 ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب 6/ 160 .

- **ابن رواحة الحموي :**

هـو الفقيــه أبــو علــي الحــسين بــن رواحــة الأنــصاري الحمــوي ، شــاعر مفلــق وفقيــه محقــق (ت 585 هــ ـ) . ينظــر : العمــاد الأصــفهاني ، الخريــدة (قــسم شــعراء الــشام) 481/1 ، الكتبــي ، فوات الوفيات 376/1 ،أبو شامة المقدسي ، الروضتين 58/3 .

- **الزكي القوصي :**

هو عبد الرحمن بن وهيب بن عبد ا ، زكي الدين القوصي الكاتب ، وزر للمظفر صاحب حماة ، كان فاضلاً ، ونثره متفنناً للكتابة (ت 631 هـ) . ينظر: الكتبي ، فوات الوفيات 304/2 ، والأعلام 315/3 .

- **الزمخشري :**

هـو محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري ، لُقب بجار ا لمجاورته بيت ا الحرام ، له ديوان شعر ، يندرج فيما يسمى بـ " شعر العلماء " ، له مؤلفات عدّة أبرزها الكشاف في التفسير (ت 538 هـ) . ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية 360/8 .

- **ابن الساعاتي :**

هو أبو الحسن علي بن محمد بن رستم ، نشأ في دمشق ، وله مدائح في بعض ملوك بني أيوب ، وعُرف بابن الساعاتي لأن والده كان مشهوراً في معرفة الساعات (ت 604 هـ) . ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان 395/3 – 397 ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة 34/6 ، ابن سعيد الأندلسي ، الغصون اليانعة 118 .

- **سعادة الحمصي الضرير :**

هـو سعادة بن عبد ا بن أحمد من أهل حمص ، كان ضريراً مملوكاً لبعض الدمشقيين ، سافر إلى مصر أول عهد صلاح الدين . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 406/1 ، الصفي ، نَكْت الهميان في نكت العميان 157 - 158 .

- **سلامة السنجاري :**

هو سلامة بن الزراد السبخاري ، يذكر العماد أنه عاش بعد الخمسمائة . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام)400/2 ، الصفدي ، الوافي بالوفيات 327/15 .

- **سليمان بن بليمان :**

هو أبو الحسين بن ليمان الصائغ لقب بأبي الربيع ، شاب قصير صاحب ماج وأهازيج ، مولده برعيان بين حلب وسميساط . ينظر: الصفدي ، الوافي بالوفيات 356 -358 ، ابن الشعار ، عقود الجمان 67/2 -68 .

- **ابن سناء الملك :**

هو القاضي السعيد أبو القاسم هبة ا بن القاضي الرشيد .. السعدي ، شاعر مصري صاحب ديوان الشعر البديع والنظم الرائق (ت 608 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 64/1 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان 61/6 – 66 .

- **الشلعلع :**

هو ابن زيد بن خلف بن محمد بن أبي حامد بن العباس القرشي ، يذكر العماد أنه من أهل عصره ، شعره متوسط ومقبول . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 124/2 ، ابن سعيد الأندلسي ، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة 342 .

- **ابن شمس الخلافة :**

هو جعفر بن مختار الأفضلي ، شاعر مصري (ت 622 هـ). ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان 362/1 ، الزركلي ، الأعلام 128/2 .

- **الشواء :**

هـو أبـو المحاسـن يوسـف بـن إسـماعيل الحلبـي ، شـاعر مـصقول الكـلام ، لـه ديـوان شـعر مـن أربعـة أجـلاد ، ولـه مؤلفـات عـدّة (ت 635 هــ ـ) ينظــر : ابــن الــشعار ، عقــود الجمــان 145/8-146 ، الطبــاخ الحلبــي ، أعــلام النــبلاء بتــاريخ حلــب الــشهباء 397/4 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان 231/7 .

- **طلائع بن رزيك :**

هو أبو الغـارات طلائـع بـن رزيـك الملقـب الملـك الـصالح ، وزيـر مصر ، وتولى الـوزارة أيـام الفـائز، مـات مقتـولاً سـنة 556 هــ ـ . ينظــر : العمــاد الأصــفهاني ، الخريــدة (قــسم شــعراء مــصر) 173/1 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان 540/2 .

- **ظافر الحداد :**

هـو أبـو المنـصور ظـافر بـن القاسـم بـن منـصور الإسـكندراني ، مــن شــعراء مــصر المجيــدين ، لــه ديــوان شــعر أكثــره جيــد (ت 528 هــ ـ) . ينظــر : العمــاد الأصــفهاني ، الخريــدة (قــسم شعراء مصر) 17/1 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان 540/2 .

- **أبو عبد ا الأزدي :**

هو أبو عبـد ا محمـد بـن إبـراهيم بـن مفـضل الأزدي ، لقـب بـابن هــانئ الأصــغر ، يــذكر أن لــه ديــوان شــعر (ت 560 هــ ـ). ينظــر : العمــاد الأصــفهاني ، الخريــدة (قــسم شــعراء الــشام) 248/1 ، الزركلي ، الأعلام 295/5 .

- **أبو عبد ا الأشتري :**

هو محمد بن أبـي الفـتح بـن أبـي بكـر ... الأشـتري الأصـل ، ولـد ونشأ في مـصر وقيـل إنـه مـن أولاد مالـك بـن الأشـتري . ينظـر : ابــن الــشعار ، عقــود الجمــان 303/6 ، ابــن ســعيد الأندلــسي ، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة 349 .

- **ابن عبد الله الشهرزوري :**

هو شمس الدين القاسم بن عبد الله الشهرزوري ، تولى قضاء الموصل ، وهو من الوعاظ المقبولين (ت 530 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 328/2 ، السبكي ، طبقات الشافعية 295/4 .

- **أبو عبد الله النجار :**

هو أبو عبد الله محمد بن علي البواب الموصلي النجار ، من شعراء القرن السادس الهجري ، يذكر أنه كان بمصر سنة 572 هـ ، روى له مقطعات شعرية جيدة . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام)392/2 ، الصفدي ، الوافي بالوفيات 159/4 .

- **عرقلة الكلبي :**

هو أبو الندى ، حسان بن نمير الكلبي الدمشقي ، شاعراً مطبوعاً خليعاً مائلاً إلى القصر ، معاشراً للأمراء مُستظرف الهجاء (ت 567 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام)178/1 ، الكتبي ، فوات الوفيات 313/1-318 .

- **عبد المنعم الإسكندري :**

هو عبد المنعم بن صالح بن أحمد بن محمد القرشي الإسكندري النحوي ، رجل مطبوع المعاشرة ، وله شعر حسن في الهجو (ت 633 هـ). ينظر : ابن الشعار ، عقود الجمان 127/3 ، المنذري ، التكملة 411/3 .

- **علم الشاتاني :**

هو أبو علي الحسن بن سعيد بن عبد الله ، بن بندار بن إبراهيم الشاتاني ، أكرمه العادل نور الدين (ت 579 هـ) . ينظر :

العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شـعراء الـشام)361/2 هـ ـ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان 113/2 .

- **أبو الغمر الإسناوي :**

هو محمـد بـن علـي الهاشـمي شـاعر مـصري ، وقيـل إنـه أشـعر أهـل زمانـه ، وأفـضل أقرانـه (ت 547 هـ ـ) . ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شـعراء الـشام) 158/2 ، الأدفوي ، الطالع السعيد 315 .

- **فتيان الشاغوري :**

هـو شـهاب الـدين أبـو محمـد فتيـان بـن ثمـال الأسـدي الدمـشقي المعـروف بالـشاغوري المعلّـم ، كـان عارفـاً بعلـم اللغـة والأدب ، خـدم الملـوك وعلـم أولادهـم ، ولـه ديـوان شـعر مطبـوع (ت 615 هـ ـ) . ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شـعراء الـشام) 247/1 ، ابـن خلكـان ، وفيـات الأعيـان 24/4 ، ابن تغرى بردي ، النجوم الزاهرة 226/6 .

- **ابن الفراش :**

هو القاضـي شـمس الـدين أبـو عبـد ا محمـد بـن محمـد ، شـاعر دمـشقي ، عمـل فـي خدمـة نـور الـدين زنكـي ومـن بعـده صـلاح الـدين تـوفي بمالطـة سـنة (588 هـ ـ) . ينظـر : أبـو شـامة المقدسـي ، الروضـتين 203/4 ، ابـن كثيـر ، البدايـة والنهايـة 503/8 .

- **أبو الفضل الحموي :**

هـو أبـو الفـضل جعفـر الحمـوي ، وذكـر ابـن ظـافر الأزدي أنـه كان فقيهـاً ، وذكـر لـه بعـض الأشـعار بداهـة . ينظـر: ابـن ظـافر الأزدي ، بدائع البدائه 109 .

- **أبو الفضل الشهرزوري :**

هو أبو الفضل كمال محمد بن أبي محمد بن عبد ا ... الشهرزوري الموصلي ، قاض وأديب وشاعر فكه ، له نظم قليل (ت 571 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 323/2 ، ابن كثير ، البداية والنهاية 443/8 .

- **ابن قادوس :**

هو محمود بن إسماعيل بن قادوس القاضي ، أبو الفتح المصري ، صاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية ، أصله من دمياط (ت 551 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 226/1 ، ابن كثير ، البداية والنهاية 377/8 .

- **عمارة اليمني :**

هو نجم الدين أبو محمد عمارة بن أبي الحسن بن زيدان أحمد الحكمي ، له ديوان شعر مطبوع ، ومن مصنفاته كتاب النكت العصرية (ت 569 هـ) . ينظر : الصفدي ، الوافي بالوفيات 384/22 ، ابن كثير ، البداية والنهاية 422/8 ، السيوطي ، حسن المحاضرة 460/1 .

- **علي بن عرام :**

هو أبو الحسن علي بن أحمد بن عرام السريعي ،ذُكر أنّه من شعراء الصعيد ، يقيم بأسوان فوق قوص ، وذكر العماد أن له ديوان شعر حسن (ت580 هـ). ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 165/2 ، الصفدي ، الوافي بالوفيات 322/5 ، الأدفوي ، الطالع السعيد 371 .

- **ابن عنين :**

هو أبو المحاسن محمد بن نصر ا بن مكارم بن حسن بن عنين الأنصاري الدمشقي ، له ديوان مطبوع ، وقصيدة مقراض الأعراض في نحو (500) بيت ، ومصنفات أخرى ، تولى الكتابة للملك المعظم في آخر دولته (ت 630 هـ) . ينظر : الصفدي ، الوافي بالوفيات 122/5 – 127 ، ابن الوردي ، تتمة المختصر 164/2 ، الذهبي ، الإعلام بوفيات الأعلام 425/2 .

- **القاضي الفاضل :**

هو عبد الرحيم بن علي بن السعيد العسقلاني ، وزير من أئمة الكتاب ، كان من وزراء السلطان صلاح الدين ، له ديوان شعر مطبوع (ت 569 هـ) . ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان 156/6 ، السبكي ، طبقات الشافعية 166/7 – 168 .

- **ابن قسيم الحموي :**

هو مسلم بن الخضر بن المسلم بن قسيم ، أبو المجد التنوخي الحموي ، من شعراء عماد الدين ، يُقال أنه كان خادم ، له ديوان شعر مطبوع (ت 541 هـ)ينظر: العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 433/1 ، الكتبي ، فوات الوفيات 134/4 – 135 .

- **القفطي :**

هو علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد ... القفطي ، كان أديباً شاعراً ، مولعاً بجمع الكتب ، ولي الوزارة للملك العزيز وابنه (ت 646 هـ) . ينظر : ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة 186 ، الكتبي ، عيون التواريخ 26/20 ، ياقوت الحموي ، معجم الأدباء 175/15 .

- **ابن قلاقس :**

هــو أبــو الفتــوح نــصر ا بــن عبــد ا ... الإســكندري ، كــان شاعراً مجيـداً ، ولقـب بالقاضـي الأعـز ، لـه ديـوان شـعر مطبـوع (ت 567 هــ ـ) . ينظــر : العمــاد الأصــفهاني ، الخريــدة (قــسم شــعراء مــصر)145/1 ، بروكلمــان ، تــاريخ الأدب العربــي . 64/5

- **ابن القلانسي :**

هو حمـزة بـن أسـد بـن صـغير بـن داغـر المخزومـي القيـسراني ، شـاعر مجيـد ، مـن شـعراء نـور الـدين زنكـي ، لـه ديـوان شـعر مطبــوع (ت 548 هــ ـ) . ينظــر : العمــاد الأصــفهاني ، الخريــدة (قــسم شــعراء الــشام) 96/1 ، يــاقوت الحمــوي ، معجــم الأدبــاء 64/19 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان 458/4 .

- **ابن المجاور :**

هو نجم الدين بـن مجـاور يوسـف بـن الحـسين ، مـن بيـت مـشهور بدمشق ، عمل فـي خلافـة الـسلطان صـلاح الـدين ثـم ابنـه العزيـز (ت 601 هــ ـ) . ينظـر : ابـن سـعيد الأندلـسي ، الغـصون اليانعـة 19-25 ، المنذري ، التكملة في وفيات النقلة 30/2-31 .

- **أبو المجد المعري :**

هو محمد بن عبـد ا بـن محمـد ، أديـب وفقيـه مـن أهـل المعـرّة ، (ت 523 هــ ـ) . ينظــر : لعمــاد الأصــفهاني ، الخريــدة (قــسم شعراء الشام) 7/2 ، الصفدي ، الوافي بالوفيات 334/3 .

- **أبو محمد عبد ا الطباخ الكاتب :**

ذكــر العمــاد أنــه واحــد مــن شــعراء مــصر ، عاصــر الأفــضل الجمـالي المتـوفى سـنة 515 هــ ـ ، ولـم يـذكر شـيئاً عـن حياتـه سوى أبيـات لـه فـي الهجـو . ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قسم شعراء مصر) 98/2 .

- **محمود الإسكندراني :**

هـو محمـود بـن ناصـر الإسـكندراني ، مـن أهـل الأدب البـارع والـشعر الرائـع ، ولـه معرفـة بعلـم الهندسـة والمنطـق وعلـوم الأوائـل ، وذكـر العمـاد أنـه كاتـب ابـن حديـد (ت 525 هـ) . ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شـعراء مـصر) 100/2 .

- **ابن المسجف :**

هو عبـد الـرحمن بـن أبـي القاسـم بـن غنـائم بـن يوسـف ... أبـو محمـد الكنـاني المعـروف بـابن المـسجف ، شـاعر هجـاء متـسلط على أعـراض الكبـراء مـن النـاس ، اكتـسب بالـشعر ثـروة واسـعة (ت 635 هـ). ينظـر : ابـن الـشعار ، عقـود الجمـان 333/3 ، المقريـزي ، المقفـى الكبيـر 51/2 ، المنـذري ، التكملـة فـي وفيـات النقلة 493/3 .

- **أبو المشرف الدجرجاوي :**

شاعر من أهل مـصر ، لـه أشـعار فـي هجـو القـضاة ، ذكـر يـاقوت الحموي في معجم البلـدان فـي حديثـه عـن دجرجـا ، لـه شـعر جيـد، ينظـر : العمـاد الأصـفهاني ، الخريـدة (قـسم شـعراء مـصر) 66/2 .

- **ابن مطروح :**

هو جمـال الـدين يحيـى بـن عيـسى بـن مطـروح ، ولـد بأسـيوط ، خـدم الملـك الـصالح أيـوب ، لـه ديـوان شـعر مطبـوع (ت 649 هـ) . ينظـر : الـذهبي ، تـاريخ الإسـلام ، حـوادث ووفيـات 648 هـ ، ابـن تغـرى بـردي ، النجـوم الزاهـرة 27/7 ، ابـن خلكان ، وفيات الأعيان 258/6 – 266 .

- **ابن مقدام المحلي :**

هو داود بن مقدام بن ظفر المحلي ، يذكر العماد أنه عاش في عصره ، ونسبه ياقوت إلى المحلة .ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 45/2 ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان 63/5 .

- **ابن مكنسة :**

هو أبو طاهر إسماعيل بن محمد الإسكندراني المعروف بابن مكنسة (ت 510 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 203/2 ، الكتبي ، فوات الوفيات 194/1 .

- **ابن منكلان التنيسي :**

يذكر العماد أنه من شعراء مصر في القرن السادس الهجري . ينظر:العماد الأصفهاني ،الخريدة (قسم شعراء مصر)42/2 .

- **ابن منير الطرابلسي :**

هو أبو الحسين أحمد بن منير بن مفلح الطرابلسي، شاعر كثير الهجاء خبيث اللسان له ديوان شعر مطبوع (ت 548 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 96/1 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان 156/1 ، ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق 322 .

- **المهذب بن الزبير :**

هو ابن علي بن الزبير ويكنى المهذب أبو محمد الحسن ، وأخو الرشيد بن الزبير له شهر كثير (ت 561 هـ) . ينظر : الكتبي ، فوات الوفيات 124/1 ، العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 204/1 ،الأدفوي، الطالع السعيد 100 .

- **ابن المهنّا :**

هو أبو محمد عبد القاهر بن علوي بن المهنا ، يذكر العماد أنه لقيه في حماه ، وقيل أنه تولى قضاء معرّة بن قصرين .ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 98/2 .

- **الناجي المصري :**

شاعر هجاء سار من مصر إلى اليمن ، ومدح الأمير المقدم فضل بن أبي البركات الحميري . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 102/2 ، ابن سعيد الأندلسي ، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة 330 .

- **نبأ الزعفراني :**

هو نبأ بن أبي غانم حسين بن عبد السيد المعروف بابن الزعفراني ، من أهل حلب صار أحد شعراء دولة الملك الظاهر بن أيوب (ت 627 هـ) . ينظر : ابن الشعار ، عقود الجمان 224/8 – 226 .

- **نجم بن أبي درهم :**

هو نجم بن عبد المنعم بن الحسن بن الخضر أبو الثريا الحلبي ، المعروف بتبن درهم ، أحد شعراء الشام . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 182/2 .

- **أبو نصر الدندان :**

هو أبو نصر بن الدندان الآمدي ، من شعراء الشام المتأخرين ، له أشعار لطيفة في الهجاء . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 456/2 .

- **نصر الهيتي :**

- **هو** نصر بن الحسين الهيتي الدمشقي ، يذكر العماد أنه لقيه بدمشق ،وتوفي بعد سنة 565 هـ . ينظر: العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 230/2 .

- **ابن النقاش الرحبي :**

- أحد شعراء الشام ومن الرّحبة ، عاش في عهد أسد الدين شيركوه . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 264/2 ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان 33/3–34 .

- **هبة ا الأسواني :**

- **هو** هبة ا بن علي بن عرام الأسواني ، شاعر مصري ، قيل إن له ديوان شعر نقحه لنفسه ، وصححه ، وقفّى قوافيه على ترتيب الحروف (ت 550 هـ) . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 186/2 ، الأدفوي ، الطالع السعيد 701 .

- **هبة ا بن وزير :**

- **هو** النجيب أبو المكارم ، هبة ا بن وزير المصري ، من شعراء الخريدة ، يذكر العماد أنه لقيه بمصر سنة 573 هـ . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 143/2 ، ابن سعيد الأندلسي ، النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة 340 .

- **وحيش الأسدي :**

- **هو** الأديب سبيع بن خلف بن محمد بن عبد ا ... الأسدي الفقعسي ، يحدد العماد مولده بحدود 504 هـ ، ويذكر أنه لقيه شيخاً بدمشق ومدحه . ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء الشام) 242/1 .

- **يحيى الأزدي :**

هو يحيى بن حميدان بن ظافر بن علي بن الحسين الأزدي ، من أهل حلب ، عُرف بمؤيد الحق بن صالح ، من شعراء دولة الملك الظاهر بن أيوب ، له مصنفات كثيرة (ت 627 هـ) .
ينظر : ابن الشعار ، عقود الجمان 224/8 – 226 .

- **يغمر بن عيسى :**

هو يغمر بن عيسى العكبري ، من مولّدي الأتراك بدمشق ، له رسالة بخط يده ، تتحدث عن معاشرة الإخوان ، وتعب الزمان ، ووصف الصيد (ت 508 هـ) وقيل(509 هـ) .
ينظر : العماد الأصفهاني ، الخريدة (قسم شعراء مصر) 354/1 .

المصـادر والمراجـع

المصادر المخطوطة

- أبـو إسـحق الغـزي ، إبـراهيم بـن يحيـى بـن عثمـان محمـد الكلبـي الأشـهبي (ت 524 هـ) ، **الـديوان** ، ميكـروفيلم رقـم (269) مكتبة الأسد الوطنية بدمشق .

- ابن فضل ا العمري ، شهاب الدين أحمد بـن يحيـى(ت 749 هـ) ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ، الجـزء الثـامن ميكـروفيلم رقـم (1529) مكتبـة الجامعة الأردنية ، عمان .

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم .**

- الآمدي ، أبو القاسم الحسن بن بسر (ت 370 هـ) .
  - **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم ،** صححه وعلق عليه(د.ن)كرنكو ، دار الجيل ، ط1 ، بيروت ، 1991 م .

- إبراهيم ، محمود .
  - **صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني ،** دار البشير ، ط2 ، عمان ، 1988 م .

- الأبشيهي ، شهاب الدين محمد بن أحمد الفتح (ت 850 هـ) .
  - **المستطرف في كل فن مستظرف** ، تحقيق محمد مهنا ، مكتبة الإيمان ،(د.ط) ، المنصورة ، (د . ت) .

- ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت 630 هـ) .
  - **الكامل في التاريخ** ، دار صادر ، (د.ط) ، بيروت ، 1979 م.

- ابن الأثير ، ضياء الدين الجزري نصر ا (ت 637 هـ) .
  - **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ،(د. ط) 1939 م.

- الأدفوي ، كمال الدين جعفر (ت 748 هـ) .
  - **الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد** ، تحقيق سعد محمد حسن ، الدار المصرية العامة للتأليف والترجمة ، (د. ط) ، القاهرة ، 1966 م.

- الأزدي ، علي بن ظافر (ت 613 هـ) .
- **بدائع البدائه** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، ط1 ، صيدا ، 1992 م.

- إسماعيل ، عز الدين .
- **في الشعر العباسي (الرؤية والفن)** ، المكتبة الأكاديمية ، ط1 ، القاهرة ، 1994 م.

- الأسنوي ، جمال الدين عبد الرحيم (ت 772 هـ) .
- **طبقات الشافعية** ، نشره كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1987 م.

- الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (ت 356 هـ) .
- **الأغاني** ، تحقيق إحسان عباس ورفيقيه ، دار صادر ، ط2 ، بيروت ، 2004 م.

- ابن أبي أصيبعة ، أحمد بن القاسم (ت 668 هـ) .
- **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، تحقيق نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، (د. ط) ، بيروت ، 1965 م.

- أمين ، أحمد .
- **النقد الأدبي** ، دار الكتاب العربي ، ط4 ، بيروت ، 1967 م.

- أنيس ، إبراهيم .
- **موسيقا الشعر** ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط5 ، القاهرة ، 1978 م .

- ابن إياس الحنفي ، محمد بن أحمد (930 هـ) .
- **بدائع الزهور في وقائع الدهور** ، تحقيق محمد مصطفى ، دار النشر فرانز شتاينر ، فيسبادن ، (د. ط) ، 1975 م.

- الأيوبي ، ياسين .
- **آفاق الشعر العربـي فـي العـصر المملـوكي** ، دار جـروس بـرس ، ط1 ، طرابلس ، 1995 م .

- باشا ، عمر موسى .
- **الأدب في بـلاد الـشام فـي عـصور الـزنكيين والأيـوبيين والمماليـك** ، دار الفكر ، ط1 ، دمشق ، 1989 م .

- بدوي ، أحمد أحمد .
- **أسس النقد الأدبـي عنـد العـرب** ، مكتبـة نهـضة مـصر بالفجالـة ، ط2 ، القاهرة ، 1960 .
- **الحياة الأدبية في عـصر الحـروب الـصليبية بمـصر والـشام** ، دار نهـضة مصر للطباعة والنشر ، ط2 ، القاهرة ، 1979 م.

- بروكلمان ، كارل .
- **تاريخ الأدب العربي** ، ترجمـة محمـود فهمـي حجـازي ، الهيئـة المـصرية العامة للكتاب ، (د. ط) ، القاهرة ، 1993 م.

- البصري ، صلاح الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن (ت 659 هـ) .
- **الحماسة البصرية** ، تحقيق عادل جمـال سـليمان ، وزارة الأوقـاف بمـصر ، المجلـس الأعلـى للـشئون الإسـلامية ، لجنـة إحيـاء التـراث الإسـلامي ، (د. ط) ، (د. ت) .

- البغدادي ، إسماعيل باشا محمد البابانى (ت 1339 هـ) .
- **إيضاح المكنون في الذيل على كـشف الظنـون** ، طبعـة اسـتنبول ، (د. ط)، 1945 – 1947 .

- بكار ، يوسف حسين .
- **بناء القصيدة العربية** ، دار الثقافـة للطباعـة والنـشر ، (د. ط) ، القـاهرة ، 1979 م.

- البكري ، عبد الله بن عبد العزيز (ت 487 هـ) .
• **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع** ، تحقيق مصطفى السقا (د.ط) 1949م .
- البلاذري ، أحمد بن يحيى (ت 279 هـ) .
• **أنساب الأشراف** ، تحقيق إحسان عباس ، دار النشر فرانسيس ،(د. ط) ، بيروت ، 1979 م.

- بلبع ، عبد الحكيم .
• **النثر الفني وأثر الجاحظ فيه** ، لجنة البيان العربي ، ط2 ، القاهرة ، 1969 م.

- ابن تغرى بردي ، أبو المحاسن ، جمال الدين (ت 874 هـ) .
• **الدليل الشافي على المنهل الصافي** ، تحقيق محمد علي شلتوت ، دار الكتب المصرية ، (د. ط) ، القاهرة ، 1998 م .
• **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب ، (د. ط) ، القاهرة ، 1963 م.

- التميمي ، قحطان رشيد .
• **اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري** ، دار المسيرة ، (د. ط) ، بيروت ، (د. ت) .

- الثعالبي ، أبو منصور عبد الله بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت 419 هـ) .
• **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر** ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت ، 1983 م.

- ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت 291 هـ) .
• **قواعد الشعر** ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلب ، ط1 ، القاهرة ، 1948 م.

- الجاحظ ، أبو عثمان عمر بن بحر الكناني (ت 255 هـ) .
- **البيان والتبيـين** ، تحقيـق النـدوبي ، المطبعـة الرحمانيـة ، ط2 ، القـاهرة ، 1932 م.
- **الحيوان** ، تحقيق محمـد عبـد الـسلام هـارون ، المجمـع العلمـي العربـي الإسلامي ، منشورات محمد الداية ، ط3 ، بيروت ، 1969 م.
- **رسائل الجاحظ** ، تحقيق ، محمد عبـد الـسلام هـارون ، مطبعـة الخـانجي ، ط1 ، القاهرة ، 1979 م.

- ابن جبير ، محمد بن أحمد (ت 614 هـ) .
- **رحلة ابن جبير،** دار الكتب اللبناني ، (د. ط) ، بيروت ، القاهرة ، (د. ت) .

- الجرجاني ، علي بن عبد العزيز (ت 392 هـ) .
- **دلائل الإعجاز في المعـاني** ، تحقيق السيد رشيد رضا ، دار المنار بمصر ، ط4 ، 1367 هـ .
- **الوساطة بين المتنبي وخصومه** ، تحقيق محمد أبو الفضل ورفيقه ، مطبعة عيسى البالي الحلبي ، ط4 ، القاهرة ، 1966 م.

- جرير بن عطية الخطفي (ت 114 هـ) .
- **الديوان** ، دار صادر ، (د. ط) ، بيروت ، 1991 م.

- ابن جعفر ، قدامة (ت 337 هـ) .
- **نقد الشعر** ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتـب العلميـة ، (د. ط) ، بيروت ، (د . ت) .

- جيده ، عبد الحميد .
- **قـصيدة الهجـاء عنـد دعبـل الخزاعـي وابـن الرومـي** ، منـشورات دار الشمال للطباعة والنشر ، (د. ط) ، طرابلس ، لبنان ، 1985 م.

- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد ا .
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، طبعة استنبول ، 1360 هـ .

- الحاوي ، إيليا .
- **فن الهجاء وتطوره عند العرب** ، دار الثقافة ، (د. ط) ، بيروت (د. ت) .

- الحبازي ، مشهور .
- **شعر الرشيد النابلسي (جمع وتحقيق ودراسة)** ، المؤسسة الفلسطينية للإرشـاد القومي ، مطبعة المنار ، ط1 ، رام الله ، 2003 م.

- ابن حجة الحموي ، تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله (ت 837 هـ) .
- **ثمرات الأوراق في المحاضـرات** ، صححه وعلـق عليـه محمـد أبـو الفـضل إبراهيم ، مكتبة الخانجي بمصر ، ط1 ، 1971 م.
- **خزانة الأدب وغاية الأرب** ، تحقيـق عـصام شـعيتو ، مكتبـة الهـلال ، ط2 ، بيروت ، 1991 م .

- أبو حجر ، آمنة .
- **موسوعة المدن العربية** ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان ، 2002 م.

- حسين ، محمد محمد .
- **الهجاء والهجـاؤون فـي الجاهليـة** ، مكتبـة الآداب بالجمـاميز ، (د. ط) ، القاهرة ، (د. ت) .
- **الهجـاء والهجـاؤون فـي صـدر الإسـلام** ، دار النهـضة العربيـة ، ط2 ، بيروت ، 1965 م.
- حسان بن ثابت .
- **الديوان** ، تحقيق سيد حنفـي حـسين ، دار المعـارف ، (د. ط) ، القـاهرة ، 1983 م.

- أبو حسين ، محمد صبحي .
- **ابن منير الطرابلسي حياته وشـعره** ، دار محمـد دنـديس للنـشر والتوزيـع ، ط1 ، عمان ، 2008 م.

- حسين ، محمد كامل .
- **دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين** ، دار الفكر العربي ، (د. ط) ، القاهرة ، 1957 م .
- **في أدب الدولة الفاطمية** ، دار الفكر العربي ،(د. ط)، القاهرة ، 1950 م.

- الحصري ، أبو اسحق إبراهيم بن علي (ت 453 هـ) .
- **زهر الآداب وثمر الألباب** ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط1 ، القاهرة ، 1958 م.

- الحلبي ، محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ (ت 137 هـ) .
- **إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء** ، تحقيق محمد كمال ، منشورات دار القلم العربي ، ط2 ، حلب ، 1989 م .

- أبو حلتم ، نبيل خليل .
- **اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري** ، دار الثقافة ، ط1 ، الدوحة 1985 م.

- حمزة ، عبد اللطيف .
- **الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأولى** ، دار الفكر العربي ، ط8 ، القاهرة ، 1968 م.

- الحنبلي ، أحمد بن إبراهيم (ت 876 هـ) .
- **شفاء القلوب في مناقب بني أيوب** ، تحقيق ناظم رشيد ، وزارة الثقافة والفنون الجمهورية العراقية ، (د. ط) ، 1978 م .

- الخفاجي ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت 1069 هـ) .
- **شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل** ، قدم له وصححه ووثقه محمد كشاش ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1998 م .

- الخطبا ، فوزي .
- **شعر ابن جبيـر (جمـع وتحقيـق)** ، دار اليـنابيع للنـشر والتوزيـع ، ط1 ، عمان ، 1991 م.

- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون (ت 808 هـ) .
- **تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فـي أيـام العـرب والعجم** ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، (د. ط) ، بيروت ، (د. ت) .

- ابن خلكان ، محمد بن أحمد (ت 681 هـ) .
- **وفيات الأعيان وأبناء أنباء الزمـان** ، تحقيـق إحـسان عبـاس ، دار صـادر ، ط4 ، بيروت ، 2005 م.

- ابن الخياط ، أحمد بن محمد (ت 507 هـ) .
- **الديوان** ، تحقيق خليل مردم بك ، دار صادر ، ط1 ، بيروت ،1994 م .

- أبو الخير ، محمود عبد ا .
- **الـشعر الـشامي فـي مواجهـة الـصليبيين** ، دار الإسـراء للنـشر والتوزيع ، ط1 ، عمان ، 2003 م.
- الدماميني ، بدر الدين (ت 827 هـ) .
- **العيون الفـاخرة الغمـزة علـى خبايـا الرامـزة** ، المطبعـة الخيريـة ، ط1 ، القاهرة ، 1323 هـ .

- الدهان ، سامي .
- **الهجـاء** ، سلـسلة فنـون الأدب العربـي ، دار المعـارف ،(د. ط) ، القاهرة ، 1957 م.

- الذبياني ، النابغة (ت 18 ق هـ) .
- **الـديوان** ، تحقيـق وشـرح كـرم بـستاني ، دار صـادر ، ط3 ، بيـروت ، 2003 م .

- الذهبي ، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748 هـ) .
- **تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام** ، تحقيق عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط2 ، بيروت ، 2001 م.
- **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ورفيقه ، مؤسسة الرسالة ، ط11 ، بيروت ، 1998 م .
- **العبر في خبر من غبر** ، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1985 م .

- ابن رشيق ، أبو علي حسن القيرواني (ت 463 هـ) .
- **العمدة في صناعة الشعر ونقده** ، تحقيق محمد عبد الحميد ، دار الجبل ، (د. ط) ، بيروت ، 1972 م .

- الرقب ، شفيق محمد عبد الرحمن .
- **الشعر العربي في بلاد الشام في القرن السادس الهجري** ، دار صفاء للطباعة والنشر ، ط1 ، عمان ، 1993 م.

- الزبيدي ، محمد مرتضى (ت 1205 هـ) .
- **تاج العروس من جواهر القاموس** ، المطبعة الخيرية ، المنشأة بجمالية مصر المحمية ، ط1 ، القاهرة ، 1306 هـ .

- الزركلي ، خير الدين .
- **الأعلام** ، دار العلم للملايين ، ط8 ، ط16 ، بيروت ، 1989 م ، 2005 م.

- الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر (ت 538 هـ) .
- **الديوان** ، تحقيق عبد الستار ضيف ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط1 ، القاهرة ، 2004 م .

- ابن الساعاتي ، علي بن محمد (ت 604 هـ) .
- **الديوان** ، تحقيق أنيس المقدسي ، المطبعة الأميركانية ، (د. ط) ، بيروت ، 1939 م .

- سالم ، محمد عبد الحميد .
- **شعر المهذب بن الزبير (تحقيق ودراسة)** ،دار هجر للطباعة والنشر ، ط1 ، الكويت ، 1988 م .

- السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت 771 هـ) .
- **طبقات الشافعية الكبرى** ، تحقيق عبد الفتاح الحلو وزميله ، مطبعة عيسى الحلبي ، ط1 ، القاهرة ، 1967 م .

- السرطاوي ، محمود فايز إبراهيم .
- **نور الدين زنكي في الأدب العربي في عصر الحروب الصليبية** ، دار البشير ، ط1 ، عمان ، 1990 م .

- ابن سعيد الأندلسي ، أبو الحسن علي بن موسى (ت 685 هـ) .
- **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة** ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار المعارف ، ط4 ، القاهرة ، (د. ت) .
- **المغرب في حلى المغرب (قسم مصر)** ، تحقيق زكي محمد حسن ورفيقته ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، (د. ط) ، القاهرة ، 1953 م .
- **النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة** ، تحقيق حسين نصار ، مطبعة دار الكتب المصرية ، (د. ط) ، القاهرة ، 1970 م.

- سلام ، محمد زغلول .
- **الأدب في العصر الأيوبي** ، دار المعارف ،(د. ط)، القاهرة ، 1968 م .

- سليم ، محمود رزق .
- **عصر سلاطين المماليك** ، دار الحمامي للطباعة والنشر ، ط1 ، القاهرة ، 1965 م .

- ابن سناء الملك ، القاضي السعيد ، أبو عبد الله محمد بن هبة الله السعدي (ت 608 هـ)
- **الديوان** ، تحقيق محمد إبراهيم نصر ورفيقه ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، (د. ط) ، القاهرة ، 1967 م .

- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911 هـ) .
- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط1 ، القاهرة ، 1965 م .
- **الحاوي للفتاوي** ، عني بنشره جماعة من طلاب العلم ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت ، 1975 م .
- **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، ط1 ، صيدا ، 2004 م .

- أبو شامة المقدسي ، شهاب الدين عبد الرحمن الدمشقي (ت 665 هـ) .
- **تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين** ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ،2002م .
- **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين** ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 2002 م .
- **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين** ، تحقيق إبراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة ، (د. ط) ، بيروت ، 1997 م .

- الشايب ، أحمد .
- **الأسلوب** ، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط7 ، القاهرة ، 1976 م .
- **أصول النقد الأدبي** ، مكتبة النهضة المصرية ، ط8 ، القاهرة ، 1973 م .

- ابن الشحنة ، أبو الفضل محمد بن محمد (ت 890 هـ) .
- **الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب** ، تحقيق يوسـف بـن سـركيس الدمـشقي، المطبعة الكاثوليكية ، (د. ط) ، بيروت ، 1909 م .

- ابن شداد ، بهاء الدين يوسف (ت 632 هـ) .
- **النوادر السلطانية والمحاسـن اليوسـفية أو سـيرة صـلاح الـدين** ، تحقيـق جمـال الـشيال ، الـدار المـصرية للتـأليف والترجمـة ، ط1 ، القـاهرة ، 1964 م .

- الشريف الرضي (ت 406 هـ) .
- **الديوان** ، تحقيق محمـود مـصطفى حـلاوي ، شـركة دار الأرقـم بـن أبـي الأرقم للطباعة والنشر ، ط1 ، بيروت 1999 م .

- ابن الشّعار ، كمال الدين أبو البركات المبارك (ت 654 هـ) .
- **قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بـ ـ" عقـود الجمـان فـي شعراء هذا الزمان** " ، تحقيق كامل سـلمان الجبـوري ، دار الكتـب العلميـة ، ط1 ، بيروت ، 2005 م.

- شكر ، شاكر هادي .
- **الحيوان في الأدب العربي** ، عـالم الكتـب ، مكتبـة النهـضة العربيـة ، ط1 ، بيروت ، 1985 م .

- الشكعة ، مصطفى .
- **الشعر والشعراء في العصر العباسـي** ، دار العلـم للملايـين ،ط1 ، بيـروت ، 1973 م .

- الشناوي ، علي الغريب محمد .
- **الصورة الشعرية عنـد الأعمـى التطيلـي** ، مكتبـة الآداب ، ط1 ، القـاهرة ، 2003 م .

- الشنتريني ، أبو الحسن علي بن بسام (ت 542 هـ) .
- **الذخيرة في محاسن أهـل الجزيـرة** ، تحقيـق إحـسان عبـاس ، دار المغـرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 2000 م .

- الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548 هـ) .
- **الملـل والنحـل** ، تحقيـق محمـد فريـد ، المكتبـة التوفيقيـة ، (د. ط) ، القاهرة ، (د. ت) .

- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764 هـ) .
- **الغيـث المـسجم فـي شـرح لاميـة المعجـم** ، دار الكتـب العلميـة ، ط1 ، بيروت ، 1975 م .
- **كشف الحال في وصف الخال** ، تحقيق عبـد الـرحمن محمـد العقيـل ، الـدار العربية للموسوعات ، ط1 ، الرياض ، 2005 م .
- **نَكْتِ الهميـان فـي نُكَـت العميـان** ، تحقيـق أحمـد زكـي بـك ، المطبعـة الجمالية ، (د. ط) ، مصر ، 1911 م .
- **الوافي بالوفيات** ، أجزاء مختلفـة ، محققـون مختلفـون ، وسـنوات مختلفـة ، وطبعات مختلفة ، نشر المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، بيروت .

- الضبي ، أبو العباس المفضل بن محمد بن يعلى الكوفي (ت 178 هـ) .
- **المفـضليات** ، عني بطبعه كارلوس يعقوب لايـل ، مطبعـة الآبـاء اليـسوعيين (د . ط) بيروت 1920 م .

- ضنّاوي ، سعدي .
- **المعجم المفـصل فـي المعـرب مـن الـدخيل** ، دار الكتـب العلميـة ، ط1 ، بيروت ، 2004 م .

- ضيف ، شوقي .
- **التطـور والتجديـد فـي الـشعر الأمـوي** ، دار المعـارف بمـصر ، ط3 ، 1965 م .
- **العصر الجاهلي** ، دار المعارف ، ط3 ، القاهرة (د . ت) .

- **العصر العباسي الأول** ، دار المعارف ، ط8 ، القاهرة ، 1982 م .
- **العصر العباسي الثاني** ، دار المعارف ، ط2 ، القاهرة ، 1975 م.
- **الـشعر وطوابعـه الـشعبية علـى مـر العـصور** ، دار المعـارف ، ط2 ، القاهرة ، 1984 م .
- **فصول في الشعر ونقده** ، دار المعارف ،(د . ط)، القاهرة ، 1971 م .
- **في النقد الأدبي** ، دار المعارف ، ط7 ، القاهرة ، 1962 م .
- **الفـن ومذاهبـه فـي الـشعر العربـي** ، دار المعـارف ، ط12 ، القـاهرة ، 1960 م .

- ابن طباطبا ، محمد بن أحمد (ت 322 هـ) .
- **عيـار الـشعر** ، تحقيـق محمـد زغلـول سـلام ، منـشأة المعـارف ، ط3 ، الإسكندرية ، (د . ت) .

- طلائع بن رزيك ، أبو الغارات الوزير الصالح (ت 556 هـ) .
- **الديوان** ، جمعه وقدم له محمد هادي الأمينـي ، منـشورات المكتبـة الأهليـة ، ط1 ، النجف ، 1964 م.

- ظافر الحداد ، أبو المنصور ظافر بن القاسم بن منصور الاسكندراني(ت 528 هـ) .
- **الديوان** ، تحقيق حسين نصار ، مكتبة مصر ، ط1 ، القاهرة ، 1969 م .

- عباس ، إحسان .
- **تاريخ النقد الأدبي عند العرب " نقد الشعر " مـن القـرن الثـاني حتـى القـرن الثـامن الهجـري** ، دار الـشروق للنـشر والتوزيـع ، ط1 ، بيـروت ، 2006 م.

- ابن عبد ربه ، أحمد بن عبد ربه الأندلسي (ت 328 هـ)
- **العقـد الفريـد** ، تحقيـق محمـد مفيـد قميحـة ، دار الكتـب العلميـة ، ط1 ، بيروت ، 1983 م .

- عبد الرحمن ، منصور .
- **اتجاهـات النقـد الأدبـي فـي القـرن الخـامس الهجـري** ، مكتبـة الأنجلـو المصرية ، (د . ط) ، القاهرة ، 1977 م .

- عبد الرحمن ، نصرت .
- **في النقد الحديث** ، مكتبة الأقصى ، ط1 ، عمان ، 1979 م .

- عبد الحليم ، عبد اللطيف .
- **أدب ونقد** ، مكتبة النهضة المصرية ، (د . ط) ، القاهر ة ، 1988 م .

- عبد الرحيم ، مصطفى عليان .
- **تيارات النقد الأدبي في الأنـدلس فـي القـرن الخـامس الهجـري** ، مؤسـسة الرسالة ، ط1 ، القاهرة ، 1978 م .

- عبد المهدي ، عبد الجليل حسن .
- **بيت المقـدس فـي أدب الحـروب الـصليبية** ، دار البـشير ، ط2 ، عمـان ، 1995 م .
- **بيت المقدس في شعر الحـروب الـصليبية (جمـع وتحقيـق وتقـديم)** ، دار البشير ، (د . ط) ، عمان ، 1989 م .
- **الحياة الأدبيـة فـي بـلاد الـشام فـي القـرن الخـامس الهجـري** ، مكتبـة الأقصى ، ط1 ، عمان ، 1979 م .

- عبد الهادي ، حسن محمد .
- **دراسة شعر تاج الملوك بوري بن أيـوب مـع تحقيـق ديوانـه** ، دار الينـابيع للنشر والتوزيع ، (د . ط) ، عمان ، 1997 م .

- عتيق ، عبد العزيز .
- **علــم العــروض والقافيــة** ، دار الآفــاق العربيــة ،(د . ط)، القــاهرة ، 2004 م .

- عجلان ، عباس بيومي .
- **الهجـاء الجـاهلي صـوره وأسـاليبه الفنيـة** ، مؤسـسة شـباب الجامعـة ، (د . ط) ، الإسكندرية ، 1985 م .

- ابن العديم ، كمال الدين عمر بن أبي جراده (ت 660 هـ) .
- **بغية الطلب في تاريخ حلب** ، تحقيـق سـهيل زكّـار ، دار الفكـر ، (د . ط)، بيروت ، (د . ت) .
- **زبدة الحلب من تاريخ حلب** ، حققـه وقـدم لـه سـهيل زكّـار ، دار الكتـاب العربي ، ط1 ، دمشق ، 1997 م .

- عرقلة الكلبي ، حسان بن نمير (ت 571 هـ) .
- **الـديوان** ، تحقيـق أحمـد الجنـدي ، دار صـادر ، (د . ط) ،بيـروت ، 1991 م .

- عساف ، ساسين .
- **الصورة الشعرية ونماذجهـا فـي إبـداع أبـي نـواس** ، المؤسـسة الجامعيـة للدراسات والنشر ، ط1 ، بيروت ، 1982 م .

- ابن عساكر ، الحافظ علي بن الحسين الدمشقي (ت 571 هـ) .
- **تاريخ مدينة دمشق** ، تحقيـق محـب الـدين أبـو سـعيد عمـر بـن غرامـة العمروي ، دار الفكر ، (د . ط) ، بيروت ، 1995 م .

- عصفور ، جابر .
- **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغـي عنـد العـرب** ، المركـز الثقـافي العربي ، ط1 ، بيروت ، 1982 م .

- العقاد ، عباس محمود .
- **ابن الرومي حياته من شـعره** ، منـشورات المكتبـة العـصرية ، (د . ط) ، صيدا ، 1984 م .

- العماد الأصفهاني ، محمد بن محمد (ت 597 هـ) .
- **خريدة القصر وجريدة العصر** :
أ- **قسم شعراء الشام** ، تحقيق شكري فيصل ، المطبعة الهاشمية ، ط1 ، دمشق ، 1955 م .
ب- **قسم شعراء مصر** ، تحقيق أحمد أمين ورفيقه ، لجنة التأليف والنشر ، (د . ط) ، القاهرة ، (د . ت) .

- ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي (ت 1089 هـ) .
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، ط1 ، دمشق ، 1991 م .

- ابن عنين ، أبو المحاسن محمد (ت 630 هـ) .
- **الديوان** ، تحقيق خليل مردم بك ، دار صادر ، ط2 ، بيروت ، (د . ت) .

- عيسى ، فوزي سعد .
- **الهجاء في الأدب الأندلسي** ، دار المعارف ، (د . ط) ، القاهرة (د . ت) .

- الغزي ، شمس الدين أبو المعالي محمد عبد الرحمن (ت 1167 هـ) .
- **ديوان الإسلام** ، تحقيق سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت ، 1990 م .

- ابن فارس ، أبو الحسن أحمد (ت 395 هـ) .
- **مقاييس اللغة** ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجبل ، ط1 ، بيروت ، 1991 م.

- فتيان الشاغوري ، أبو محمد شهاب الدين الدمشقي (ت 615 هـ) .
- **الديوان** ، تحقيق أحمد الجندي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، (د . ط) ، دمشق ، (د . ت) .

- ابن الفضل العلوي ، المظفر بن الفضل .
  - **نَضْرَة الإغريض في نصرة القريض** ، تحقيق نهى عارف الحسن ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، (د . ط) ، دمشق ، 1976 م .

- ابن الفوطي ، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني البغدادي (ت 723 هـ) .
  - **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة** ، تحقيق مهدي النجم ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 2003 م .

- الفيروزابادي ، محمد بن يعقوب .
  - **القاموس المحيط** ، دار الفكر ، (د . ط) ، بيروت ، 1978 م.

- ابن قاضي شهبة الدمشقي ، تقي الدين أبو بكر (ت 851 هـ) .
  - **طبقات الشافعية** ، عناية الحافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب ، ط1 ، بيروت ، 1987 م .

- القاضي الفاضل ، عبد الرحيم بن علي (ت 596 هـ) .
  - **الديوان** ، تحقيق أحمد بدوي ، دار المعرفة ، ط1 ، القاهرة ، 1961 م .

- القالي ، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت 365 هـ) .
  - **الأمالي** ، بعناية : إسماعيل يوسف التونسي ، مطبعة بولاق ،ط1 ، مصر ، 1322 هـ .

- ابن قتيبة الدينوري ، عبد ا بن مسلم (ت 276 هـ) .
  - **الشعر والشعراء** ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، (د . ط) ، 1966 م .

- القرطاجني ، أبو الحسن حازم (ت 684 هـ) .
- **منهاج البلغاء وسراج الأدباء** ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، (د . ط) ، تونس ، 1966 م .

- قزيحة ، رياض .
- **الفكاهة والضحك في التراث العربي المشرقي من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر العباسي** ، المكتبة العصرية ، ط1 ، صيدا ، بيروت ، 1998 م .

- ابن قسيم الحموي ، مسلم بن الخضر (ت 542 هـ) .
- **الديوان** ، (جمع ودراسة وتحقيق) سعود محمود عبد الجبار ، دار البشير ، ط1 ، عمان ، 1995 م .

- القط ، عبد القادر .
- **في الشعر الإسلامي والأموي** ، دار النهضة ، (د . ط) ، بيروت ، 1987 م .

- ابن قلاقس ، أبو الفتح نصر ا (ت 567 هـ)
- **الديوان** ، تحقيق سهام الفريح ، مكتبة المعلا ، ط1 ، الكويت ، 1988 م .

- ابن القلانسي ، أبو يعلى حمزة بن أسد (ت 555 هـ) .
- **تاريخ دمشق المعروف بذيل تاريخ دمشق** ، تحقيق سهيل زكّار ، دار حسان ، (د . ط) ، دمشق ، 1983 م .

- القلقشندي ، أحمد بن علي (ت 821 هـ) .
- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** ، شرحه وضبطه ، محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1987 م .

- الكتبي ، محمد بن شاكر (ت 764 هـ) .
• **عيون التواريخ** ، تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم (جزء 20) ، وزارة الإعلام العراقية ، (د . ط) ، بغداد ، 1980 م.
• **فوات الوفيات** ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، (د . ط) ، بيروت ، (د . ت) .

- ابن كثير ، أبو الوفاء الحافظ (ت 774 هـ) .
• **البداية والنهاية** ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، ط3 ، بيروت ، 1998 م .

- كحالة ، عمر رضا .
• **معجم المؤلفين** ،مؤسسة الرسالة ،(د . ط)، بيروت ،1993 م .

- أبو كريشة ، مصطفى .
• **أصول النقد الأدبي** ، الشركة المصرية العالمية للنشر –لونجمان ، ط1 ، القاهرة ، 1996 م .

- المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285 هـ) .
• **الفاضل** ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط3 ، القاهرة ، 2000 م .
• **الكامل في اللغة والأدب** ، مطبعة الاستقامة ، (د . ط) ، القاهرة ، (د . ت) .

- المتنبي ، أحمد بن الحسين (ت 354 هـ) .
• **الديوان** ، وضعه عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، ط3 ، بيروت ، 1979 م.

- المجذوب ، عبد ا الطيب .
• **المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها** ، مطبعة البابي الحلبي ، ط1 ، القاهرة ، 1955 م .

- المحتسب ، عبد المجيد عبد السلام .
- **نقائض جرير والأخطل** ، دار الفكر ، ط1 ، بيروت ، 1972 م .

- محمد ، عادل جابر صالح .
- **شعر ابن القيسراني (جمع وتحقيق ودراسة)** ، الوكالة العربية للنشر والتوزيع ، ط1 ، الزرقاء ، 1991 م .

- المرزباني ، أبو عبد الله بن عمران بن موسى (ت 384 هـ) .
- **معجم الشعراء** ، تحقيق فاروق اسليم ، دار صادر ، ط1 ، بيروت ، 2005 م .

- مصطفى ، محمود .
- **الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبي** ، مكتبة الآداب ، (د . ط) ، القاهرة ، 2003 م .

- ابن مطروح ، يحيى بن عيسى (ت 649 هـ) .
- **الديوان** ، تحقيق حسين نصار ، دار الكتب والوثائق القومية ، (د . ط) ، القاهرة ، 2004 م .

- المقريزي ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت 845 هـ) .
- **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، تحقيق عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1997 م .
- **المقفى الكبير** ، تحقيق محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1991 م .

- مكي ، الطاهر أحمد .
- **امرؤ القيس حياته وشعره** ، دار المعارف ، ط5 ، القاهرة ، 1985 م .

- المنـذري ، زكـي الـدين أبـو محمـد عبـد العظـيم بـن عبـد القوي (ت 656 هـ) .
- **التكملـة لوفيـات النقلـة** ، تحقيـق بـشار عـواد معـروف ، مؤسـسة الرسالة ، ط4 ، بيروت ، 1988 م .

- ابن منظور ، جمال الدين مكرم (ت 711 هـ) .
- **لسان العرب** ، دار صادر ، ط6 ، بيروت ، 1997 م .
- ابن منقذ ، أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد (ت 584 هـ) .
- **الاعتبـار** ، تحقيـق قاسـم الـسامرائي ، دار الأصـالة للنـشر والثقافـة والإعلام ، ط1 ، الرياض ، 1997 م .
- **الـديوان** ، تحقيـق أحمـد أحمـد بـدوي ، عـالم الكتـب ، ط2 ، بيـروت ، 1983 م.

- ابن منير ، أبو الحسين أحمد (ت 548 هـ) .
- **الـديوان** ، جمـع وتحقيـق وتقـديم عبـد الـسلام تـدمري ، المكتبـة العصرية ، ط1 ، صيدا ، بيروت ، 2005 م .

- موسى ، إبراهيم نمر .
- **شـعر الحـرب فـي العـصر الأيـوبي (ابـن سـناء الملـك أنموذجـاً)** ، دار البيرق العربي للنشر والتوزيع ، ط1 ، رام ا ، 2007 م.

- الميداني ، أحمد بم محمد (ت 518 هـ) .
- **مجمـع الأمثـال** ، تحقيـق محمـد أبـو الفـضل إبـراهيم ، دار الجبـل ، ط2 ، بيروت ، 1987 م .

- النعيمي ، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت 927 هـ) .
- **الـدارس فـي تـاريخ المـدارس** ، عنـي بنـشره وتحقيقـه جعفـر الحسني ، مكتبة الثقافة الدينية ، (د . ط) ، القاهرة ، 1988 م .

- النهشلي ، عبد الكريم القيرواني (ت 405 هـ) .
- **الممتع في صنعة الشعر** ، تحقيق عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1983 م .

- النواجي ، شمس الدين النواجي (ت 859 هـ) .
- **الشفاء في بديع الاكتفاء** ، تحقيق حسن محمد عبد الهادي ، دار الينابيع للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان ، 2004 م.
- **صحائف الحسنات في وصف الخال** ، تحقيق حسن محمد عبد الهادي ، دار الينابيع للنشر والتوزيع ، (د . ط) ، عمان ، 2000 م .

- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733 هـ) .
- **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، تحقيق محمد ضياء الدين الريس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (د . ط) ، القاهرة ، 1993 م .

- الهادي ، صلاح الدين .
- **اتجاهات الشعر في العصر الأموي** ، مكتبة الخانجي ، ط1 ، القاهرة ، 1986 م .

- هدارة ، محمد مصطفى .
- **اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري** ، دار المعارف ، (د . ط) ، القاهرة ، 1963 م .

- الهرفي ، محمد علي .
- **شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام** ، مؤسسة الرسالة ، ط3 ، بيروت ، 1980 م .

- أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت 395 هـ) .
- **الصناعتين (الكتابة والشعر)** ، تحقيق علي محمد البجاوي ورفيقه ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ط2 ، القاهرة ، 1971 م.

- هلال ، محمد غنيمي .
  - **النقد الأدبي الحديث** ، دار العودة ، (د . ط) ، بيروت ، 1997 م .
- الهيب ، أحمد فوزي .
  - **الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء** ، مكتبة المعلا ، ط1 ، الكويت ، 1987 م .
- الهيتي ، أبو بكر .
  - **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ، مكتبة القدس ، (د . ط) ، القاهرة ، 1953 م .
- ابن واصل ، محمد بن سالم (ت 697 هـ) .
  - **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب** ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية بمصر ، (د . ط) ، 1975 م .
- ابن الوردي ، زين الدين عمر (ت 749 هـ) .
  - **تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)** ، تحقيق أحمد رفعت البدراوي ، دار المعرفة ، ط1 ، بيروت ، 1970 م .
- الورقي ، السعيد .
  - **لغة الشعر العربي (مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية)** ، دار المعارف ، (د . ط) ، القاهرة ، 2003 م .
- ويليك ، رينيه .
  - **نظرية الأدب** ، ترجمة محيي الدين صبحي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط3 ، بيروت ، 1985 م .

- اليافعي ، الإمام محمد بن عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت 768 هـ)
- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان** ، منشورات الأعلمي للمطبوعات ، ط2 ، بيروت ، 1970 م .

- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله (ت 626 هـ) .
- **معجم الأدباء** ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأخيرة ، بيروت ، (د . ت) .
- **معجم البلدان** ، دار صادر ، (د . ط) ، بيروت ، 1968 م .

- اليمني ، عمارة ، نجم الدين بن أبي الحسن (ت 569 هـ) .
- **الديوان** ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى الأرياني ورفيقه ، مطبعة عكرمة ، ط1 ، دمشق ، 2000 م .
- **النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية** ، تحقيق هرتويغ درنبروج ، مكتبة مدبولي ، ط2 ، القاهرة ، 1991 م .

- ابن يوسف ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت 646) .
- **إنباه الرواة على أنباه النحاة** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ، (د . ط) ، القاهرة ، 1950 م .

- يوسف ، خالد إبراهيم .
- **الشعر العربي أيام المماليك ومن عاصرهم من ذوي السلطان** ، دار النهضة العربية ، ط1 ، بيروت ، 2003 م .

- اليونيني ، موسى بن محمد الحنفي (ت 726 هـ) .
- **ذيل مرآة الزمان** ، طبعة حيدر أباد الدكن ،1374 – 1375 هـ .

الدوريات

- إبراهيم ، نبيلة .
  - **المفارقــة** ، مجلــة الفــصول ، مجلــد (7) ، عــدد (3+4) ، القــاهرة ، 1987 م .

- الرقب ، شفيق محمد عبد الرحمن .
  - **النقــد الاجتمــاعي فــي الــشعر الــشامي** ، مجلــة مجمــع اللغــة العربيــة الأردني ، عدد (40) ، عمان ، 1991 م .

- اللبدي ، نزار وصفي .
  - **الــصورة الــساخرة فــي شــعر الحــرب عنــد شــعراء الــدولتين الزنكيــة والأيوبيــة** ، مجلــة جامعــة النجــاح للأبحــاث ، مجلــد (11) ، عــدد (1) ، نابلس ، 2003 م .

الرسائل الجامعية

- خضر ، جبر سليمان .
  - **الحروب الصليبية من خلال الشعر في مصر والشام في القرنين السادس والسابع الهجريين** ، أطروحة دكتوراه ، جامعة القديس يوسف ، بيروت ، 1994 م .

- ابن دنينير ، إبراهيم بن محمد (ت 627) .
  - **الديوان** ، تحقيق ودراسة محمود شاكر سعيد ، رسالة دكتوراة مخطوطة ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، 1981 م .

- الصايغ ، هنريت زاهي سابا .
  - **اتجاهات الشعر العربي في القرن السابع الهجري في بلاد الشام** ، رسالة دكتوراة مخطوطة ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، 1980 م .

- عمرو ، علي عبد ا .
  - **تحقيق ديوان الزمخشري ودراسة شعره** ، رسالة دكتوراة مخطوطة ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، 1979 م .

Abstract

Poetry during the age of the Zenkis and the Ayyubids (AH 489-648)

The Present study deals with Direction of Poetry during the age of the Zenkis and the Ayyubids in Egypt and Greater Syria in order to identify it's subjects and artistic features.

The study consists of a preface and four chapters. The preface is concerned with the concept of satire and it's development from the per-Islamic period (Jahili Age) to the commencement of the age of Zenkis and the Ayyubids.

Chapter One is about personal satire and it's various forms, such as the satire which exposes the personal vices of individuals, including physical and congenital defects , the satire of poets among themselves, the satire against irrational beings, and the like.

Chapter Two is about social satire. It exposes the negative aspects of the social life in that age, such as the corruption of some state men, rulers, viziers, staff, judges, etc…...
It also reveals various forms of complaint and suffering which resulted in behavioral disorders and troubled social values.

Chapter Three focuses on political satire. It exposes the poets' stance on rulers and their corrupt administrations . In this type of satire, poets cast aspersions on the Patriotism of those who showed reluctance in defending their homeland, exposed the collaborators with the crusaders, and disclosed divisions among princes of the Greater Syria and their attempts to destroy the nation's

unity during the age of Nur ed-Din Zenki and Salah ed-conflicts on the office of vizier in Egypt at the end of the Fatimid rule.

Chapter Four is about the artistic features of satire poetry. The stanza was found to be the common form of the satire poem. It was also found that this type of poetry had had an impact on everyday language, the simplified folk style and the simple partial image. As for the music, the poetic meters, though had some rhyme-related defects, were similar to those of the traditional Arabic poetry which the poets had been using for ages.